

# في المذاهب الفكرية المعاصرة

الأستاذ الدكتور

**سعدون محمود الساموك**

الجامعة الأردنية - كلية الشريعة

الطبعة الأولى

٢٠٠٦

دار الفکر للطباعة والنشر

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٥/١١/٢٦٣٢) : ٣٢٠,٥

الساموك ، سعدون  
في المذاهب الفكرية المعاصرة / سعدون محمود الساموك.  
- عمان، دار وائل ، ٢٠٠٥.

(٢١٤) ص

ر.ا. : (٢٠٠٥/١١/٢٦٣٢)

الواصفات: الفكر الاجتماعي / المذاهب الاقتصادية / المذاهب السياسية / الأيدلوجيات الفكرية

\* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-11-644-4 (ردمك)

\* في المذاهب الفكرية المعاصرة  
\* الاستاذ الدكتور سعدون الساموك  
\* الطبعة الأولى ٢٠٠٦  
\* جميع الحقوق محفوظة للناسر



## دار وائل للنشر والتوزيع

\* الأردن - عمان - شارع الجمعية العلمية الملكية - مبنى الجامعة الاردنية الاستثماري رقم (٢) الطابق الثاني  
هاتف : ٥٣٣٨٤١٠ - ٥٣٣١٦٦١ - فاكس : ٥٣٣١٦٦١ - ٥٣٣١٦٦١ - ص.ب (١٦١٥ - الجبيهة)  
\* الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحص التجاري - هاتف : ٥٣٣١٦٦١ - ٥٣٣١٦٦١ - ٥٣٣١٦٦١

[www.darwael.com](http://www.darwael.com)

E-Mail: [Wael@Darwael.Com](mailto:Wael@Darwael.Com)

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناسر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.



**هدية احترام وعرفان بالجميل إلى :**

**الأستاذ الدكتور عبد الرحيم الحنيطي**  
**رئيس الجامعة الأردنية**

## شكر وتقدير

الشكر إلى كل من كان سببا في إخراج هذا الكتاب... أخص بالذكر

منهم:

الفاضل الدكتور عبد المجيد الصلاحيين عميد كلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

الفاضل الدكتور يوسف علي غيطان عميد كلية أصول الدين الجامعية بجامعة البلقاء التطبيقية.

الفاضل الدكتور محمد هشام سلطان رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين الجامعية سابقاً ونائب رئيس جامعة آل البيت حالياً.

الفاضل الدكتور بشار عواد معروف رئيس الجامعة الإسلامية في بغداد سابقاً والأستاذ بقسم أصول الدين بكلية أصول الدين الجامعية.



## المحتويات

الموضوع	الصفحة
➤ المقدمة	١١
➤ الديمقراطية	١٥
○ الديمقراطية	١٧
○ الشمولية	١٧
○ المقومات الأساسية للديمقراطية	١٨
○ مقارنة بين الأنظمة الديمقراطية والأنظمة الشمولية	٢٠
○ الديمقراطية والتمثيل النيابي	٢١
○ النظام البرلماني	٢٢
○ الحكومة المختلطة	٢٢
○ أوروبا في العصور الصليبية	٢٥
○ النظام الديمقراطي الجديد في أوروبا	٢٧
○ موقف الإسلام من الديمقراطية	٢٨
○ نظام الحكم في الإسلام	٣١
○ أهل العقد والحل	٣٤
○ شروط الخليفة أو الإمام	٣٥
○ الشورى	٣٧
○ مقاصد الحكم في الإسلام	٣٩
➤ الاستشراق	٤١
○ تعريف الاستشراق	٤٥
○ تاريخ الاستشراق	٤٧
○ التبشير	٤٩

## في المذاهب الفكرية المعاصرة

الموضوع	الصفحة
○ أهداف التبشير .....	٥٢
○ وسائل التبشير .....	٥٣
○ الاستعمار .....	٥٦
○ التغريب .....	٥٨
○ الإرهاب .....	٥٩
○ تاريخ الإرهاب .....	٦٠
○ دوافع الإرهاب .....	٦٢
○ موقف الإسلام من الإرهاب .....	٦٤
○ وسائل الإرهاب .....	٦٦
○ آثار الإرهاب .....	٦٧
○ علاج الإرهاب .....	٦٨
☞ العلمانية .....	٦٩
○ تعريف العلمانية .....	٧١
○ مجالات العلمانية .....	٧٨
○ الإسلام والعلمانية .....	٨٢
☞ العولمة .....	٨٥
○ تعريف العولمة .....	٨٧
○ مراحل العولمة .....	٩٣
○ آثار العولمة .....	٩٤
○ أهداف العولمة .....	١٠١
○ مقاومة العولمة .....	١٠٢
☞ الوجودية .....	١٠٣
○ الفلسفات قبل الوجودية والمؤثرة فيها .....	١٠٥
○ أهم الأفكار والمعتقدات .....	١١٥

## في المذاهب الفكرية المعاصرة

الموضوع	الصفحة
○ شخصيات وجودية .....	١١٦
○ الفلسفات بعد الوجودية والمتأثرة بها .....	١٢٠
☞ البراجماتية .....	١٢٥
○ تعريف البراجماتية .....	١٢٧
○ الديمقراطية عند البراجماتيين .....	١٣١
☞ الرأسمالية .....	١٣٥
○ بداية النظام الرأسمالي .....	١٣٨
○ المؤثرات التاريخية وراء النظام الرأسمالي .....	١٣٩
○ مبادئ الاقتصاد الحر الجديد .....	١٤٣
○ أسس الرأسمالية .....	١٤٣
○ أشكال الرأسمالية .....	١٤٤
○ المشكلة الاقتصادية في نظر الرأسمالية .....	١٤٥
○ الحاجة في نظر الرأسمالية .....	١٤٥
○ نظرة الرأسمالية للدين والقيم .....	١٤٥
○ عيوب الرأسمالية .....	١٤٦
☞ الماركسية .....	١٤٩
○ صلة المادية التاريخية بالمادية الجدلية .....	١٥٤
○ المادية الجدلية .....	١٥٤
○ ما هو الديالكتيك .....	١٥٦
○ المادة السابقة في الوجود على الفكر .....	١٦١
○ المادة أزلية أبدية .....	١٦٣
○ قوانين المادة .....	١٦٨
○ ملاحظات حول تطبيق الماديين للقوانين .....	١٦٩
○ صلة نظرية التطور بالتفسير المادي للتاريخ .....	١٧١

## في المذاهب الفكرية المعاصرة

الموضوع	الصفحة
○ الأسباب التي أعطت نظرية داروين الحجم الكبير .....	١٧١
○ الآثار التي خلفتها نظرية داروين .....	١٧٢
○ شروط حياة المجتمع المادية .....	١٧٣
○ الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا .....	١٧٣
○ لماذا حتمية الثورة الاشتراكية في المفهوم الماركسي ....	١٧٤
☞ الشيوعية .....	١٧٧
○ تعريف الشيوعية .....	١٧٩
○ الدين في الشيوعية .....	١٨١
○ الأخلاق في الشيوعية .....	١٨٢
○ موقف الشيوعية من الأسرة .....	١٨٣
○ مدى تأثير الشيوعية على الأسرة .....	١٨٤
○ محاربة الشيوعية للأديان .....	١٨٥
○ أسباب محاربة الشيوعية للدين .....	١٨٦
☞ الصهيونية .....	١٨٧
○ تعريف الصهيونية .....	١٨٩
○ أقسام الصهيونية .....	١٩١
○ حدود ارض الميعاد .....	١٩٥
○ المفهوم الديني للشعب المختار .....	١٩٧
○ المفهوم القومي اليهودي .....	٢٠٣
☞ المراجع .....	٢٠٧



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد... فهذه جملة بحوث قصيرة في المذاهب الفكرية التي تشغل الإنسان المعاصر فهو يعيش الآن في زحمة أفكار، تأتي سريعة، منها ما تعشش وتعيش طويلاً، ومنها ما يشغل البشر ردحا من الزمن ثم تختفي.. ونحن نعلم أن الإسلام قوي ويقف منها موقف المتحدي.

ونحن لا نحتاج إلى أن نرى موقف الإسلام منها، لأننا نعرف الإسلام ونعرف أنه قوي لسببين، الأول لأن الإسلام تدعّمه السماء... فالخالق سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان وهو اعرف به وب عقله وقدرته... وأنزل القرآن لأجل هذا الإنسان صالحاً لكل زمان ومكان ومحفوظاً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ والقرآن هو المصدر الرئيس للإسلام. فهو في هذه الحالة لن تهزه الأفكار ولن تهزّه المذاهب المختلفة.

وقد لم هذا الكتاب المتواضع جملة مواضيع: الديمقراطية والاستشراق والتبشير، وما يضمه من معاني محاولات التصير، ثم العلمانية والعولمة والوجودية والبراجماتية والرأسمالية والماركسية والشيوعية والصهيونية. وكان بالإمكان أن يضم موضوعات أخرى كثيرة تلت بالعالم الإسلامي اليوم... لكن هناك اختصاصات أخرى قد تضم تلك الموضوعات.. كالفرق القديمة والفرق المعاصرة والعقائد وغير ذلك. لذلك اقتصرنا هنا على هذه الموضوعات، حيث إن طبعات الكتاب القادمة - إن شاء الله - قد ترى ما يستجد من دراسات فتدخلها معه، علماً بأن هذا الكتاب مصمم للتدريس في الجامعات لفصل دراسي واحد... فلا بد وأن يكون مقتضباً ومحدداً.

وكلمة حق تقال في الجمع الخليط للأفكار والمعتقدات والفلسفات المختلفة... أن طالب الدراسات الإسلامية بحاجة إليه، حيث أنهم يعرفون بعض هذه الأفكار ويجهلون الأخرى.. وهم بهذا وذلك لا بد لهم من التعرض إلى موقف الإسلام منها، فليس من المفروض أن يكون الطالب المتخصص بالدراسات الإسلامية عارفاً بها وجاهلاً بما حوله من الأفكار والمعتقدات التي قد تهمزه فترة من الزمن.. فالظروف السياسية المعاصرة قد تفرض على المسلم أن يواجه الكثير من الأفكار التي تصاحب ظهور أحزاب تنادي بها أو قوى دولية وسياسية قد تعمل على فرضها على العالم الإسلامي، فتتسبب معنى الجهاد ومعنى الثقافة الإسلامية ثم تعمل على أن ينسى الإسلام برمته حين تشغله بأمور حياتية أخرى.

فالأحزاب الشيوعية تعمل على نشر الماركسية وإقامة الأنظمة الماركسية حول العالم، والعالم الغربي يعمل على نشر الرأسمالية والديمقراطية الغربية في محاولة لإيقاف أي جهد يجابه إسرائيل والدولة الصهيونية.. وكل ذلك لو تم... فإنه سيوقف المد الإسلامي والفكر الإسلامي الذي يعيش حالة من الانبعاث من جديد.

وحالة أخرى... فالغربي والشرقي على السواء في فهم الإسلام، فهما يرون أن الإسلام دين إرهابي وفي الكتاب محاولة جادة لتوضيح معنى الإرهاب وموقف الإسلام من الإرهاب، لأن الإسلام نفسه أول من حارب الإرهاب الدولي الذي ينتشر اليوم حتى لو كان تحت تسمية الإسلام نفسه، فالنفس البريئة أثنى ما يجب المحافظة عليه.... ولم يذكر الإسلام لفظة "الإرهاب" إلا في معنى المحافظة على الأمة الإسلامية والعقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي، فهو إرهاب "محمود" وليس مرفوضاً البتة. لأن كل شعب يحافظ على نفسه وكيانه، وكل عقيدة صحيحة

لا بد لها أن تعيش وتدافع عن نفسها أمام أي مدّ مهدم ليصحّ الصحيح ويهدم الباطل.

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت في اختيار هذه الموضوعات لكتاب دراسي كهذا، وما توفيقي إلا بالله.

المؤلف

أ.د. سعدون محمود الساموك



# الديمقراطية

## الديمقراطية

مصطلح الديمقراطية مشتق من اللفظ اللاتيني (DEMOCRACY)، فالديمقراطية تعني "حكم الشعب". ويمكن تعريف الديمقراطية بأنها نظام الحكم الذي يمارس فيه الشعب السلطة بنفسه، إما بصفة مباشرة من خلال تجمع المواطنين لمناقشة وحل قضاياهم، وإما بصفة غير مباشرة من خلال ممثلي الشعب الذين يتم انتخابهم بصورة دورية من قبل الشعب. ويسمى النوع الأول بالديمقراطية المباشرة وكان مطبقاً في دولة المدينة في أثينا بينما يعرف النوع الثاني بالديمقراطية غير المباشرة أو التمثيلية (النيابية) وهو النوع السائد في معظم دول اليوم حيث انتشر بسبب ازدياد عدد السكان في الدول الحديثة. وقد يرافق الصيغة التمثيلية رجوع مباشر إلى الشعب في قضايا خاصة كتعديل الدستور وذلك من خلال الاستفتاء<sup>(١)</sup>.

### الشمولية:

وفي مقابل نظام الحكم الديمقراطي والحكومة الديمقراطية التي تمتلك وتنفذ لبرلمان منتخب من الشعب يمثل توجهاته وتطلعاته، يوجد النظام الفردي أو الشمولي حيث تتركز السلطة في يد فرد أو مجموعة معينة من الأفراد وهم يمارسون السيادة على الشعب؛ وصوره المختلفة تتمثل بنظم الحزب الواحد والنظم الدكتاتورية الفردية.

وفيما تحولت النظم الملكية في الغرب إلى ملكيات دستورية بسبب انتشار الأفكار الديمقراطية، كما في الدول الاسكندنافية ومنها السويد والنرويج، برزت الشمولية في الشرق مع نجاح الثورة الروسية الشيوعية عام ١٩١٧م حيث قام نظام الحكم على نظام الحزب الواحد العقائدي، وهو الحزب الشيوعي القائم على أساس الأيديولوجية الماركسية. ثم ظهر في فترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٩-

١- مبادئ العلوم السياسية، د. أحمد محمد الكبسي وآخرون / ١٢٩.

١٩٣٩م) وبالتحديد خلال الثلاثينات نظامان شموليان في الغرب هما النازية في ألمانيا بقيادة هتلر والفاشية في إيطاليا بقيادة موسوليني وبعد الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥م انتشرت الأنظمة الشيوعية في دول شرق أوروبا التي سيطر عليها الاتحاد السوفيتي وجعلها تدور في فلك موسكو في إطار ما عرف بالمعسكر الشرقي قبل انهياره.<sup>(١)</sup>

### المقومات الأساسية للديمقراطية:

تقوم الديمقراطية على جملة من الفروض المسبقة من أهمها الاعتراف بالحرية والمساواة وبناء مؤسسات دستورية من أجل صياغة وسيادة الإرادة الشعبية حول مختلف المسائل والسياسات. وتعتبر الحرية السياسية هي الحد الأدنى لوجود الديمقراطية، وجوهر هذه الحرية هو الحق لكل فرد بأن يشارك في عملية صنع القرارات. ويتم التعبير عن ذلك عملياً من خلال إقامة الانتخابات الدورية والحق المتساوي لجميع الأفراد الراشدين في التصويت، وفي الترشيح للانتخابات، وفي الحق المتساوي للوصول للوظائف التنفيذية والقضائية متى ما توفرت المؤهلات اللازمة لها.

ومن المقومات الأساسية للديمقراطية فصل السلطات، ولقد برز مفهوم الفصل بين السلطات احتجاجاً على السلطة المطلقة للحكام في القرون الوسطى. ويرى جون لوك أن تركيز جميع السلطات بيد الحاكم الفرد هو الطغيان بحد ذاته. ولذا فقد كان الهدف لمبدأ الفصل بين السلطات هو نزع بعض سلطات الحاكم وبخاصة التشريعية والقضائية وإعطائها لأشخاص آخرين مع وضع الضوابط التي تمنع الحاكم من استعادتهما أو التدخل فيهما. وإذا ما اجتمعت سلطتان في يد واحدة

١- مبادئ العلوم السياسية / ١٣٥.

فذلك يؤدي إلى ظهور شكل من أشكال الاستبداد واستخدام القهر في تنفيذ المهام الأساسية للدولة كما هو جار في غالبية الأنظمة الدكتاتورية في عالمنا اليوم.<sup>(١)</sup> وتتضمن دساتير أغلب البلدان عادة أحكاماً تحدد شكل الدولة وطبيعة نظام الدولة وتبين الأسس والمقومات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية للمجتمع والدولة ووضوح اختصاصات المؤسسات الهيئات الدستورية وترسم حدود اختصاصات السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية) وتنظم علاقات هذه السلطات بعضها ببعض وتكفل الحقوق والحريات العامة للمواطنين وتبين واجباتهم الأساسية.<sup>(٢)</sup>

على أنه ليس هناك نظام حكم في العالم لا يدعي أنه يكفل الحريات ويتشدد باسم الحرية وهو من أكثر الأنظمة إجهاضاً للحريات، وربما منح بعض الحرية لكن لمواليه في أن يفعلوا بالشعب ما يحلو لهم، يعتقلوا، يعذبوا، يقتلوا بأي شكل أرادوا.

إن مشكلة الحرية لا يمكن ضمانها إلا من خلال تشريع القوانين وفصل السلطات، لأن الإنسان ميال إلى الفردية وإلى ممارسة الاستبداد، والسلطة مفسدة كما ذكر مونتسكيو في روح الشرائع، والإنسان مهما كان لا يرتدع بدون وجود القانون.

من هنا كان لا بد من تشريع قانون يقر بالحريات المشروعة، ويقرر أنواعها وكيفية ممارستها، أي الخط الأخضر والأحمر لكل حرية من الحريات كحرية الرأي حرية التملك وحرية المعتقد وإلى غير ذلك. والأولى وجود جمعيات لحقوق الإنسان تتشكل من حقوقيين وناس عاديين تقوم بمراقبة وضع حقوق الإنسان

١- الدساتير العراقية، حكمت حكيم/ ١٧.

٢- ماذا تبقى من صدام، إسماعيل صادق / ٢٣٠.

في البلد، فإذا خشي المواطن لأي سبب من الأسباب تقديم الشكوى على الجهة التي تعدت على حقوقه فإن لهذه الجمعيات الصلاحية الكاملة للدفاع عن هذا الإنسان وتقديم الشكوى بالنيابة عنه.

وعمل هذه الجمعيات لا يتحدد بهذه المسؤولية بل تقوم أيضاً بمراقبة وضع حقوق الإنسان في التشريعات واللوائح وأثناء مناقشات القوانين في البرلمان وتراقب أيضاً قرارات مجلس الوزراء واللوائح الصادرة عن الوزراء، فتعمل على إيقاف كل ما يمس حقوق الإنسان.

ولعل التمييز العرقي والديني من المشاكل التي تخفق فيها الأنظمة التي ترفع شعار الديمقراطية من الوصول إلى حقيقة المساواة التي تعتبر من أهم مقومات الديمقراطية.

### مقارنة بين الأنظمة الديمقراطية والأنظمة الشمولية:

يقوم النظام الشمولي على مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» ومن أهم أولويات النظام الشمولي الاحتفاظ بالسلطة مما يسوغ للحكومة استخدام القوة ووسائل العنف المختلفة حتى ولو تعارض ذلك مع القيم الأخلاقية أو حتى المبادئ الدستورية التي يفترض أن تسير عليها الحكومة. فنجد النظام الشمولي يستعمل أبشع أساليب القوة والقهر للقضاء على المعارضة بواسطة جهاز أمن سري يملك صلاحيات واسعة، ومن أمثلة هذا الجهاز ما عرف بالجستابو في ألمانيا النازية وال (كي جي بي) في الاتحاد السوفيتي سابقاً.

ومن جهة أخرى نلاحظ احتكار وسائل الاتصال الجماهيري التي تتمثل في الإذاعة والصحافة و التلفزة التي تشرف عليها الدولة أو تمتلكها بغرض السيطرة على الرأي العام. ولعل هذه السممة هي التي تميز الحكم الشمولي الحديث عن الحكم الديكتاتوري أو الاستبدادي القديم.



وبصورة عامة نجد النظام الشمولي لا يحترم الحرية الفكرية أو التعبيرية بل هناك أيديولوجية رسمية مفروضة من قبل الحكومة على جميع أفراد المجتمع.<sup>(١)</sup>

### الديمقراطية والتمثيل النيابي

من أهم مبررات قيام النظام النيابي هو استحالة تطبيق الديمقراطية المباشرة، وقد لجأ فقهاء القانون إلى نظريتين مختلفتين لتسويق النيابة عن الشعب في الحكم الديمقراطي الذي يستمد شرعيته من الشعب وهما:

• نظرية النيابة القانونية: وهي تقوم على أساس أن النائب أو الوكيل يأتي بتصرفات قانونية تنتج أثرها في ذمة الموكل أو المنيب وبالتالي يكون شخص الأمة هو الموكل والوكيل هم النواب.

• نظرية العضو: ومفادها أنه لا يوجد إلا شخص واحد هو شخص الجماعة المنظمة فالعضو بالنسبة للجماعة السياسية مثله مثل العضو في الجسم البشري لا يكون شخصية معينة من حيث الاستقلال وإنما يعد أداة لممارسة وظائف معينة.

أما الأستاذ بارتملي فقد رأى أنه للتوفيق بين النظام النيابي والمبدأ القانوني ينبغي عدم الوقوف عند اعتبارات قانونية مجردة وإنما يجب النظر إلى الأمر نظرة واقعية عملية لتحقيق النظام الديمقراطي المباشر مستحيل ومن هنا فالديمقراطية هي مجرد اشتراك الشعب في الحكم بنفسه أو بواسطة نوابه فالمبدأ مصون.<sup>(٢)</sup>

إن البرلمان هو الممثل الحقيقي لإرادة الأمة وبالتالي يقتضي الرجوع إلى الشعب من وقت لآخر لمعرفة رغباته وإرادته وذلك لا يتحقق إلا من خلال دورية

١- مبادئ العلوم السياسية/ ١٣٦.

٢- مبادئ العلوم السياسية/ ١٤٢.

الانتخاب، على أن التجديد الدوري للبرلمان لا يكون على مدى فترة قصيرة حتى لا يخضع النواب بصفة مستمرة للناخبين ولا يكون مدة طويلة حتى لا يبعد البرلمان عن اتجاهات الشعب وعلى هذا المنوال حددت مدة نيابة البرلمان بأربع أو خمس سنوات.

هذا وقد جرى الفقه على التمييز بين صور ثلاث للأنظمة السياسية منظوراً إليها من حيث مدى العلاقة والروابط: فإذا قامت العلاقة بين السلطات على أساس المساواة كان النظام برلمانياً وإذا كانت الغلبة والمكانة الأعلى للسلطة التنفيذية سمي النظام رئاسياً وأخيراً يسمى نظام حكومة الجمعية إذا كانت فيه الهيئة التشريعية هي المهيمنة على غيرها من الهيئات.<sup>(١)</sup>

### النظام البرلماني:

في النظام البرلماني قد يكون رئيس الدولة ملكاً بالوراثة أو رئيس جمهورية بالانتخاب ولكن يلزم أن يكون رئيس الدولة مستقلاً تجاه البرلمان من ناحية وتجاه مجلس الوزراء من ناحية أخرى، وهذا يعني وجوب الفصل بين شخصية رئيس الدولة وشخصية رئيس الحكومة الذي يرأس مجلس الوزراء.

ومن أمثلة النظام البرلماني ما هو في بريطانيا والهند واليابان وأستراليا وكندا وإيطاليا.

### الحكومة المختلطة:

يتميز هذا النظام بإيجاز في وجود برلمان منتخب يترتب عليه اختيار حكومة يرأسها رئيس الجمهورية من قبل الشعب بصورة مباشرة ولفترة معينة. ويتكون هذا النظام المختلط من ثلاثة أجزاء هامة لكل منها سلطاتها وصلاحياتها، وهي رئيس الجمهورية والبرلمان بمبدأ التعاون والتوازن بين السلطتين التشريعية

١- مبادئ العلوم السياسية/ ١٤٣.

والتنفيذية بينما يأخذ في جانبه الرئاسي بمبدأ الفصل بين هاتين السلطتين. وقد يكون رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء عملياً من حزبين مختلفين مما قد يترتب عليه حدوث نزاع بينهما. ومن أمثلة النظام المختلط فرنسا وإيرلندا وفلندا والنمسا. والديمقراطية لم تتحقق في تاريخها إلا حين ظهورها فقط أي في مدينتي أثينا وإسبارطة اليونانيتين.. وتسمى الحكومة التي اعتمدت هذا النظام (حكومة المدينة).. كان رجال المدينة يجتمعون في كل من المدينتين بصيغة مجلس تشريعي.. ينتخبون من بينهم حاكمهم ويتشاورون في أمورهم ويسنّون القوانين لهم.. ويشرفون على تنفيذ أحكامه.

استمرت هذه الظاهرة في اليونان حتى ظهور (المسيحية) وظهور (النهضة الإغريقية الممتزجة بالتراث اليوناني).. والذي جاء (بالإقطاع) كنظام يحل محل الديمقراطية.. وقد حكم الإقطاع اليونان أكثر من ألف عام وكان من صالح المسيحية أن تجامل النظام الإقطاعي ولم تغير منه شيئاً.. وكان همّ المسيحية إخضاع الحكام لسلطة الكنيسة وليس لتحرير (الشعب) الذي أصبح يعاني من النظامين الإقطاعي والكنسي الملزم لهم حيث لم يعد للشعب أية حقوق وحتى (الكرامة) لم يعد لها وجود للآدمي في تلك المنطقة التي خلقت لنا النظام الديمقراطي الذي نتحدث عنه.

أصبح (الملك) في النظام الإقطاعي الكنسي.. (ظل الله في الأرض) ومن يحارب (الملك) يحارب (الله).. وكان الملك يطلق يد النبلاء والأشراف في أراضيهم الخاضعة لحكمه.. وكان للأمرء والأشراف التصرف بأراضيهم ومن ثم بشعبهم بأية طريقة شاعوا لا مراجعة ولا ضبط وأصبح الناس يسمون في هذه الأرض بالعبيد، كان الشريف أو الأمير سلطان مطلق يمثل كل السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية ويناول الأمير أو النبيل الأموال التي يجنيها الفلاحون من

أراضي النبل أو الإقطاعي والتي كانوا يشتغلون فيها طيلة عمرهم (للملك) الذي لا يتدخل في مقابل هذا بحكمه.

وإذا نظرنا إلى السلطة الثانية في المجتمع.. نجدها سلطة الكنيسة.. وكان خضوع الناس لها حقاً مقدساً.. قامت الكنيسة بفرض أتوات وعشور (العشور يعني عشر الإنتاج أو عشر ما يملكون) ضريبة وسخرة مجانية في أراضيها.. وكانت الكنيسة تجند الناس حين يخرج على نظامها ملك أو إمبراطور أو أمير.. لحربه والقضاء عليه ولنا في ذلك أمثلة كثيرة في تاريخ الكنيسة.. وفي (الحروب الصليبية) الحرب الشعبية الكبرى التي جمعت رجال أوروبا من كل أطرافها لتزحفهم نحو الشرق الإسلامي أكبر مثال على ذلك.

قامت أوروبا حين اشتدت الثورة النفسية على الكنيسة وعلى النظام الإقطاعي بالدعوة (للجهاد) ضد المسلمين في الشرق بعد أن اختلقوا لهم (مظلمة) حصلت على قافلة الحجاج المسيحيين إلى القدس من قبل المسلمين السلاجقة..

والقصة هي أن قافلة أوروبية تضم حجاجاً إلى مدينة القدس تحمل معها أموالاً وزهياً وممتعاً وحيوانات بطبيعة الحال متجهة نحو مدينة القدس قد تعرضت لهجوم من قبل الجنود السلاجقة (الأتراك) المسلمين الذين كانوا يحكمون الشرق الإسلامي تحت اسم الدولة السلجوقية (الإسلامية) فقتلوا من في القافلة واستولوا على ما عندهم من الأموال والمتاع وغير ذلك إلا أن واحداً منهم قد هرب ونجا وعاد إلى أوروبا واستجد بالبابا ليحمي القدس.. وقد دعا البابا جميع المسيحيين في العالم إلى الوحدة والتآزر والتضامن من أجل تحقيق الطريق الآمن نحو القدس ليحج المسيحيون بسلام وأمن.. وكان أن تضامن الناس وأطاعوا البابا في كل أوروبا وانضموا إلى الجيوش الصليبية المحررة التي تهدف إلى ذلك (الهدف) وتحقق بعدها ذلك.

إن دراسة هذه القصة يستدعي العودة إلى أوروبا في ذلك الوقت لنتمكن من الوقوف على ذلك الأمر ومعرفة الحقيقة..

### أوروبا في العصور الصليبية

أما أوروبا فكانت غارقة فيما يأتي :

١. أن الناس كانوا يعانون من الإقطاع والظلم وقد كثرت الثورات في أوروبا على النظام الإقطاعي والكنسي المتسلط عليهم. ولذلك فقد امتلأت سجون أوروبا في كل مكان بالمتمردين والثوار إلى جانب المساجين الذين يقتربون جرائم السرقة والاعتصاب والقتل وغير ذلك من الأمور التي كان النظام السائد يدفعهم إليها..

وكان على الكنيسة وعلى الأنظمة القائمة في كل أوروبا أن تهيئ لهم الطعام والشراب والمؤونة والطب وغير ذلك (وأعدادهم كثيرة جداً لم تعد ميزانية أقطار أوروبا بالقادرة عليه)

٢. إن الإمارة والملك ينحصران في شخص واحد في العائلة الواحدة وحين تمتد العوائل وتكبر يظهر هناك الطامحون في الإمارة والطامعون فيها.. وبعضهم أقدر ممن تعينه الكنيسة أو النظام من الناحية الجسمية والعقلية والفكرية.. وصارت هناك صراعات حادة على الحكم كانت البابوية تعاني منها.

٣. كان هناك لغط كبير على النظام البابوي والكنسي المتسلط على أوروبا.. والكثير منهم يدعو للتحرر منه.. وكان في بعض الأحيان يشترك فيه رجال من داخل الكنيسة كما ظهرت بعدئذ من خلال انبثاق الكنيسة البروتستانتية. وصار البابا في موقف ضعيف يتصور أن أعداء النظام سوف يتمكنون في النهاية من الوصول إلى الثورة عليه... وليس هنالك الكثير مما يمكن عمله لو أن الثورة امتدت إلى كل أوروبا وكانت الدعوة

إلى الجهاد هي الدعوة التي لا يمكن أن يعترض عليها من يؤمن بالدين وكانت الوعود البابوية (التي طلبت الجهاد) تقسم بشكل تحذيري لمن كان له سبب للثورة فهو قد وعد:

أ- السجناء جميعاً بتحريرهم لو اشتركوا بالجهاد وهذا يعني أنه يتخلص منهم أولاً سياسياً ويتخلص منهم اقتصادياً فقد وعد الطامعين في الإمارات بتأسيس إمارات لهم في الأراضي الشرقية عند احتلالها وبذلك يسد بعض اللغظ حول مطالباتهم بالإمارات في أوروبا حيث سيكونون أمراء في أرض أخرى.

ب- إبعاد الخطر عن الأمراء الذين يعانون من أخطار المنافسة لهم في أراضيهم داخل أوروبا حيث يكون كل منهم في مأمن عن ذلك الخطر.

المهم أن ذلك كله قد تحقق فقد فتحت الأراضي الإسلامية العربية منذ ١٠٩٨ وتأسس كل ما كانوا يريدونه من ممالك وأمارات ولم يتم تحرير الأراضي الإسلامية منهم إلا عام ١١٩٦ عندما قام صلاح الدين الأيوبي ومن خلفه المسلمون جميعاً بطرد الصليبيين وإجلائهم عن الأراضي العربية الإسلامية كلها.

عاد الصليبيون مدحورين إلى أراضيهم فعمت عندهم الفوضى وتغيرت العقول وصارت هنالك ثورات داخلية قسمت الكنيسة إلى متحررة أو محتجة اسمها (البروتستانتية) والثانية تصلبت في شكلها الذي دُعي بالعالمية (الكاثوليكية) التي كان يسمى بها نظام البابوية.

وتعرض أن يكون البابا ثابتاً في الأراضي التي لم يقم بها نظام الاحتجاج (البروتستانتية) فقد قام بحرب صليبية داخلية في أراضيها التي ضمت جنوب أوروبا. وأقام محاكم التفتيش التي طبقت أقصى نظام للدكتاتورية في أوروبا في القرون الوسطى وهذا ما كان سبباً في اتجاه الناس ولو بعد طول زمان إلى الفكر

اليوناني القديم الذي كان يرفض التسلط والديكتاتورية ليطالبوا بإقامة النظام الديمقراطي من جديد.

وربما كانت الجامعات والثورة الصناعية والثورة الفرنسية وغيرها من المتغيرات سببا في ضعف البابوية إضافة إلى سيادة الأفكار القومية التي طغت على بساط الحياة الاجتماعية في كل أوروبا<sup>(١)</sup> مما جعل البابوية تتحسر شيئا فشيئا حتى جاء النظام الاستعماري الجديد (وهو النظام الصليبي الأخف حدة من الناحية الدينية ولكنه الأشرس) لأنه كان يدعو إلى ضم أقاليم (العالم) كلها إلى سيطرة أوروبا فصار لكل دولة شخصيتها ولكل قومية أوروبية دعائها وحماتها ولغرض توطيد هذا الأمر كان لا بد من:

١. التخفيف من العلاقة البابوية حتى انتهى الأمر إلى إيقاف سيطرة البابا على مقاليد الأمور في كل أوروبا.
٢. اتجاه الحكومات إلى الشعوب لإقرار تأييدها لحماية نفسها ولن يكون بالإمكان أن تكون هناك حماية وتأييد دون فتح باب الديمقراطية من جديد.

### النظام الديمقراطي الجديد في أوروبا

وكان النظام الديمقراطي الذي عاد إلى أوروبا من جديد مختلفاً عن السابق بما يلي:

١. أن الأقطار الأوروبية قد أسست أحزاباً ينتمي إليها الناس ويكون النظام هو نظام الحزب الفائز في الانتخابات أو الائتلافات التي صارت تحل محل سكان المدينة التي عهدناها عند ظهور الديمقراطية..

١- وربما كانت النازية من أقسى أشكال الأنظمة القومية التي جاءت في أوروبا والتي انتهت إلى دمار العالم .

٢. أن الديمقراطية لم تعد حكم الشعب لنفسه وإنما حكم الأكثرية البرلمانية للشعب كله.. أي أن الأقلية ستكون مقهورة ومجبرة على قبول رأي الأكثرية.

٣. ولغرض أن تسود الديمقراطية هذه أجواء الناخبين فلا بد للأقلية أن تقبل بها على مضض وأن تكون معارضة لما يشرع وما يجري بانتظار انتخابات ثانية عسى أن تستطيع أن تصل إلى سدة الحكم فيها.

**موقف الإسلام من الديمقراطية:**

قبل الخوض في موقف الإسلام من الديمقراطية لابد من الإشارة إلى الشورى في الإسلام والتي تمثل أشبه تطبيق بالديمقراطية.

الشورى مصطلح قرآني، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>، بينما الديمقراطية بمعنى (حكم الشعب) مصطلح لاتيني.

وبينما تعبر الشورى عن مبدأ اجتهادي لا يخرج عن دائرة الشرع الإسلامي، فإننا نجد أن الديمقراطية قد ارتبطت بعد الثورة الفرنسية لعام ١٨٧٩ بمفهوم "سيادة الأمة" في جميع الأمور.

وبينما لا يرتبط نظام الشورى بشكل معين للحكم لأن المهم في الإسلام هو الجوهر وليس الشكل، نجد أن الديمقراطيات الحديثة قد اتخذت لنفسها أشكالاً محددة في الغرب تتمثل في النظام البرلماني والنظم الرئاسي ونظام الجمعية.

ولكن بالرغم من هذه الاختلافات بين نظامي الشورى والديمقراطية إلا أنهما يلتقيان في الهدف وهو رفض حكم الفرد المتسلط والدكتاتورية، وفي مسؤولية الأمة في اختيار حكامها ومراقبتهم، كما أن على الحاكم في الدولة الإسلامية أن

1 - سورة الشورى: الآية ٣٨.



يستشير الأمة أو العلماء فيها حول المسائل التي لم يرد بها نص قاطع في الكتاب والسنة مما يترتب عليه وجود حريات أساسية يتمتع بها الأفراد في الأمة. <sup>(١)</sup>

ونجد الإسلام أوجب حق المشاورة على هذه الأمة ابتداءً بنبيها ﷺ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ <sup>(٢)</sup> فهذا النص صريح في وجوب المشاورة على رئيس الدولة الأعلى لأن ظاهر الأمر الوجوب إلا إذا صرفته قرينة عن ذلك. وإذا كان الخطاب في الآية الكريمة -وفيه الأمر بالمشاورة- موجهاً إلى الرسول الكريم ﷺ على جلالة قدره وعظيم منزلته فوجوب المشاورة على غيره من حكام ورؤساء الدولة الإسلامية أوجب وألزم.

وهناك فرقٌ دقيقٌ وحساس بين الشورى والديمقراطية:

١. فالديمقراطية هي رأي النخبة، بينما الشورى تمثل رأي الأمة وفق ضوابط الشرع.
٢. الديمقراطية برلمان لا يستطيع أحد أن يقول لأعضائه شيئاً بعد أن تمّ انتخابهم، بينما الشورى هي برلمان يبقى أعضاؤه خاضعين لرأي الأمة.
٣. الديمقراطية ترى في الأكثرية الحق المطلق بينما الشورى ترى في الأكثرية قاعدة مرجحة وليس الحق المطلق، فإذا كان مع الأقلية فهي أحق بالإتباع لأن المعيار هو الحق.
٤. الديمقراطية ليس لها معيار واقعي للحق لأن رأي الأكثرية في تأرجح بينما للشورى معيار واضح هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين

١- مبادئ العلوم السياسية / ١٣٣.

٢- سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

ولغرض أن ننقل إلى الأقطار العالمية ومنها الإسلامية التي أخذت بالنظام الديمقراطي أو تسعى له.. لا بد أن نسبقها بالكلام عن نظام الحكم في الإسلام لنرى حاجة المسلمين إلى النظام الديمقراطي الغربي الذي يريد الغرب أن يفرضه علينا .

### نظام الحكم في الإسلام

ولغرض فهم موقف الاسلام من الديمقراطية - كما ذكرنا- لابد من استعراض نظام الحكم في الاسلام فمن خصائص الإسلام الشمول، وهذا يعني أنه لا بد من قواعد وأحكام تنظم شؤون الحاكم والحكومة والمحكوم، وهو يسمى بنظام الحكم، وقد اجتهد الفقهاء إضافة لما جاء في القرآن والسنة في كثير من الأحكام والقواعد المهمة المتعلقة بالحكم.

### الحاكم، الخليفة، ولي الأمر، الإمام:

فالخليفة اسم يقال لمن استخلفه غيره ولمن خلف غيره في أمر من الأمور<sup>(١)</sup> وفي الاصطلاح الشرعي هو من يتولى إمرة المسلمين، وتنصيبه واجب على الأمة، يقول ابن تيمية "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها"<sup>(٢)</sup> ومن أدلتها:

أولاً: في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

١ - منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، ج ١/ص ١٣٧ .

٢ - السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١١٣٨ ، وانظر الإسلام والخلافة - ص ٢٢-٢٤ .

٣ - سورة النساء - الآية: ٥٩ .

يديه ولا من خلفه وهو أيضاً سنة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وباختصار معيار الحق عند الشورى هو الشريعة الإسلامية.

من هنا فإن إتباع نظام الشورى أوفق من إتباع نظام الديمقراطية لأنه يحمل خصائص الديمقراطية وأكثر، بل الشورى هو الديمقراطية الرشيدة إن صح لنا استخدام لفظ الديمقراطية لأنه يحمل مفهوماً خاصاً هو أن للشعب الحق في التشريع، بينما المشرع هو الله وحده.

وعلى هذا وغيره تبين لنا بأن مبدأ الشورى قد أقره الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ وكذلك على باقي الأمة الإسلامية لأنه مبدأ يحقق الطمأنينة ويزرع الثقة في نفوس المؤمنين والوصول إلى الصواب والحقيقة، وإن الله تعالى أمر به لتأليف قلوب الصحابة ﷺ وليقتدي به من بعده وليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحي من أمور الحرب والأمور الجزئية وغير ذلك فغير النبي ﷺ أولى بالمشورة وكذلك لا بد أن تكون مشاورة النبي ﷺ إياهم فيما لا نص فيه إذ غير جائز أن يشاورهم في المنصوصات.

فالأمور التي ورد فيها نص في القرآن أو السنة لا تخلو من أن يكون النص فيها محكماً أو غير محكم، ولا مجال للشورى في ما ورد فيه نص محكم بل يجب على الأمة إتباعه والعمل به، فأما ما ورد فيه نص غير محكم (أي أنه يحتمل أكثر من معنى) فينبغي أن تكون الشورى في معناه وتفهمه.

وأما الأمور التي لم يرد فيها نص فهي محل التشاور كإعلان الحرب وعقد المعاهدات وإسناد المناصب الكبيرة في الدولة إلى من يستحقها ومختلف الشؤون الاقتصادية والإدارية والاجتماعية والسياسية ونحوها مما لم تتناوله النصوص.

ثانياً: في السنة القولية يقول ﷺ: " من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" (١) .. أي بيعة للإمام. ومن السنة الفعلية أقام الرسول، الأحكام السلطانية ﷺ أول دولة إسلامية في المدينة وصار رئيسها.

ثالثاً: وفي إجماع الفقهاء ما يقوله الماوردي والشافعي وأبو يعلى الحنبلي إن "عقد الإمامة لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع" (٢) ويقول ابن خلدون في مقدمته "إن نصب الإمام واجب فقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر ﷺ وإلى تسليم النظر إليه في أمورهم. وكذا في كل عصر من الأعصر واستقر ذلك إجماعاً عادلاً على وجوب نصب الإمام" (٣).

رابعاً: إن كثيراً من أحكام الشريعة كالجهاد وإقامة الحدود والعقوبات وإقامة العدل بين الناس لا بد له من إمام له قوة وسلطان لتنفيذه يقول ابن تيميه "ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة" (٤).

وصاحب الحق في الخلافة "من اتفق المسلمون على إمامته وبيعته وثبتت إمامته ووجبت معونته" وأساس حق الأمة في اختياره، قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٥).

١- صحيح مسلم باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، الحديث ١٨٥١ - ج ٣/ص ١٤٧٨.

٢- الماوردي، الأحكام السلطانية ص ٣ ، الأحكام السلطانية لأبي يعلى الحنبلي - ص ٣ .

٣- مقدمة ابن خلدون ص ١٩١، وانظر الإسلام والخلافة - ص ١٧-١٨.

٤- المغني لابن قدامة - ج ٨/ص ١٠٧ ، وانظر المعتزلة وأصول الحكم - ص ٢٧ وما بعدها .

٥- سورة التوبة - الآية: ٧١.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾<sup>(١)</sup> وكثير من الآيات الدالة على مسؤولية الجماعة في تنفيذ أحكام الإسلام. وحيث إن جماعة المسلمين لا تستطيع أن تباشر سلطانها بصفة جماعية لتعذر ذلك في الواقع، فقد ظهرت النيابة في الحكم والسلطان بأن تختار الأمة من ينوب عنها في مباشرة سلطانها. فيكون بذلك وكيلها والنائب عنها قانوناً.

**كيفية ممارسة الأمة لحقها في انتخاب الخليفة أو الإمام:**

الأصل في ممارسة حق الأمة لانتخاب الإمام هو قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> والأمر متروك للأمة نفسها فهي التي تختار طريقة انتخاب الإمام.

١. يمكنها أن تباشر انتخاب الإمام بطريقة مباشرة يشترك جميع أفراد الأمة فيه إلا من استثنى منهم كالطفل والمجنون وغير المسلمين.
٢. أو أن تباشر الانتخاب بصورة غير مباشرة وذلك عن طريق النيابة بنسبة لما أقره العصر الراشدي - وهو أقرب العصور في فهم رسالة الإسلام.

فقد انتخب أولئك الراشدون ﷺ من قبل طائفة من المسلمين وهم من يسمون بأهل الحل والعقد ثم تبعهم المسلمون. فلم ينتخبهم جميع المسلمين ولم يبايعهم جميع المسلمين في جميع المدن الإسلامية. " فإذا تقرر أن هذا المنصب - أي منصب

١- سورة النساء - الآية: ١٣٥.

٢- سورة الشورى: الآية ٣٨.

الخليفة- واجب بالإجماع فهو من قروض الكفاية وراجع إلى اختيار أهل العقد والحل، فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلف طاعته<sup>(١)</sup>.  
**أهل العقد والحل :**

إن أهل الحل و العقد هم المتبوعون في الأمة الحائزون على ثقتها ورضائها لما عرفوا به من التقوى والعدالة ومن شروطها الإسلام والإخلاص والاستقامة وحسن الرأي ومعرفة الأمور والحرص على مصالح الأمة أما علاقتهم بالأمة فهي علاقة النائب والوكيل. فيباشرون انتخاب رئيس الدولة نيابة عن الأمة فيكون انتخابهم ملزماً للأمة<sup>(٢)</sup>.

وقد كان معرفة أهل الحل والعقد في زمن الراشدين يمثل وكالة ضمنية؛ إذ إنهم معروفون بتقواهم وسابقتهم للإسلام ودرابتهم بالأمور وإخلاصهم في العمل مع فضل الصحبة للرسول ﷺ ومدح الله لهم في القرآن وثناء الرسول ﷺ.. ولم يجز اعتراض عليهم أو على قراراتهم حسب ما نقل إلينا. أما في الوقت الحاضر فلا ضير في أن تقوم الأمة بانتخاب أهل الحل والعقد ضمن الشروط التي وضعها الفقهاء فيهم وهي:

١. العدالة الجامعة لشروطها.
٢. العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتمدة فيها.
٣. الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح وتدير المصالح أقوم<sup>(٣)</sup>.

١- مقدمة ابن خلدون - ص ١٩٣، و الأحكام السلطانية للماوردي - ص ٤ .

٢- أصول الدعوة - ص ١٥٨ .

٣- انظر المعتزلة وأصول الحكم - ص ١٢٨ وما بعدها.

هذه الأوصاف يجتمع فيها الأمراء والحكماء والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة<sup>(١)</sup>.  
شروط الخليفة أو الإمام:<sup>(٢)</sup>

ذكر الفقهاء جملة شروط لمن يتسلم هذه المكانة منها:

١. الإسلام. لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

٢. أن يكون رجلاً لقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾<sup>(٤)</sup>. ولقوله ﷺ: "لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ"<sup>(٥)</sup>.

٣. أن يكون جامعاً للعلم بالأحكام الشرعية لأنه مكلف بتنفيذها ولا يمكنه التنفيذ مع الجهل بها. واشترط بعض العلماء الاجتهاد وأن يكون عدلاً في دينه لا يعرف عنه فسق تقياً ورعاً عارفاً بأمور السياسة وشؤون الحكم ذا دراية بمصالح الأمة وسبل تحقيقها.

٤. أن يكون من قریش لقوله ﷺ: "الأئمة من قریش"<sup>(٦)</sup>. وهناك تفاسير كثيرة لمعنى الحديث الذي هو صحيح سنداً وممتناً. وفي ضوء كل التفاسير يترجح لدى الدكتور عبد الكريم زيدان أنه إذا تساوى اثنان في

١- تفسير المنار - ج ٥ / ١٨١.

٢- هناك مناقشة وافية لشروط الخليفة يمكن الرجوع إليها في كتاب المعتزلة وأصول الحكم ص ١٥١ - ٢٠٠ حيث تضع كل جماعة شروطاً أخرى لكننا حصرنا هنا ما هو متفق عليه.

٣- سورة النساء: الآية ١٤١.

٤- سورة النساء: الآية ٣٤.

٥- صحيح البخاري - باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، حديث ٤١٦٣ وباب الفتنة التي تموج كموج البحر، حديث ٦٦٨٦.

٦- المستدرك على الصحيحين - الحاكم، ذكر فضل القبائل - ج ٤ / ص ٨٥ حديث ٦٩٦٢.

الخلافة وكان أحدهما قرشياً وجب اختيار القرشي. وإن كان القرشي عارياً من شروط الخلافة والآخر مستوفياً لها إلا أنه غير قرشي قدم المستوفى لها على القرشي لأن مقاصد الخلافة لا تتحقق بالقرشي وهو عاطل عاري من شروطها وإنما تتحقق بالآخر الكفاء وقد وجد الدكتور زيدان أنه إن لم يوجد القرشي أصلاً كانت الخلافة لمن تتوافر فيه بقية شروطها<sup>(١)</sup>.

### عزل الخليفة أو الإمام:

إن من يملك حق التعيين يملك حق العزل. ولكن الأخير بمبرر شرعي وإلا كان تعسفاً في استعمال الحق وإتباعاً للهوى وهما غير جائزين. أما المبرر الشرعي فهو خروج الخليفة عن مقتضى وكالته عن الأمة خروجاً يبرر العزل أو العجز عن القيام بمهام الخلافة "فهو الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ. فإن زاع عن شيء منهما منع من ذلك وأقيم عليه الحد والحق. فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه خلع وولى غيره"<sup>(٢)</sup> وقيل "وللأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجب مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين كما كان لهم نصبه وإقامته لانتظامها وإعلائها"<sup>(٣)</sup> ومن أمثلة العجز الموجب لعزل الخليفة الجنون المطبق والعمى والأسر بيد العدو على وجه لا يرجى خلاصه. وعند العزل يجب ألا تترتب عليه نتائج مضرّة بالأمة تربو على عدم عزله لأن من

١- أصول الدعوة - ص ١٦٦ وانظر الإسلام والخلافة - ص ٤٧ - ٤٨.

٢- الملل والنحل - ج ٤ / ص ١٠٢.

٣- النظريات السياسية الإسلامية للأستاذ ضياء الدين الرئيس - ص ٢٧٠، وأصول الدعوة - ص ١٦٦

(من المواقف للإيجي وشرحه)



قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن لا يكون العمل على إزالة المنكر مستلزماً أو مقتضياً وقوع منكر أعظم منه<sup>(١)</sup>.

### الشورى

وهي من أهم مقومات نظام الحكم في الإسلام بها نطق القرآن وجاءت السنة وأجمع عليها الفقهاء وهي حق الأمة وواجب على الخليفة والتفريط بها سبب لعزل الخليفة والأدلة على وجوبها تستفاد من القرآن والسنة وأقوال الفقهاء.

١. من القرآن.. قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد أمر الله تعالى

نبيه بذلك ليكون قدوة يسير عليها المسلمون بعده.

٢. وثبت أن النبي ﷺ كان يشاور أصحابه في كثير من الأمور كيوم بدر

وشاور السعدين ابن معاذ وابن عباد يوم الخندق "ولم يكن أحد أكثر

مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ"<sup>(٣)</sup>.

### الأمور التي تجري المشاورة فيها:

والمشاورة مع الأمة تجري في شؤون الدولة المختلفة وفي الأمور الشرعية والاجتهادية التي لا نص فيها أي أن رئيس الدولة يستشير في أمور الدين التي لا وحي فيها وفي أمور الدنيا كتسيير الجيوش وإعلان الحرب وعقد المصالحات وإسناد المناصب المهمة في الدولة إلى مستحقيها.

أهل الشورى: إن السوابق التي جرت في سنة الرسول ﷺ تدل على أن أهل الشورى تارة يكونون جمهور الأمة وطوراً يكونون جميع المسلمين الموجودين وقت المشاورة ويتعلق بهم موضوع المشاورة وأحياناً يكون أهل الشورى المتبوعين

١- الإسلام والخلافة - ص ٧٢-٨١، وانظر فتاوى ابن تيمية - ج ٢٨/١٢٩ .

٢- سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٣- السياسة الشرعية لابن تيمية - ص ١٦٩ .

في قومهم وأحياناً يكون أهل الشورى بعض المسلمين من ذوي الرأي. فيختلف أهل الشورى باختلاف موضوع المشاورة.. "فيشاور الإمام علماء الأمة فيما يشكل عليه من أمور الدين. ويشاور وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب. ويشاور وجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح. ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارته"<sup>(١)</sup>.

### فإذا اختلف رئيس الدولة مع أهل الشورى؟

١. أن يعرض الأمر على كتاب الله وسنة رسوله .  
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.
٢. فإن لم يوجد الحكم صريحاً فأى الآراء أشبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به.
٣. فإن لم يظهر رأياً شبيهاً بكتاب الله وسنة رسوله، فللخليفة أن يأخذ برأى الأكثرية أو الأقلية أو لا يأخذ بهما أي أن يأخذ برأيه لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>.  
فالمشاورة واجبة وهي غير التنفيذ فالتنفيذ متروك لرئيس الدولة لأنه أمر اجتهادي فيأخذ بأى الآراء يراه صواباً.

١- السياسة الشرعية لابن تيمية - ص ١٧٠ .

٢- سورة النساء: الآية ٥٩.

٣- سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

## مقاصد الحكم في الإسلام:

ومعنى مقاصد الحكم هي وظائفه:

**المقصد الأول: حراسة الدين وحراسته تعني أمرين:**

**الأول: حفظه.** وحفظ الإسلام يعني إبقاء حقائقه ومعانيه ونشرها بين الناس كما بلغها رسول الله ﷺ وسار عليها صحابته الكرام ونقلوها إلى الناس من بعده فعلى الإمام "حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة"<sup>(١)</sup>. ومن لوازم حفظ الدين دفع الأعداء عن دار الإسلام لأن فقدان دار الإسلام ضياع الإسلام وطمس لحقائقه وزعزعة لعقيدته.

**الثاني: تنفيذه:** بتطبيق أحكامه في سائر معاملات الناس وعلاقاتهم فيما بينهم وعلاقاتهم مع الدولة وفي علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول ومنها حمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره وترغيبهم في ذلك ومعاقبة المخالفين بالعقوبات الشرعية ومنها إزالة المفساد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(٢)</sup>.  
**المقصد الثاني: سياسة الدنيا به.**

وسياسة الدنيا بالدين هي إدارة شؤون الدولة والرعية على وجه يحقق المصلحة ويدرك المفسدة إذا كانت شؤون الحياة وفقاً لقواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها المنصوص عليها أو المستنبطة منها وفقاً لقواعد الاجتهاد السليم ومن أوجه تلك السياسة التي يضطلع بها الحكم الإسلامي:

١- أبو يعلى الحنبلي - ص ١١، وانظر الإسلام والخلافة - ص ٢٠.

٢- سورة الحج: الآية ٤١.

١. إقامة العدل بين الناس وذلك بإعطاء كل إنسان حقه وعدم ظلمه في شيء.
٢. إشاعة الأمن والاستقرار حتى يأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ويتنقلوا في دار الإسلام آمنين مطمئنين.
٣. تهيئة ما يحتاجه الناس من فروض الكفاية التي يجب وجودها في الأمة لسد حاجاتها وأن "لولي الأمر إيجاب أصحاب الحرف والصناعات على العمل بأجر المثل إذا امتنعوا عن العمل وكان في الناس حاجة إلى صناعاتهم" (١).
٤. استثمار خيرات البلاد فعليه أن يحفر الأنهار وإجراء المياه فيها وتحميل بيت المال نفقات ذلك وتنظيم الري وإقامة السدود وتحسين الزراعة واستخراج المعادن وإقامة المصانع وتعبيد الطرق التي تسهل نقل المحاصيل وإيجاد سبل العمل الشريفة للمواطنين وغير ذلك.

١- الطرق الحكمية لابن القيم - ص ٢٢٢ ، وانظر الإسلام والخلافة - ص ٢٠-٢٢ .

# الاستشراق

## الاستشراق

يتبين من دراسة حركة الاستشراق.. أن مفهومه وخصائصه تدل على مواقف أهله العقائدية والفكرية المعادية للإسلام. ويكتسب أبعاداً خطيرة في جوانبه السياسية والثقافية منذ نشأته.

لقد نبين لمتتبعي الحركة الإستشراقية.. إن الهدف البعيد للعاملين في حقله من الغربيين (بطبيعة الحال) هو إنكار رسالة الإسلام والتكذيب للرسول ﷺ وإثارة الشبهات حول الإسلام وحول القرآن ورسالة النبي ﷺ لتشكيك المسلمين ومحاولة ردهم عنه بمختلف الوسائل. هذا بالإضافة إلى الصورة المشوهة التي كونها المستشرقون عن الإسلام والمسلمين ونشروها في الجامعات وفي وسائل الإعلام مما له أثر كبير على صانعي القرارات في الحكومات الغربية.

لقد انتشر الإسلام بسهولة وبصورة مذهلة ليمتد في مشارق الأرض ومغاربها.. ولا زال الانتشار جارياً في إفريقيا وأوروبا وأمريكا.. وكان انتشاره الأول مذهلاً.. حيث ساعد على إنهاء السيطرة اليهودية على الجزيرة العربية وتأثيرها على معظم قبائل الجزيرة (أيام النزول). وقصه لأجنحة الإمبراطوريات الساسانية والبيزنطية والرومانية.. وتشكيله لحكومة مركزية استطاعت أن تدير كل الأراضي الإسلامية في (الشرق والغرب) بكل حكمة وسلام.. امتدت إلى عصور متأخرة.. بينما انحسر اليهود والنصارى في كل مكان.. وهذا ما دعا أباطرة الكنيسة للتوجه نحو الشرق لمعرفة لغة هذا الدين الذي يزيد أتباعه ولا ينقصون.. وبدأوا بالتدخل في مجريات حياة الشعوب الإسلامية بكل خبث حين هياؤا كوادراً علمية هادفة سعت إلى القيام بدراسات سميت (استشراقية) لتمييزها عن بقية الآداب، حيث إنها مختصة بعلوم الشرق الإسلامي كما سنرى..

أن يكون للمسلمين أية حضارة، وبعد أن أطلق التصريح وثبته وسائل الإعلام، اعتذر اعتذاراً سياسياً متهافناً عن تصريحه.

ثم راح قائد الحملة ضد الإرهاب الدولي بوصف حملته ليقول بأنه سيقود حملة (صليبية) ضد الإرهاب، وبعد أن أطلق ذلك التصريح وثبته وسائل الإعلام، اعتذر هو الآخر بقوله إنه زلة لسان.

ولعل ذلك يتفق مع ما أطلقته كولدا مائير التي ساهمت بتأسيس الدولة الصهيونية (قبل نصف قرن) بنفيها لوجود ما يسمى (فلسطيني) لتتفي وجود الإسلام وتزيد شراسة الحرب ضد الفلسطينيين فيما بعد.. والتي بلغت ذروتها في مطلع القرن الحالي.

فالحملة الصليبية إذن ما زالت قائمة، وما زالت اليهودية العالمية تساند الغرب في الوقوف بوجه الازدهار العربي الإسلامي، ويتخذ هذا وذاك، المستشرق عضداً له يسند ما يقوله ويبشر به.

### تعريف الاستشراق

هنالك تعاريف عديدة للاستشراق باعتباره علماً<sup>(١)</sup> أو منهجاً أو أسلوباً في

التفكير الغربي.

فقد عرف الاستشراق بأنه منهج غربي في رؤية الأشياء والتعامل معها يقوم على أن هناك اختلافاً جذرياً في الوجود والمعرفة بين الغرب والشرق. وأن الأول يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الثاني.

وعرفه آخرون تعريفاً أكاديمياً يقول: الاستشراق عبارة عن دراسات (أكاديمية) يقوم بها غربيون في الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه، تاريخه

١- يرفض الدكتور إدوارد سعيد أن يدعو الاستشراق (علماً) لأنه في رأيه مجهول موضوعه ويصور لنفسه حقائق غير موجودة. انظر نبيل بهيم - الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة - ص

وكانت خصائص هذه الدراسات:

١. أنها دراسات قامت أساساً على الارتباط الوثيق بالاستعمار الغربي الذي توسعت نشاطاته في القرن التاسع عشر الميلادي.
  ٢. أنها دراسات ذات ارتباط بحركة التبشير والتتصير الغربية والتي نجحت في التهديم لكنها فشلت في كسب أتباع لها.
  ٣. وأن منها دراسات يهودية، كان الغرض منها تثبيت المفاهيم التي تساعد على السيطرة الاقتصادية والسياسية في المنطقة.
  ٤. وبذلك الأهداف وبوسائلها الكثيرة أسهمت هذه الدراسات وبشكل فعال في صنع القرار السياسي في الغرب ضد الإسلام والمسلمين.
- لقد كانت الدراسات القرآنية ودراسات السنة النبوية من أشرف الدراسات في العالمين العربي والإسلامي وما زالت. ويرتبط وجود شعوب هذين العالمين بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً لأنه هويتها في الحياة، وقد عرف الغربيون أن أتباع القرآن الكريم والمؤمنين به يشكلون الخطر الحقيقي على المصالح الغربية في كل زمان.. فكان لا بد لهم من الدخول إلى هذين العالمين من خلال الثغرات التي حصلت بسبب تغير الظروف، والبدء في احتواء هذه المخاطر عن طريق الإجهاز على العقلية الثقافية، فكان الاستشراق أول المتطوعين لصد الخط الذي يزعمون.. وكان لا بد من الوقوف الجاد ضد القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ بشتى الوسائل.. تبعتها دراسات في كل مجالات الحياة لاحتواء العالمين العربي والإسلامي كما ذكرنا- وتأخيرهما عن ركب التطورات التقنية الحاصلة في الغرب وجعل الشرقيين في حالة تبعية للغرب.

وما أن تحرك الغرب في مطلع القرن الحالي ليعلن أول حرب كونية ضد ما أسماه (الإرهاب) حتى كثر الغربيون عن أنيابهم. فنجد رئيس وزراء إيطاليا يسب الحضارة الإسلامية. ويصفها بأنها متأخرة عن الحضارة الغربية بل وقد نفى



وثقافته وأديانه ولغاته ونظمه الاجتماعية والسياسية وثوراته وإمكانياته. من منطلق التفوق العنصري والثقافي على الشرق. وبهدف السيطرة عليه لمصلحة الغرب. وتبرير السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية<sup>(١)</sup>. أما إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" فيميل إلى تعريفه بأنه: "أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله (فكرياً وسياسياً) وممارسة السلطة عليه".

ويعرفه الدكتور أحمد غراب بأنه: "دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة وشرعية وثقافة وحضارة وتاريخاً ونظماً وثورات وإمكانيات بهدف تشويه الإسلام. ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه. وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية الموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"<sup>(٢)</sup>.

يتبين من التعاريف السابقة أنها ترفض أن يكون الاستشراق علمياً وموضوعياً. فالاستشراق هو العلم الذي يدرس لغات الشرق وتراثهم وحضاراتهم ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم. ويدخل ضمن معنى الشرق أية منطقة شرقية لكن (المصطلح) يعني هنا ماله علاقة بالدراسات العربية أو اللغات التي تؤثر عليها العربية كاللغات الفارسية والتركية.

وقد بدأت الدراسات تتسع وتستقل حتى أصبح لكل منطقة من المناطق تسميتها. فبدأ بعضهم يدعو دراسة اللغة العربية وشؤون العرب بالدراسات العربية Arabistic ويدعو المستشرقين المتخصصين بالعربية بالمستعربين<sup>(٣)</sup>.

١- رؤية إسلامية للاستشراق ص ٥ .

٢- رؤية إسلامية للاستشراق ص ٧ .

٣- مناهج المستشرقين، د. سعدون محمود الساموك ، و د. عبد القهار العاني - ص ١٧ .

### تاريخ الاستشراق

لقد أثبتت الوقائع التاريخية أن النشاط الاستشراقي قد توسع وحقق أغراضه وأهدافه التي نشأ من أجلها خلال القرن التاسع عشر حين بدأ الاستعمار الغربي يوسع نشاطاته لاحتلال الأراضي العربية الإسلامية وجعلها تحت السيطرة. ولكن الحقيقة العلمية أن تاريخ الاستشراق يعود إلى فترات أعمق بكثير من القرن التاسع عشر. إذ يرى الكثير من العلماء أن الاستشراق تمتد جذوره إلى عصر الصليبيين<sup>(١)</sup>. فهو إذن قد مر بمرحلتين:

**الأولى:** وهي المرحلة التي نقل الكنسيون فيها علوم الكنيسة وفلسفة اليونان من حاضرة العرب (بغداد) وغيرها من البلدان إلى (روما) حيث كانت الكنيسة في احتضار فكري.

وكانت هذه المرحلة قد بدأت منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام. وكان أعظم ما قام به العرب إلى جانب نشرهم الإسلام وتأليفهم في علومهم المختلفة، قيامهم بترجمة آداب وفلسفات العالم وخاصة اليونانية والرومانية والهندية والفارسية، ومناقشتها والرد عليها، فكانت علوم الكنيسة من العلوم التي تناولوها بالترجمة والنقد والمناقشة ولا شك في أن بعض الفلاسفة المسلمين قد استفادوا في الفلسفة اليونانية ومزجوها بالفكر الإسلامي وجعلوا من بعض فلسفات الإسلام محاكية لليونانية. ولكن وبدون أن نبخس حق هذا المزيج الفكري الفريد، لا بد أن نعود إلى القول بأن الفكر الإسلامي لم يكن بحاجة بذاته لهذه الفلسفة، فلقد آمن الناس به بدونها وانتشر قبل معرفتها ولا يعود لها أي فضل على الإسلام، فإن كان هناك من فضل، فالفضل هو للإسلام على أمم الغرب، فبدون هذه الترجمات وبدون الفلسفة الإسلامية التي حاكت فلسفة اليونان. لم يكن لدى الكنيسة في روما قدرة على ترجمة آثارها اليونانية والرومانية وخاصة في العصر الذي أطبق الجهل فيه على

١- د. عرفان عبد الحميد - المستشرقون والإسلام - ص ٤.

شعوب أوروبا. وقد وفد على حاضرة المسلمين -بغداد- وكذلك غيرها، عشرات من كتّاب الكنيسة لينهلوا من علوم الإسلام ويصلوا إلى المؤلفات اليونانية ومناقشات العرب المسلمين عليها ليترجموها بعدئذ إلى لغاتهم وخاصة اللاتينية، لغة الكنيسة آنذاك لتعتمدها في نشر أفكارها ويمكن عد رحلاتهم هذه كموجة استشرافية أولى بالمعنى الذي نقصده، فقد تعلموا خلالها العربية ونقلوا علومها إلى شعوبهم، إلا أنهم نقلوا أفكاراً مشوهة عن العرب والمسلمين، وصوروا نبيهم ودينهم أبشع تصوير فصوروا الرسول ﷺ كاردينالاً منشقاً على البابوية طمع في كرسيها فلما خابت آماله ادعى النبوة، ولصا "وقاتلا وزير نساء وكافراً وساحراً ودجالاً وخائناً وفاجراً" وشيطاناً وإرهابياً يشيع الموت وينشر الدمار، وداعية إباحية اتخذ من شيوعية المرأة وسيلة لهدم الكنيسة المسيحية وفضائل الأخلاق<sup>(١)</sup>.

وصوروا الإسلام مزيجاً مشوها مستقى من أصول مسيحية ويهودية تلقاها الرسول ﷺ من أساتذته أبحار اليهود ورهبان النصارى وقسهم وصوروا الإسلام أيضاً بصورة زندقية بل "منبع الزندقات" وفرقة منشقة عن الكنيسة. وصوروا القرآن الكريم بأنه كتاب يناقض بعضه بعضاً وغير منسجم في أفكاره وغير منظم فيما يحويه وكل ما فيه يخالف العقل ويعوق الفكر "أما المسلمون فهم وحوش وأبناء شياطين وأهل لواط ومشركون يعبدون مجعاً من الأصنام".

وكانت معظم هذه الصور قد دونها القديس يوحنا الدمشقي الذي عاش في العصر الأموي في دمشق، وبعضها في رسالة منتحلة نشرها مؤلف يدعي أنه كان مسلماً وارتد عن الإسلام وآمن بالمسيحية، اسمه عبد المسيح بن إسحاق، وكان المستشرقون من المبشرين المسيحيين قد أعادوا نشرها في القرن التاسع عشر في لندن<sup>(٢)</sup>، وذلك لتخدم أغراضهم في الطعن بالأمة العربية وتراثها المقدس. ولقد

١- المصدر السابق، نفسه ص ٦.

٢- المصدر السابق، نفسه ص ٩ - ١٠.

ساعدتهم ذلك الدس والافتراء على تأجيج حقد الشعوب المسيحية على العرب والمسلمين فضلاً عن أحداث أخرى استغلتها الكنيسة لتزحف بشعوبها نحو البلاد العربية في حرب صليبية كان لها هدفان:

الأول: تهديم معالم الإسلام وإنهاء دوره الذي طغى على دور الكنيسة آنذاك.

الثاني: إيجاد مستعمرات في الأراضي العربية ينقلون إليها مراكز حكمهم بعد أن اشتد الصراع فيما بين أمراء وملوك أوروبا وما بين بابا روما على السلطة. وقبل أن تنتقل إلى المرحلة الثانية من مراحل الاستشراق لا بد من التنويه إلى أن دراسات الغربيين لأحوال الجزيرة العربية أو الشرق قد سبقت عصر الصليبيين بكثير، وحسب آراء المؤرخين، فقد عثر على كتاب لمؤلف عربي مجهول اسمه (الطواف حول البحر الأريتري) يعود حسب رأي الدكتور جواد علي إلى نهاية القرن الأول للميلاد<sup>(١)</sup>.

وظهرت معلومات مفصلة عن الخليج العربي عن (فلافيوس أريان) اليوناني في مؤلفاته عن حملات الإسكندر الكبير أو رحلات القائد اليوناني نيرخوس قائد الإسكندر في الخليج العربي، كما أن المؤرخ (سترابو) الذي رافق حملة ليوس غاليس.

أما الثانية: فهي المرحلة التي يتفق جميع المؤرخين على أنها حركة (استشراق) بالمعنى العلمي الذي اصطلح عليه والتي بدأت بشكل واضح في نهاية القرن السابع عشر. وقد خدم فيها المستشرقون أغراضاً شتى منها:

### ١. التبشير

والتبشير هو الجهود المبذولة من الكنائس المسيحية للدعوة إلى المسيحية. حيث نشطت الكنيسة في إرسال أعضائها إلى مناطق عديدة في أفريقيا وآسيا،

١- د. عبد الجبار ناجي - تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي - ص ١٣ .

وبخاصة في المناطق العربية، كشمال أفريقيا وسوريا ولبنان وبعض مناطق الجزيرة. وكان عملهم ناجحاً في المجال الثقافي والاجتماعي والسياسي أكثر من المجال الديني. فالمسلمون لا يعطون أدناً دينية صاغية للمبشرين وبالتالي فقد أفلس رجال الكنيسة الغربية في تحويل المسلمين إلى مسيحيين مما جعلهم ينقمون عليهم وينقلون تراثهم إلى أوروبا بصورة مشوهة لا تعكس الحقيقة وجعلوا الأوروبيين ينظرون إلى العرب المسلمين نظرات فيها حقد وازدراء بعد أن صوروهم لهم بصور مختلفة وأصقوا بهم نعوتاً مغايرة لما يتصفون به.

وكان وجود المبشرين في الأراضي العربية فرصة كبيرة لهم لتطوير إمكاناتهم اللغوية، حيث تمكنوا من دراسة العربية الأم فضلاً عن اللهجات المحلية واشتغل المهتمون منهم بالتراث العربي فبرز كثيرون منهم في المجال الاستشراقي. ومن قداماء المبشرين المستشرق الإنجليزي هنري بريدو الذي ألف كتاباً عن الرسول الكريم، وكان كاهناً في نورويج ببريطانيا سنة (١٦٨١م). وسيمون أوكلي المستشرق الإنجليزي، مؤلف كتاب تاريخ العرب بجزأين، قسيس سوانسي بكمبردج في إنكلترا عام (١٧٢٠) وجاكينز المستشرق الفرنسي الذي ألف كتاباً عن حياة الرسول ﷺ معتمداً (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء، طبعة عام (١٧٢٣م).

ومن المحدثين المبشر المستشرق جاك جوميه والأب لويس كارديت أستاذ اللاهوت والفلسفة في معهد تولوز بفرنسا، والأب لامانس والأب صموئيل زويمر الأمريكي .. وغيرهم.

ولا بد من التذكر بأن كثيراً من المبشرين الذين أفلسوا دينياً في المناطق العربية وبخاصة المستشرقين منهم، قد قدموا خدمات جليلة إلى الغرب، حيث نقلوا لهم وبدقة كل ما درسوه في الشرق من صفات لأخلاق العرب، والعوامل الاجتماعية التي تحيط بهم وبحياتهم الاقتصادية والمؤثرات السياسية والثقافية وكل

ما يُمكن الاستعمار من الدخول فيه من الثغرات، وبمعنى آخر، فقد كان استشراق المبشرين عاملاً مهماً لدراسة (الطبيعة) التي يحتاج الاستعمار لمعرفتها عن الوطن العربي، هذا من جانب ومن جانب آخر، فقد جلب المبشرون من المستشرقين، أخلاق الغرب وثقافته وحضارته، وكان التصاقهم بالشعب العربي أو بطوائف منه، قد فتح الأذهان على الغرب مما جعل لوجودهم بين العرب أثراً في تغلغل الثقافة الغربية وانتشارها وهي من العوامل المساعدة على دخول الغرب كله إلينا بعدئذ. ويمكن أن نلخص دور أولئك المبشرين من المستشرقين في ثلاثة أمور:

**الأول:** أن دراساتهم قد كونت صورة مشوهة عن الإسلام في أوروبا وكانت تستمد موادها الأولية من مصادر سبقهم إلى كتابتها المستشرقون الأوائل الذين ذكرنا دورهم أثناء وبعد الحروب الصليبية.

**الثاني:** إن تلك الدراسات قد كونت شكلاً منهجياً وإطاراً فكرياً في أوروبا عدها جميعهم مسلمات وحقائق على الرغم مما توصل إليه كثيرون من نقائص لها في بحوثهم.

**الثالث:** تعميم أجواء الاستشراق بحقد دفين على الإسلام والأمة العربية بالذات على الرغم مما تدعيه تلك الدوائر من التجرد والموضوعية والعلمية. ولقد ضربنا أمثلة على الإساءة إلى تراثنا، سواء إلى مقدسات أمتنا أو إلى عظمائها وكذلك في قدرات الأمة العربية على النهوض فهم يأخذون من الأمور والصور شكلياتها دون أن يدرسوا الأسباب التي أدت إلى بعضها، فحين يتكلمون عن نساء النبي ﷺ يصفون النبي زيراً للنساء وداعية للإباحية وذلك بإقراره تعدد النساء فيصفون ذلك التعدد شيوعية للمرأة اتخذها النبي ﷺ وسيلة لهدم الكنيسة المسيحية وفضائل الأخلاق. متناسين أن تعدد الزوجات كان موجوداً في القرن المسيحي الأول ومنعته الكنيسة في القرن الثاني، وكان أوغسطين مؤرخ الكنيسة يهاجم (ترتوليان) أحد أعمدة الكنيسة في القرن الأول لاتخاذهِ إحدى عشرة امرأة له.

ولم يقف حدود الهجوم على شخص النبي صلى الله عليه وسلم وإنما تعداه إلى القرآن الكريم فراحوا يصفونه بأنه مستقى من أصول مسيحية و يهودية تلقاها النبي ﷺ من أحبار اليهود والرهبان.. وإذا جاءوا إلى تفسير آياته يترجمون الكلمات التي تحتمل أكثر من معنى في لغاتهم إلى المعنى الذي يتفق وأهدافهم التبشيرية دون الرجوع إلى تفسير المفسرين المسلمين للاستفادة من المعاني التي ذكروها<sup>(١)</sup>.

### أهداف التبشير

يقول الدكتور محمد الحاج بأن التبشير مر بمرحلتين:  
الأولى: محاولة التصير، ولكنها بعد قرون تبين فشلها، فانتقل التبشير إلى المرحلة الثانية .

الثانية: وهي إبعاد المسلمين عن دينهم، وهذا يبين مدى ارتباط التبشير بالاستعمار .

والمبشرون هم طلائع الاستعمار وهم عيونهم، يقول المبشر الأمريكي جاك مندلسون: "لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين لا لمصلحة المسيحية دائماً بل لخدمة الاستعمار".

وقال نابليون: هؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً في آسيا وإفريقيا، وسأرسلهم لجمع المعلومات من الأقطار، إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية<sup>(٢)</sup>.

١- أفاض الدكتور محمد صالح البنداق في كتابه (المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ) في ذكر أمثلة

على إساءة الترجمات لمعاني القرآن الكريم .

٢- الرب والله وجوو ، جاك مندلسون - ترجمة إبراهيم سعد - القاهرة - ص ٢٠٩ .

## وسائل التبشير

ويقول الأستاذ الحاج بأن المبشرين استخدموا لتحقيق أهدافهم مختلف الوسائل والأساليب وعملوا في مجالات شتى وكان من أهم هذه المجالات والتي ذكرنا بعضها ومنها:

١. الخدمات الاجتماعية: فقد عمدوا إلى إنشاء المؤسسات الخيرية المتنوعة الأغراض في البلاد التي توجهوا إليها حيث بدأت هذه المؤسسات تقدم المساعدات العينية من غذاء وملابس مستغلين حالات الفقر والكوارث الطبيعية، وعملوا في مختلف المواقع وتحملوا الظروف الصعبة في البوادي والأرياف والأدغال في المدن والمخيمات وفي الحرب والسلام، ونراهم ينشطون في مخيمات اللاجئين المنتشرة في مختلف بلاد المسلمين.

٢. المجال التعليمي الثقافي: حيث اهتموا اهتماماً كبيراً في التعليم بمختلف مراحله من رياض الأطفال إلى الجامعات، فقد بدأوا مع الطفل منذ نعومة أظفاره لتوجيهه نحو الوصول إلى أهدافهم مستغلين طفولته ومستغلين جهل أهله وحاجتهم، ووضعوا المناهج المناسبة لتحقيق هذه الأهداف وتعاونوا مع الاستشراق في المرحلة الجامعية.

أما المعاهد والمراكز والنوادي الثقافية فهناك الكثير منها وتقوم كلها بدورها التبشيري سواء ما كان منها تابعاً لجامعات أو مؤسسات ثقافية رسمية أو جمعيات ثقافية أو ما كان تابعاً مباشرة للفايتكان أو مجلس الكنائس العالمي بجنيف.

٣. المجال الصحي: فقد قاموا بفتح العيادات والمستشفيات التي بدأ يؤمها أبناء المسلمين لحاجتهم الماسة لها ولعدم وجود البديل في كثير من الأحيان وعمل فيها المبشرون في مجال الطب وفي مجال التمريض



تستخدم هذه العيادات والمستشفيات وسائل لوصول المبشرين إلى الناس واحتكاكهم بهم، وإظهار اللطف في التعامل معهم في وقت يكون المريض أحوج ما يكون إلى هذه الدعاية والعناية فيتأثر بهذه الأخلاق المصطنعة. واستمع إلى نصيحة إحدى المبشرات وهي تنصح الطبيب الذهاب في مهمة تبشيرية (يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتركز (تبشر) لهم بالإنجيل إياك أن تضعي الطبيب في المستشفيات فإنه أضمن تلك الفرص على الإطلاق، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك إن واجبك الطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه)<sup>(١)</sup>.

وإذا سنحت لك الفرصة بزيارة إحدى المستشفيات التبشيرية فإنك ترى الصليب والإنجيل فوق كل سرير، وترى الممرضات بلباس الراهبات والمواعظ اليومية التي يتلقاها المرضى من هذه الممرضات وكل هذا بلا شك يحسن صورة الغربيين عند المسلمين ويظهرهم بهذا المظهر الإنساني النبيل بدل الصورة الحقيقية التي ظهروا عليها أثناء الحروب الصليبية وحتى يومنا هذا في حربهم المعلنة والخفية على العالم الإسلامي.

٤. المجال الإعلامي: فقد استخدم المبشرون كل وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية لبث دعايتهم وسمومهم أنشأوا الصحف والمجلات واقتحموا محطات الإذاعة و التلفزة وأنجوا الأفلام والأشرطة ودخلوا إلى عالم الحاسوب والإنترنت وأسسوا دور الطباعة والنشر وأصدروا المطبوعات من كتب ونشرات واستخدموا البريد لإيصال هذه النشرات

١- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية - إبراهيم خليل أحمد - ص ٣٩ .

والمخاطبات وأنفقوا في ذلك المليارات مما يجمعونه من الشعوب الغربية المتعصبة الحاكمة على العالم الإسلامي.

وقد قاموا بتوزيع هذه المؤلفات والمنشورات والكتب التي تمجد تعاليم المسيحية على أبناء المسلمين.

وفي مجال الكلمة المسموعة فقد أنشئت برامج إذاعية تنصيرية ومئات المحطات المتخصصة لذلك بكافة لغات العالم الإسلامي وبخاصة في آسيا وإفريقيا. ومن هذه الإذاعات على سبيل المثال لا الحصر: إذاعة مونت كارلو وساعة الإصلاح في الخرطوم، وإذاعة المحبة والوفاء في بيروت ونداء الرجاء في ألمانيا.

هذا وقد عقدت المؤتمرات واللقاءات في هذا المضمار حيث عقد في نيجيريا اجتماع ضم حوالي أربعين من زعماء الكنائس الإفريقية اللوثرية ومديري المحطات الإذاعية ورجال الإعلام لبحث تضافر الجهود وتطوير أسلوب الإذاعات التنصيرية في غرب إفريقيا كما عقد اجتماع في تنزانيا ١٩٨١م خاص بشرق إفريقيا<sup>(١)</sup>.

واليوم يستخدم العمل التبشيري عشرات المحطات التلفزيونية والفضائية للقيام بنفس المهمة موجهة إلى أنحاء العالم كله، ومن أهمها المحطة الفضائية الأولى لمسيحيي الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ((Sat 7) على القمر الأوروبي).

٥. مجال المؤتمرات والإرساليات التبشيرية: ولتحقيق هذه المخططات التنصيرية عقد العديد من المؤتمرات التنصيرية لدراسة خطط هذه النشاطات ودراسة المشكلات التي تعترض مسيرة هذه الحركة التبشيرية العالمية وكان من أشهر هذه المؤتمرات:

١- نذير حمدان - الغزو الثقافي - ص ١٢٤ .

مؤتمر القاهرة التصيري ١٩٠٦ المنعقد في منزل زعيم الثورة العربية (أحمد عرابي)، حيث تعرض هذا المؤتمر للحديث عن الأزهر ودوره في العالم الإسلامي وضرورة التصدي له وإضعافه، وطلب سكرتير المؤتمر في مواجهة ذلك بإنشاء معهد مسيحي لتتصير الممالك الإسلامية.. ثم عرض المؤتمر لخريطة تتصير العالم الإسلامي في هذا العصر، وقدم القس (زويمر) رئيس المؤتمر كتاباً بعنوان (العالم الإسلامي اليوم) ثم قدم بعض النصائح من بينها وجوب إقناع المسلمين أن النصارى ليسوا أعداءهم وأنه يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها. ومؤتمر لكنؤ المنعقد في الهند عام ١٩١١م وكان من موضوعات هذا المؤتمر النظر في حركة الجامعة الإسلامية وكان من بين قراراته تأسيس مدرسة خاصة بالتبشير في مصر ودخول النساء في أعمال التبشير<sup>(١)</sup>.

## ٢. الاستعمار

وهنا لا بد من التقرير بأن المستشرقين جميعاً قديمهم وحديثهم خدموا بشكل أو بآخر أغراض الاستعمار.. فقد سبق أن أشرنا إلى ظهور مؤلف عن البحر الأبيض منذ القرن الميلادي الأول، ثم إن هناك دراسات عن الواقع العربي في عصر الصليبيين شهدت حملات نابية شديدة على الإسلام والتراث العربي برمته. وهناك دراسات اجتماعية وسياسية وإستراتيجية صاحبت الحملات البرتغالية إلى الخليج العربي والبحر الأحمر.. وعندما بدأت أوروبا بالانتعاش الاقتصادي، وصارت لها الأساطيل الحربية القوية، بدأ ملوكها بإرسال علمائهم إلى الأقطار

١- د. علي جلاشة و محمد شريفق الزبيق - أساليب الغزو الثقافي للعالم الإسلامي - دار الاعتصام ، وانظر محاضرات في الثقافة الإسلامية - ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

العربية لدراسة أوضاعها وتراثها. وقد صاحب ذلك حملة قوية لتعلم العربية، حتى نادى رجال الكنيسة أنفسهم بفتح مراكز لتعليم العربية في جامعات أوروبا المختلفة والتي بدأت بالتوسع. وكانت الكنيسة -هي الأخرى- قد تطوعت لخدمة الأغراض الاستعمارية وذلك بإرسال بعثاتها لدراسة الأوضاع في المشرق والمغرب العربي والكتابة إلى الدوائر المعنية في بلدانها للاستفادة منها.

وبدأت البعثات الدبلوماسية تؤدي دورها الاستشراقي أيضاً فكثير من أعضائها وقناصلها كانوا من العاملين في حقل الاستشراق وكتبوا عن العرب الشيء الكثير فكان (بوكون) قنصلاً لفرنسا في (حلب) و(كلريهون) قنصلاً لفرنسا في القدس ثم في الآستانة و(بوتي) الذي كتب عن المدينة الإسلامية قد عين من قبل الإدارة الفرنسية في المغرب الأقصى<sup>(١)</sup>.

وهناك (كاتافاكو) قنصل فرنسا في دمشق والذي كتب شرحاً باللغة الفرنسية عن (تعاليم الطائفة النصيرية). وكان هناك آثاريون قد عملوا في الأراضي العربية وعينوا بمناصب دبلوماسية. فكشف (لوفتوس) مثلاً موقع نينوى وعثر على بقايا قصر آشور، فانتخب بعدئذ عضواً في مجلس العموم البريطاني ثم وكيلاً لوزارة الخارجية<sup>(٢)</sup>.

وكان الأب جوسين والأب جاك جوميه والأب صموئيل والأب كاردي، قادة للحملات التبشيرية فيحاولون أن يعكسوا أفكارهم عن الإسلام -وهي أفكار مشوهة، فإذا توفر فيها بعض إخلاص فإن أدوات المستشرقين الفكرية تقصر عن طبيعة الغرب والمسلمين.

١- د. عبد الجبار ناجي - تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي - ص ١٥ .

٢- المصدر السابق، نفسه ص ٦٠.

وأما أنهم يتأثرون بوجهات النظر الاستعمارية فيخدمونها عن طريق مباشر أو غير مباشر فيسيئون عن عمد إلى كل ما هو عربي وإسلامي<sup>(١)</sup>.

### ٣. التغريب

وقد عمد الاستعمار إلى تغيير نمط الحياة العامة في العالم الإسلامي بحيث يعتمد المجتمع الإسلامي على الفكر الغربي ومقاييسه وطرائقه بهدف سيادة الحضارة الغربية واثبات تفوقها على الحضارة العربية الإسلامية. والتغريب هو صبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة الغربية في كل جوانب الفكر والحياة. وبهذا يصبح المسلم يفكر ويعيش كما يفكر ويعيش الغربيون. فلا يبقى له من الإسلام إلا الاسم<sup>(٢)</sup>.

اتخذ التغريب في العالم الإسلامي مظاهر متنوعة منها الفكري والاجتماعي والسلوكي. ففي الجانب الفكري (السياسي) ظهرت أنظمة الحكم المقلدة للأنظمة الغربية والتي أصبحت تنظر إلى النظام الديمقراطي الغربي وحقوق الإنسان حسب المفهوم الغربي على أنه الأصوب والأرقى وهوربت الاتجاهات والحركات الإسلامية وأعلي شأن العلمانيين ووصلوا إلى مراحل صنع القرارات.

أما في المجال الاجتماعي فقد اجتاحت المنطقة حالات التقليد للغرب في المأكل والمشرب والملبس وأنماط الحياة المختلفة وأخذت نغمات تحرير المرأة (كأن المرأة كانت مستعبدة) وغيرها مما هو تهديم للكيان الإسلامي. أما في التعليم فقد أصبحت الأفكار الغربية تدرس في جامعاتنا ومدارسنا وتتخذ على أنها مسلمة. وطغت القوانين الغربية بعد إلغاء وتعطيل الشريعة الإسلامية وقوانينها.

١- أنور الجندي - التراث الإسلامي والمستشرقون - ص ٦٠ .

٢- محاضرات في الثقافة الإسلامية - ص ٢٦٨ .

فصارت برامج التغريب تحرس مصالح الغرب من جانب وتضعف الرابط الديني عند المسلمين من جانب آخر<sup>(١)</sup>.

## الإرهاب

الإرهاب لغة: مأخوذ من رهب الشيء أي خافه<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾<sup>(٣)</sup> وأرهبه: أخافه وأرعبه وقد سمي الراهب بذلك لخوفه من الله.

أما في الاصطلاح : فهو أولاً.. (استخدام متعدد للوسائل المتعددة القادرة على إيجاد خطر يهدد السلامة)<sup>(٤)</sup> وهذا تعريف يدخل الجرائم البسيطة في مفهوم الإرهاب. أو هو (عملية قتل منظم مع سبق الإصرار وقد يحدث عاهات ويهدد الأبرياء ويرمي إلى إشاعة الخوف لأغراض سياسية)<sup>(٥)</sup> ويحصر هذا التعريف الإرهاب في الغرض السياسي.

أما المخابرات الأمريكية فتراه (التهديد باستعمال العنف أو استعماله لتحقيق أهداف سياسية من قبل أفراد أو جماعات)<sup>(٦)</sup> وهذا التعريف ناقص حيث حصر الإرهاب في الأفراد والجماعات ولم يذكر الدول. وعرفه آخرون بأنه (استخدم العنف بأية صورة لتحقيق هدف سياسي أو أيديولوجي أو ديني)<sup>(٧)</sup> ويخرج هذا التعريف الإرهاب الفكري.

١- محاضرات في الثقافة الإسلامية . د . محمد الحاج - ص ٢٦٨ - ٢٦٩ (بتصرف) .

٢- لسان العرب - ابن منظور ٤٣٦/١ .

٣- سورة الأنبياء: الآية ٩٠ .

٤- (الإرهاب.. التهديد والرد عليه) - لإريك موريس وألان هو .

٥- المرجع السابق .

٦- (الإرهاب) هشام الحديدي - ص ٤٩ .

٧- (الإرهاب بين التجريم والمشروعية) - إمام حسانين .

ويعرفه الدكتور بسام العموش بقوله: (هو استخدام القوة المادية أو الفكرية بالباطل ضد الآخرين من قبل فرد أو منظمة أو دولة أو دول لتحقيق غرض ما). ويرى بأن الممارسين للإرهاب يمكن تصنيفهم في ثلاث جهات: فرد أو أفراد يقومون بذلك دون توجيه من أحد وغالباً ما يكون هؤلاء الأفراد في حالة مرض نفسي أو فهم عقائدي مغلوطة أو رغبة في الإثراء. منظمة أو منظمات وقد رأينا ذلك في العصابات الصهيونية مثل شتيرن والهاجانا وكذلك في المافيا الإيطالية والجماعات الهتلرية الجديدة وبعض عصابات المال ومجموعات الضياع المتعاطين للسكر والمخدرات. دولة أو دول وهذا مشاهد في الكيان الصهيوني حيث تمارس هذه الدولة إرهابها تجاه العرب والمسلمين وتقوم بالاغتيالات كما يراه القاضي والداني في أمريكا التي تدعم إرهاب الدولة الصهيونية (وفي احتلال العراق) ولا يزال وقع القنابل النووية التي ألقتها أمريكا على اليابان في أسماع العالم إلى اليوم.

### تاريخ الإرهاب

يرى الدكتور بسام العموش بأن الإرهاب جريمة مرافقة لحياة البشر وقد سجل القرآن الكريم صورة من صور الإرهاب وهي القتل وسفك الدماء حيث قتل ابن آدم أخاه واستمر هذا عبر التاريخ البشري قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾<sup>(١)</sup>. وقد تعرض النبي محمد ﷺ لعدة محاولات اغتيال على يد اليهود الذين قتلوا الأنبياء كما قال تعالى: ﴿...وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ...﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهرت جماعة إرهابية في التاريخ الإسلامي وهي الإسماعيلية النزارية أو الحشاشين الذين ظهروا في مصر ومنهم اشتق الاسم الإنجليزي للقائم

١- سورة المائدة: الآية ٢٧.

٢- سورة آل عمران: الآية ١٨١.

بالاغتيالات Assassin لأنهم كانوا يتعاطون الحشيش قبل الإقدام على جرائمهم ليقتلوا ضحاياهم بدم بارد وقادت الحركة النازية في الأربعينات من القرن الماضي مجازر إرهابية ضد مناويها.. كما قامت الصهيونية بمجازر كفر قاسم ودير ياسين ومذبحة الأقصى والمسجد الإبراهيمي في الخليل ومذابح بحر البقر وصبرا وشاتيلا وقانا ومخيم جنين<sup>(١)</sup>.

. وعلى إثر أحداث ١١ سبتمبر أعلنت أمريكا حربها على الإرهاب والتي تركزت على أفغانستان فأسقطت نظام طالبان وشردت تنظيم القاعدة كما أنها احتلت العراق وبهذا صارت مكافحة الإرهاب وسيلة لاحتلال الشعوب من قبل المستعمر. وقد قسم الدكتور العموش الإرهاب وفقاً للتعريف إلى نوعين:

١. الإرهاب المادي

٢. الإرهاب الفكري

وإذا كان النوع الأول معروفاً ومشاهداً ومداناً وخطيراً -كما يقول- فإن النوع الثاني لا يقل خطورة عنه. إنه لا يسيل الدماء ولا يذهب بالأرواح لكنه مع ذلك خطير ويتساعل قائلًا: فما هو هذا الإرهاب الفكري؟!..

إنه محاولة إجبار الآخرين على رأي معين ومذهب خاص أو فكر محدد وكل ذلك اعتداء على كرامة الإنسان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

إن حالة فرض الرأي على الآخرين هي اعتداء حقيقي وخطير على الإنسان وكيف يتجرأ هؤلاء على هذا مع أن الله تعالى لم يجبر الناس على الدخول

١- محاضرات في الثقافة الإسلامية - ص ٢٨٧ .

٢- سورة الإسراء: الآية ٧٠.

٣- سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

٤- سورة يونس: الآية ٩٩.



في دينه وهنا تبرز حلوة قول المسلم (لا إله إلا الله) فإله وحده هو الأمر الناهي ومع ذلك ترك لنا الخيار ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>.

ويعود الأستاذ العموش إلى تاريخنا الإسلامي فيرى بأن الخليفة المأمون ومعه المعتزلة قاما بقمع من خالفهم في مسألة خلق القرآن وقتل عدد من العلماء وعذب آخرون منهم أحمد بن حنبل وفي الصحوة الإسلامية اليوم فئات تعتقد أنها على صواب دائماً وأن غيرها على خطأ وبناء عليه تقوم بممارسة الإرهاب الفكري وتصل في حالات إلى تفسيق وتبديع وتكفير مخالفين لأنهم لم يأخذوا برأيها. وهذا ضيق أفق لا يقبله الذين فهموا الإسلام حق الفهم والذي دعانا إلى أخوة حقيقية تجمع المسلمين على الأساسيات وتعذر عند الاختلاف في الفرعات.

### دوافع الإرهاب:

يرى الدكتور العموش بأن للإرهاب بأنواعه المختلفة أسباب واضحة ودوافع بيئية أجمعها فيما يلي:

١. الدافع السياسي: فالرغبة في الهيمنة والسيطرة هي ديدن كثير من الدول وبخاصة حينما تمتلك القوة وهو دافع سياسي عند الأنظمة المتغطرة التي تسعى لإخضاع شعوبها بالقوة دون أن تفسح لهم مجالاً لإبداء رأي أو مشاركة في سلطة كتلك الأنظمة الفردية أو الأنظمة ذات الأيدلوجية الواحدة التي لا تريد شورى ولا ديمقراطية. وفي حال إرهاب المنظمات فقد تكون هناك مطالب تتعلق بالإفراج عن سجناء ولهذا تقوم باحتجاز رهائن وخطف طائرات وسلسلة من الاغتيالات واحتلال سفارات ومنشآت ونحو ذلك. وقد يهدف فرد من إرهابه إلى إسماع الصوت أو الاحتجاج على شيء ما. وقد يكون

١- سورة البلد: الآية ١٠.

الهدف الإساءة إلى علاقات دولية أو مطالبة الدولة المعنية بموقف سياسي معين.

٢. الدافع الاقتصادي: تهدف قوى الإرهاب (وهذه في الغالب دول) إلى فتح الأسواق ونهب الخيرات هو هدف هام في نظر الدول القوية التي ترغب في نهب خيرات الآخرين وفتح بلادهم أسواقا للبضائع بل يصل الأمر إلى أخذ المواد الأولية من الدول الضعيفة وإعادتها لهم بضائع للشراء وبالتالي تكون الدولة، القوية ناهبة محتكرة مستغلة لخيرات الدول الضعيفة. وهذا ما رأيناه في الدول الاستعمارية بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وهو نفسه الذي تمارسه أمريكا التي تحتل بحار العالم وتحتل المنظمة الدولية وتسيطر على قراراتها وتخضع القرار السياسي بعد أن أخضعت القرار الاقتصادي. ويهدف الإرهابيون (غير الدول) إلى الحصول على المال عن طريق طلب الفدية.

٣. الدافع الفكري: إن الرغبة في فرض الأفكار هو عمل دائم لدى كافة الحضارات إلا الإسلام التي أعلنتها مدوية في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(٢)</sup>. ويذكر الدكتور العموش بأن الصليبيين قد هاجمونا سعياً لتدمير حضارتنا واحتل الصهاينة أرضنا ودينسوا مقدساتنا وهاجمنا المغول القدماء وأحرقوا كتبنا وتراثنا وحاولت الشيوعية الروسية بسط سيطرتها والزحف نحو بلاد الإسلام عبر الأحزاب الشيوعية في كل الأقطار لكنها لم تنجح لأن الإسلام كان مقاوما عنيدا لهم. لقد حاولت الشيوعية قهر المسلمين فقتلت أكثر من مليون من الشيشان ولكن الشيوعية ذهبت

١- سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

٢- سورة الكهف: الآية ٢٩.

وبقي شعب الشيشان وبقية الشعوب المسلمة فيما كان يسمى بالإتحاد السوفيتي في روسيا الاتحادية.

ويقول بأننا نؤمن بقوة عقيدتنا ولم نفعل ذلك اتجاه الآخرين بل سعينا إلى حوارها ويكفيها فخرا أننا كنا الأمناء على الفلسفة اليونانية حيث ترجمناها ونقدناها ولكننا لم نحرقها كفكر إنساني.

(نعم دخلنا الأندلس فتركنا فيها عمراناً وبناءً يدر على الإسبان إلى اليوم أموالاً طائلة في السياحة حتى صارت ثاني أعظم دولة في الإيراد السياحي وهو إيراد محصور في الأندلس لأن الشمال الأسباني فيه إرهاب الانفصاليين الإسبان)<sup>(١)</sup>.

٤. الدافع الاجتماعي والنفسي: فالفقر والحرمان قد يدفعان بعض الناس إلى الحقد على المجتمع وقد تصل به حاله على استخدام القوة والتخريب والقتل وكافة الانحرافات. وقد تكون عند البعض حالات مرضية ونفسية كحب التميز وحب الظهور أو يكون به مس جنون وهذه في الغالب لدى المجتمعات الغربية التي تعاني من الخواء الروحي وهذا مشاهد في الساحة الأمريكية كما رأينا في انفجار أوكلاهوما (الذي قام بتفجير البناية يدعى (ماكفيه) وقد تم إعدامه) وحوادث قتل الأطفال لزملائهم في المدارس.

#### موقف الإسلام من الإرهاب:

أما الإسلام فإنه يقاوم الإرهاب ولا يرضاه، ويقول الدكتور العموش بأن بعض الناس قد أساءوا فهم الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

١- محاضرات في الثقافة الإسلامية - ص ٢٩٠ .

٢- سورة الأنفال: الآية ٦٠.

ويرى الدكتور العموش بأنه إرهاب محمود هدفه حقن الدماء ومنع التصادم وردع المعتدي كما قال ﷺ: **تصرت بالرعب**<sup>(١)</sup> حيث خافه أعداؤه ولم يحضروا للقتال.

فالغالبية العظمى من الإسلاميين كما يرى تتربى على أخلاق الإسلام التي تأمر بالإحسان ونشر الخير والعطف والبناء لأن ذلك كله من مقتضيات (الخلافة) في الأرض وفي القرآن الكريم قال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**<sup>(٢)</sup> وقال: **﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾**<sup>(٣)</sup> وقد أكد لنا أن علاقتنا بالآخر تقوم على الحوار الهادف قال تعالى: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**<sup>(٤)</sup> فإذا تَعَزَّرَ الاتفاق فالموقف قوله تعالى: **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾**<sup>(٥)</sup>. إن وقوع الأخطاء من الآخرين تجاهنا لا تبرر لنا الفعل الإرهابي بل المطلوب من المسلم أن يتحلى بالعفو كما قال تعالى: **﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَافِلِينَ عَنِ النَّاسِ﴾**<sup>(٦)</sup>. وهذا بالطبع مع الأفراد الذين يخطئون في حقنا من المسلمين وغيرهم أما الإرهاب المتعمد من الأفراد والمنظمات والدول فلا بد من محاربته.

ويرى بأن روح التسامح الإسلامي هي التي نلاحظها في السنة المطهرة فقد قال ﷺ: **"ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"**<sup>(٧)</sup> وقال "إن الله رفيق



١- البخاري مع الفتح ٦ / ٢٢٨ رقم ١٢٢.

٢- سورة المائدة: الآية ١٣.

٣- سورة المائدة: الآية ٣٢.

٤- سورة النحل: الآية ١٢٥.

٥- سورة الكافرون: الآية ٦.

٦- سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

٧- الترمذي ٤ / ٣٢٣ وقال: حسن صحيح.

يحب الرفق<sup>(١)</sup> والأحاديث أكثر من أن تحصى في هذا السياق. وقد أوصى الإسلام بالفقير والمسكين واليتيم وابن السبيل والنساء والأطفال والشيوخ والمرضى والأسرى والمسالين.

ويرى بأن التاريخ الإسلامي قد امتلأ بتطبيق هذه المبادئ مع الناس كافة ومع ذلك فإن هذا كله لم يؤثر في بعض جهال المسلمين فلجأوا إلى التكفير وأظهروا الإسلام بشكل لا يتناسب معه وصاروا مظهرًا مسيئًا للإسلام عوضًا أن يكونوا دعاة يقربون الناس إلى الدين وصاروا منفرين غلاظًا.

### وسائل الإرهاب:

يرى الدكتور بسام العموش بأن الإرهابيين يستخدمون وسائل عديدة منها:

١. **خطف الرهائن:** ومثاله قيام الصهاينة بذلك في جنوب لبنان ومن باب المعاملة قام بذلك المقاومون.

٢. **الاغتيالات:** حيث اغتيل عدد كبير من الشخصيات وأبرز الذين يتعرضون للاغتيال هم الحكام والمفكرون ورغم فشل محاولات كثيرة إلا أن عددًا لا يستهان به منها قد حقق الهدف فقد اغتيل في عالمنا العربي الملك فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية عام ١٩٧٥ على يد (فيصل بن مساعد بن عبد العزيز) -ابن أخيه- والراجح أن الولايات المتحدة قد كانت وراء ذلك بسبب أوامر الملك فيصل بوقف ضخ البترول في حرب ١٩٧٣. كما اغتيل الرئيس المصري أنور السادات عام ١٩٨١ على يد الملازم خالد الإسلامبولي بترتيب من حركة الجهاد المصرية.

١- البخاري مع الفتح ٤٤٩/١٠.

٣. القتل بأساليب مختلفة.
٤. التعذيب: وهو ما تمارسه الدول العظمى تجاه مناوتها فتستخدم ما لا يخطر على البال من أساليب التعذيب وقد كتبت في هذا المجال كتب كثيرة منها (أقسمت أن أروي -لروكس معكرون) وكتاب (البوابة السوداء-لأحمد رائف).
٥. تشويه السمعة: أو ما يسميه بعضهم باغتيال الشخصية وذلك باستخدام الوسائل الإعلامية فيتم تضخيم الأحداث وتزوير الوقائع.
٦. افتعال الحروب: والادعاء خلالها أنها تحارب الإرهاب فتقتل بذلك الأبرياء كما فعلت وتفعّل إسرائيل وأمريكا.

### آثار الإرهاب:

- ويرى بأن الإرهاب أمر سلبي بذاته وبالتالي فإن آثاره بالتأكيد سلبية وقد ذكر بعضها على سبيل المثال:
١. إزهاق الأرواح.
  ٢. إشاعة الخوف والرعب بين الناس: (فمن بين ٣٤٢١ سنة من تاريخ البشر هناك فقط ٢٦٨ سنة سادها السلام) وقد شهد عام ١٩٨٠ تفاقمًا للعمليات الإرهابية حيث وقعت ٧٦٠ عملية قتل فيها ٦٤٢ شخصًا وجرح ١٧٠٨ أشخاص.
  ٣. تراجع الاقتصاد (استثماراً) (إنتاجاً) (سياحة).
  ٤. استنزاف موارد الدولة (تدمير المؤسسات العامة) (نفقات على الأمن).
  ٥. توسيع دوائر البطش عند الأنظمة وتراجع الديمقراطية.
  ٦. الإساءة إلى العلاقات الخارجية للدولة.
  ٧. إعطاء صورة بشعة عن الإسلام.
  ٨. النزاع واتساع دائرته بين الفئات المختلفة.

٩. تحفيز الآخرين للقيام بالإرهاب .

١٠. الدمار الاجتماعي الذي يخلفه حيث تنتشر الأسر بفقد معيّلها.

### علاج الإرهاب:

وينطلق تحديد العلاج كما يرى الأستاذ العموش وفقاً لرؤية الشخص أو الهيئات أو الدول. إن وضع العلاج يحتاج إلى تحديد الأسباب والتي أجملها بصفة عامة على النحو التالي:

١. الرغبة في السيطرة.

٢. الرغبة في كسر شوكة الآخر.

٣. الانتقام.

٤. إعلاء العقائد.<sup>(١)</sup>

إن حق المقاومة مكفول في الشرائع السماوية والأرضية وكذا تكفله مواثيق الأمم المتحدة فقد نصت المادة ٢٧ من شرعة حقوق الإنسان على ما يلي:  
(إن مقاومة الاضطهاد هي نتيجة منطقية لتلك الحقوق التي يتمتع بها الإنسان والمواطن)

---

١- الظاهرة الإرهابية - محمود مراد .



# العلمانية



## العلمانية

### تعريف العلمانية :

معناها نبذ الدين وإقصاؤه عن الحياة العملية.

ترجمت كلمة Secularism إلى كلمة العلمانية... وأصلها (الأمور الدنيوية) ولا ندري كيف ترجمت إلى كلمة العلمانية والتي توحى بارتباطها بالعلم... وكأن هناك تقصداً بربطها بمعنى العلم لإظهار مخالفتها للدين، وكأن الدين لا علاقة له بالعلم أو هو نقيضه.

فإذا كان المعنى هو ذلك، فدين البابوية في أوروبا... كان يمنع الناس من العمل بالأمور العلمية، وتاريخ أوروبا القديمة وتاريخها الوسيط يشهد بالكوارث التي حاقت بمن عمل في العلوم هناك، حيث كانت الكنيسة تأمر بقتله أو حرقه (أي بمن كان يعمل بالعلوم)، وذهب من أجل ذلك رجال أجلاء لا ذنب لهم إلا اللهم اشتغالهم بالعلم والموهبة التي منحهم إياها الله في العمل بالعلم... إلا أن الكنيسة في ذلك الوقت كانت تقود الناس في جهل وتطلب منهم أن يبقوا جهلاء.

كانت الكنيسة تصدر القرارات الموقعة من (بابا) الكنيسة الكاثوليكية بقتل أولئك العلماء... طيلة تلك الفترات الزمنية التي رافقت الانتعاش الفكري والعلمي في العالم الإسلامي...

فلو جرت المقارنة بين العالمين الإسلامي في آسيا وشمال إفريقيا وبين النصراني في أوروبا... لوجدنا المسلمين يأمرؤن الناس بغور عالم العلم فكتب العلماء في كل شيء... وكانت لهم مختبراتهم العلمية وتجاربهم التي تفخر المكتبات الشرقية الإسلامية بها... وامتألت كل مكتبات العالم بكتبنا التي تعكس ذلك السبق العلمي الدائم لهذه الأمة، خاصة إذا علمنا أن الإسلام هو أول من أمر أتباعه في كتابه الكريم أن يسبروا غور العلوم فكانت الكلمة الأولى التي نزلت على نبي المسلمين محمد ﷺ هي "اقرأ".

فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وقد علمنا جميعا كيف أن الإسلام قد شجع العلماء ولم يقف في وجههم ولم يمنع أحدا منهم أن يقول أو يفعل أو ينتج ما يشاء... فالمسلم مأمور بذلك إن أعطي الموهبة والرغبة... والتي كانت تسير جنبا إلى جنب مع التشريع و الحكم الإسلامي الذي كان قائما في عالم المسلمين آنذاك.

اما الوضع الأوروبي الديني فقد كان يعاني من العداوة للعلم وهو الذي دفع بكارل ماركس ولينين أن يقولوا "إن الدين أفيون الشعوب" وهو وصف لما كانت تعيشه أوروبا في حينه... فالدين المسيحي وقيادته المسيحية في روما كانا يخدران الناس ويجعلون الناس بعيدين كل البعد عن أي تقدم علمي. وهو ما جعل الناس يتجهون إلى طلب الحكم الدنيوي "Secular".

وكان من حظ الأمة العربية والإسلامية أن تظل تحت قيادة الدولة العثمانية التي دخلت في قرونها الأخيرة في ظلمة بعيدة عن العلم والتطور وربما كان ذلك بتشجيع من أوروبا التي أخذت بالتخلص من سيطرة البابوية وبالتالي التخلص من سيطرة الدين المسيحي عليها وأن تتجه أية منطقة تتخلص من وضعها الديني وتصبح حرة أن تبحث عن الجديد، مما أدخلها في سباق علمي جديد جعل العلوم هناك تتطور شيئا فشيئا... لتأخذ شكل ثورة صناعية بدأت من الصفر حتى بدأت الاكتشافات تظهر شيئا فشيئا، فأدت إلى ظهور الاستعمار واحتلال البلدان المختلفة لضمها إلى القيادات المدنية التي أخذت بالانتعاش في أوروبا... وكان خوف الشرقيين من الاحتلال الغربي قد جعل الشرقيين يلتفون حول الدولة العثمانية والتي أخذت بالأفول والضعف قليلا قليلا، ولم تكن فيها أية مظاهر يمكن أن توصف بالعلمية... إلا أنها ومن أجل أن تبقى... بدأت بحرب ضد من يريد الحرية

١- سورة العلق : الآيات ١- ٥ .

والتطور، صاحبت تلك الحرب أمية وجوع ومرض... أخذ يعاني منه أتباع الدول الإسلامية والذي جعلهم بعيدين عن أية تطورات علمية.. بل دخلت الظلمة المطبقة الأيام الأخيرة من الحكم العثماني. وأصبح الكثير من الناس جهلاء في الوقت الذي بدأت أوروبا بالتقدم العلمي.. وبدأت صناعاتها تتطور وتقترب مصنوعات من شرقنا العربي والإسلامي شيئاً فشيئاً حتى غشيت أسواقنا.

وعندما اقترب الأوروبيون نحو الشرق بشكل جيوش مستعمرة.. كانت هناك حركات نامية في الشرق تريد التخلص من الحكم العثماني الذي صار مريضاً ومتعباً... كانت الشعوب العربية والإسلامية جاهلة تماماً ليس فيها غير قادة فكريين تدربوا في الغرب وعرفوا تقدم الغرب الذي لو قيس بما في شرقنا الإسلامي لانعدمت المقارنة.

صفق الناس للغزاة.. وخرج العثمانيون خاسري المعركة.. وكانت تنتظرهم جيوش (اللا دينية) في تركيا... فأعلنت إلغاء الحكم الإسلامي وأي مظهر من مظاهر الإسلام اعتباراً من الملابس والأذان والتكلم بالعربية وغير ذلك بل سنت أحكاماً قاسية لمن يخالف ذلك.

ثم اختيرت أنظمة مدنية للعالم العربي بعد تقسيمه فصارت ملكيات وإمارات ومشايخ وجمهوريات كلها قد عطلت الإسلام إلا قوانين الأحوال الشخصية والتي لم يجدوا لها بديلاً. وأعلنت الأنظمة اللادينية فيها والتي صار اسمها (العلمانية) فصارت الأخيرة مصطلحاً للأحكام التي قامت في تركيا وفي بعض بلدان الشرق العربي.

وقد عرف أحدهم النظم العلمانية بقوله:

هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها.

ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر، ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ "Secularism" تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية وبإمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه الحياة القريبة وظل الاتجاه إلى الـ "Secularism" يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.

إذن الحركة لا علاقة لها بالعلم وإنما قامت على أساس نفي الدين والقيم الدينية عن الحياة.

الفرق بين الشرق والغرب، أن الغربيين لم يمنعوا الناس من القيام بشعائهم الدينية ولا بضرب نواقيس الكنيسة، حين قامت تلك الحركة بينما منعت حكومة (أتاتورك) كل المظاهر العربية والإسلامية... وما زالت تركيا تعيش بعض هذا المنع إلى اليوم الحاضر.

وتتراوح الدول العربية في الابتعاد عن الدين بين المعادة للدين ومنع مظاهره... وبين دول تقترب من الدين قليلا إلا أنها تعيش حالة تناقض في علاقتها بالدين فتراقب المصلين وتلاحق المتدينين وسجون العالم العربي والإسلامي ممثلة بأهل الدين.

وصار مطلب (العلمانية) مطلباً رسمياً لكثير من أنظمة العالم العربي وخاصة بعد سقوط نظام صدام حسين في بغداد...

وكم هو جميل تعبير الأستاذ محمد قطب.. حين ذكر أن العلمانية هي نتاج عبث الكنيسة بدين الله المنزل وتحريفه وتشويهه وتقديمه للناس في صورة منفرة دون أن يكون عند الناس مرجع يرجعون إليه لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلى

أصوله الصحيحة المنزلة كما هو الحال مع القرآن المحفوظ -بقدر الله ومشيئته- من كل عبث أو تحريف خلال القرون.

فالصورة الواقعية للدين في أوروبا كانت تتمثل أولاً في عقيدة متحرفة مأخوذة من (الأنجيل) المكتوبة بعد المسيح بفترات طويلة، وتتمثل في صلوات وقداصات ومواعظ واحتفالات تقام في الكنائس، وتتمثل في نفوذ لرجال الدين على الملوك وعلى عامة الناس. وقد مرَّ علينا كيف أن الملوك لا يجلسون على العروش إلا بإذن البابا وإذا غضب عليهم البابا نبذتهم شعوبهم بأمر البابا. ويخضع الناس إلى تعمد الكهان لهم وصلاتهم بحضور الكاهن ولا يعتقدون إلا ما تلقنهم مجالس الكنيسة المسكونية (من سكن) من شؤون العقائد، ولا يفكرون إلا بما يسمح لهم رجال الدين بالتفكير به ولا يتعلمون إلا ما تسمح لهم الكنيسة بتعلمه، وكان لرجال الدين النفوذ الكلي على أموالهم وأجسادهم وأرواحهم.. ولا غرو أن نرى كيف أن الناس قد نبذوا (الدين) الذي عرفوه.. وانعكس ذلك كله على (كل) (دين) آخر.. وإن كان ذلك الدين يأمرهم بكل ما هو علمي وكل ما هو تقدمي كما هو الحال بالنسبة للدين الإسلامي.

فعندما نبذ المسيحيون الأوروبيون الدين لم يفرقوا بين أباطيل الكنيسة وبين حقائق الدين... وقد نبذوه ولم يبحثوا بعده عن الدين الصحيح أو الحقائق وكان نبذ الدين والانسلاخ منه أمراً ضرورياً لأوروبا إذا أرادت أن تتقدم وتتحرر وتعيش. ويمكن تلخيص تلك الفترة التي كانت أوروبا تعيش حالة التدين (دين الكنيسة) بما يأتي من النقاط:

١. كان الدين يحوي قدراً كبيراً من الخرافات والأساطير.
٢. كان الدين يحارب العلم ويحجر على الفكر وكان يحرق ويعدم المشتغلين بالعلم.
٣. كان الدين يهمل الدنيا وينبذها من أجل الخلاص في الآخرة.

٤. كان الدين يحتقر الجسد ويعذبه من أجل خلاص الروح.
٥. كان يسمح للإقطاعيين أن يمتصوا دماء الفلاحين ويكتسبوا الأموال ويترفوا ويفسدوا.
٦. كان يطلب من الفلاحين القبول بواقعهم من أجل الحصول على رضوان الله وجنته في الآخرة. وكان أن اخترع البابا لهم صكوك الغفران من أجل شراء الآخرة.
٧. تفشت الأمية والجهل بين عامة الناس طيلة قرون.
٨. كانت المجالس الكنسية تصوغ لهم العقائد التي يجب أن يعتقها المسيحي - حيث لم تكن هناك أيا من العقائد المسيحية فيما نزل في الإنجيل الذي اختفى أصلا وحلت محله أناجيل وضعها رجال جاءوا بعد المسيح بفترات زمنية بعيدة -.

### الإسلام والمسيحية:

حينما احتكت أوروبا بالمسلمين وجدت عالما ليس فيه باباوات ولا رجال دين ولا أسرار عقائدية (كأسرار الكنيسة) لا يختص فيها إلا رجال قليلون في كنائسهم وليس هناك نبلاء وإقطاعيين يستعبدون الناس ويحجرون على عقولهم وعلى علومهم، بل على عكس ذلك تماما.

يقول روجر بيكون (في القرن الثالث عشر الميلادي): "من أراد أن يتعلم فليتعلم العربية لأنها هي لغة العلم".

والقصد منها لغة القرآن الكريم لأن المتكلمين بها مسلمون يدينون بالإسلام ويؤمنون بالقرآن.

وقد خرجت أوروبا من ظلمات قرونها الوسطى حين احتكت بالمسلمين من مشارق الأرض ومغاربها سواء في الحروب الصليبية أو البعوث التي بعثتها للتعلم في مدارس المسلمين في الأندلس أو إلى بغداد وفي صقلية وغيرها من البلاد التي

نورها الإسلام. وأن رجال الدين المسيحي أنفسهم كانوا يتعاطون الثقافة الإسلامية في تلك المدارس أو فيما ينقل منها إلى اللغات الأوروبية وأنهم كانوا يترقون في مناصب الإكليروس بقدر ما يحصلون عليه من تلك الثقافة.

كان العرب (يقصد بهم المسلمون) يمثلون (في القرون الوسطى) التفكير العلمي والحياة الصناعية العلمية. وكان لهم جامعاتهم الإسلامية الزاهرة في إسبانيا المسلمة (الأندلس) وفي المدارس الشرقية (بغداد ودمشق والقاهرة) وصاروا سببا في بعث لعلوم اليونان القديمة.. والتي كان يصعب قبلها على الأوروبيين فهمها في ذلك العصر وكذلك تعلم الأوروبيون الأصول الحضارية التي وجدها عند المسلمين وكذلك أخذوا عن العرب المنهج التجريبي في البحث العلمي، فصار منهجهم بعد أن نبذوا الدين. وقامت نهضتهم على أسس ديننا وقامت حضارتهم على أسس (بشرية) بينما كانت الأسس الإسلامية خلفية لحضارتنا ونهضتنا. ولما نجحوا جعلوا (الدين) نقطة تأخر في النهضة لأنه أمر أخروي لا دنيوي... ونهضتهم دنيوية، وقاسوا كل أديان العالم بما فيها الإسلام على دينهم هم دون البحث عن الحقيقة.

كان دينهم كما قلنا يعمل للأخرة ويهمل الدنيا... بينما يقول القرآن الكريم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٢)</sup>. فكان القرآن الكريم يطلب من المسلمين العمل في الدنيا لإعمار الأرض وللآخرة في نفس الوقت.

بدأت العلمانية الغربية باستقلال الملوك عن سلطان البابا وعند ظهور الكنيسة البروتستانتية والتي ساعدت على ابتداء الثورة الصناعية والتي أحدثت هزات عنيفة في حياة الناس، فبدأت فكرة مساواة الجنسين في العمل وما رافق ذلك

١- سورة القصص: الآية ٧٧.

٢- سورة الأعراف: الآية ٣٢.

من إفساد لأخلاقها وأخلاق المجتمع آنذاك تحت تسمية (التطور) الذي رافقته الكثير من التغييرات في البنى الأخلاقية للمجتمع.

### مجالات العلمانية :

وأخذت العلمانية تسير نحو علمانية السياسة وعلمانية الاقتصاد وعلمانية الاجتماع وعلمانية الأخلاق، فخرج المجتمع بذلك إلى السير بنمط آخر من الحياة لا يرتبط ذلك النمط بالله بقدر ارتباطه بالإنسان وابتعاده عن الدين كلياً.. وصارت علاقة الإنسان بالدين علاقة انتماء أو هوية لعقائد معينة في المنطقة تسمى الكنيسة يضمن عضويتها والصلاة فيها بانتماء يشبه الانتماء إلى جمعية أو منظمة معينة.

وعندما نجح هذا النمط في أوروبا بكسب الإنسان الأوروبي، فإن أصحاب المصالح التي سوف ندرسها في موضوع الرأسمالية أو الشيوعية... رأوا أن ينقلوا هذا النمط إلى البلدان العربية والإسلامية، لأنهم يعلمون أن إخراج الإنسان المسلم إلى هذا النمط سيضعف من علاقته بالدين... حيث أصبح هذا الدين خطراً عليهم... خاصة في الفترة التي أعلنوا تقسيم أراضي المسلمين وضمها إلى مستعمراتهم.. حيث إن (الدين) يأمر بالجهاد والوقوف في وجههم.

لقد نجحوا بذلك حين أخرجوا العرب والمسلمين من الانتماء العثماني وتأسيس الحكومات (المدنية) لكل إقليم من الأقاليم وأضعفوا ارتباطه بالإسلام عن طريق تشريع القوانين المدنية وإشاعة الفساد عن طريق نشر ثقافتهم وإرسالياتهم التبشيرية التي كانت وما زالت تخدم دوائر المخابرات الغربية أكثر من الدين الذي نبذوه .

### ١. العلمانية السياسية:

كانت الكنيسة تعتبر البابا خليفة الله في الأرض، فكان يعين الملوك ويخلعهم وينصب من يشاء في أي منصب ويخلع منه من يشاء. فكانت له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حکاما كانوا أو محكومين.



وتمرد الحكام في النهاية على البابا وطالبوا بالسلطة الزمنية (السلطة الدنيوية) لهم وقرروا بعد أن حصلوا على ذلك بعد ثورات وجهود واستشهد بها الكثير من الخلق صاروا يسировون على سياسة الغاية تبرر الوسيلة (حتى لو كانت الغاية غير نظيفة) فأخذ المنزلق العلماني طريقه فمذ استقلت السياسة عن الدين واستقلت عن الأخلاق الدينية.. لم يكن من الممكن أن تظل لها أخلاق. فقامت أبشع أنواع الدكتاتوريات وقامت الشيوعية وقامت الفاشية وارتفع شعار الكذب السياسي الانتخابي. وفي السياسة الخارجية ساد قانون الغاب... فالقوة للغالب، فصار هناك التدمير الجماعي وضرب القنابل النووية على بعض الشعوب، وتكوين الأحلاف التي تحمي القوي وتدمر الضعيف. وسياسة أمريكا العلمانية واضحة في كل أقطار العالم.

## ٢. العلمانية الاقتصادية:

كان النظام الدين في أوروبا إقطاعيا لا يملك ذرة من العدل، ذل الإنسان وحط من قدره.. وكانت العلمانية هي الطريق الذي خلص الأوروبيين من ذلك الجحيم ودخلوا بعد ذلك الجحيم عالمي الرأسمالية والشيوعية. ودخل الناس في البحث في الطبيعة بدلاً عن البحث عن الله وحلت الوسائل الخسيسة التي تستخدمها الرأسمالية لتحقيق غاياتها ومن ذلك:

١. الربا.

٢. الاحتكار.

٣. السعي وراء الأرباح الطائلة بأية وسيلة حتى لو كانت خسيسة

أما الشيوعية فإنها ذلت الناس بلقمة العيش بطريقة لم تمر بها أية أمة من الأمم. وقام فيها نظام بوليسي ضارم يحكم الناس بالحديد والنار والتجسس. والتفرقة بين المنتمي للحزب وغير المنتمي. ثم ضاعت فيها كل القيم الحضارية.

وراحت أحزاب اشتراكية أخرى تسير على نهج الشيوعية فأذاقت الإنسان الأمرين وأخذت عن النظام الشيوعي كل مساوئه لتطبيقه... وهكذا صارت العلمانية الاقتصادية لعنة على الإنسانية وعبئاً ثقيلاً لا يقل عن ثقل النظام الإقطاعي السابق.

### ٣. العلمانية الاجتماعية:

كانت بعض الأعراف الدينية تحكم المجتمعات الأوروبية كالحفاظ على الأسرة والزواج المبكر وقوامة الرجل وقيامه بالإنفاق واستقرار المرأة في بيتها وتفرغها للأومة وتدبير المنزل ورعاية النشء ومحافظة على عرضها قبل الزواج وبعده.. وكانت تلك المبادئ تقوم على الدين حتى لو كان في مجتمع إقطاعي.

وعند انسلاخ المجتمع الأوروبي من الدين، الذي بدأ يقترب من العلمانية التي لم تعد تلك المبادئ لها أية أهمية فيها. فقد أحدثت الثورة الصناعية هزات في البنى الاجتماعية فتخللت القيود الدينية التي تربط المرأة بالمجتمع. وأشغلتها عن مهمة تربية النشء.. ونظرة واحدة إلى المجتمع الأوروبي والأمريكي المتفسخ، يمكن أن يقف الإنسان على حقيقة حرية المرأة التي أضاعت بُناها الأسرية. فالطلاق نسبته أعلى من الزواج، والأطفال يملأون الملاجئ بين طريد أبويه وبين أبناء غير شرعيين وكثير من الناس يتبنون طفلاً لعدم رغبة المرأة بالإنجاب أو إصابتها بالعقر لكثرة ما تتناوله من موانع الحمل ورفع للأرحام..

لقد صارت العلمانية في أوروبا وأمريكا سبباً في تحطيم المجتمع وتدميره.

### ٤. علمانية العلم:

كان الصراع بين الدين الكنسي وبين العلم على أوجه، وقتل العاملون فيه وأحرقوا.. وقد ذكرنا رأي الإسلام في العلم حيث جعل من عمارة الأرض عبادة. فماذا حصل للعلم في العصر الذي نبذ المجتمع الأوروبي الدين وصار علمانياً؟

استخدم العلم لنشر الإلحاد وإفساد الأخلاق (انظر مثلاً إلى حبوب منع الحمل في أوروبا وأمريكا.. وانظر كيف تستخدم المفاسد وفي بذل الأجساد بصورة رخيصة بعيداً عن المبادئ الخلقية).

وصار العلم سبباً في نشر الفاحشة وصرف الجهود إلى اختراع السلاح الذي يفتك بالناس ويقتلهم، وصوّر ذلك كثيرة في الحروب العالمية والحروب الجانبية التي أعلنها الغرب على البلاد الإسلامية والتي ما زالت لها صور كثيرة في العراق وأفغانستان وقبلها في فيتنام والجزائر وفي كل الأقطار الإسلامية التي تروح الآن تحت ظل احتلال روسيا والصين.

#### ٥. علمانية الأخلاق:

الدين هو منبع الأخلاق.. وكانت سيطرة البابوية التسلطية على شعوب أوروبا، دمرت كل معاني الأخلاق الدينية المسيحية، حيث تعتبر المسيحية الأولى من الديانات الأخلاقية.. ولكن النظام التسلطي والإقطاعي قد دمر الأخلاق وجعل مبادئها تنهار تدريجياً وكان عصر النهضة الأوروبية إعادة الأخلاق ومبادئها على مجراها الأصلية. إلا إن الانسياق السريع خلف مبادئ العصر الصناعي قد جعلها تنهار أكثر من قبل لأنها أبعدت المجتمع عن الأخلاق، وما أن دخل المجتمع الأوروبي والأمريكي القرن العشرين حتى انفلتت القيود الأخلاقية وتغيرت معانيها، فما بقي من القيم الخلقية لا يتفق مع تسمياتها. وعلى كل حال فالقيم العلمانية الأخلاقية موجودة ولكنها قيم مصلحية تختلف باختلاف واضعها... في الوقت الذي بقيت القيم والمبادئ الخلقية الإسلامية تحتفظ بمعانيها ومواصفاتها رغم أن المجتمع الإسلامي قد دخل العلمانية كرهاً أو طوعاً... ورغم أن الناس أصبحوا مشارب مختلفات لانفلت النظام الديني الذي كان يلزمهم... والأخلاق على كل حال أخذت تنهار لأن الإنسان المسلم بدأ بالسقوط فبسقوطه لا بد أن تسقط الأخلاق.

٦. علمانية الفن:

يوصف الفن الأوروبي أنه فن (المعبود) في كل القرون، فكان فن الآلهة الإغريقية سابقاً ثم صار فناً يصور الكنيسة البابوية. وصار (المعبود) هو (الإنسان) في العصر العلماني، وحيث إن الإنسان يعيش حالة فوضى فإن الفن هو الآخر يعيش الفوضى، فالعلمانية المنسلخة من الدين تصور العالم البشري من الواقعية إلى السريالية إلى الوجودية إلى اللامعقول إلى أدب الجنس المكشوف وكلها هرب من (المعقول) والذي يرى أن الكون والحياة لا هدف لها ولا غاية ولا عدل ولا حق، وكل شيء ضلال وعبث طالما الحياة عبث حيث إن الوجود الإنساني في كل تلك الأفكار ضياع، أعطى الشرعية للأدب الجنسي الهابط وأعطاه صفة الفن ويتبجح النقد بعظمة النفسية المعاصرة التي وصلت إلى حال السقوط. وهذا ما أوصلته العلمانية بالمجتمع الأوروبي.. ولم يبق له من الدين -إن أراد الدين- إلا ساعة واحدة أسبوعياً للصلاة في الكنيسة وقد لا يذهب إليها أصلاً وأصبحت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات تنظر إلى كل الأمور بصورة طبيعية، فالعلاقات الجنسية المنحرفة مثلاً أمر اعتيادي لا علاقة له بالدين ولا بالأخلاق، وهذا ينسحب على كل شيء آخر.

الإسلام والعلمانية:

وإذا أردنا أن نخوض في العلاقة بين الإسلام والعلمانية فيمكننا أن نلخصها

بما يلي:

١. الإسلام مبادئ والعلمانية إلغاء للمبادئ.
٢. الإسلام دين له علاقة بالسياسة والاقتصاد والمجتمع والتربية.... والعلمانية ترفض هذه العلاقة.
٣. الإسلام تشريع إلهي بينما العلمانية ترفض الدين وتبعد الإنسان عن أي علاقة بالتشريعات الدينية.

٤. يتميز الإسلام برفعة الأخلاق في المعاملات بينما تكون الأخلاق العلمانية هابطة في كل الأمور... بل تصل في بعض الأحيان إلى حد رفض أية قيمة خلقية.
٥. المسلم يتحاكم إلى القيم الإلهية بينما يتحاكم العلمانيون إلى القيم الوضعية.
٦. القيم الإلهية تتسم بالثبات والعدل بينما لا تتسم الوضعية لا بالثبات ولا بالعدل.

# العولمة

## العولمة

### تعريف العولمة Globalization

تمثل ظاهرة العولمة الحديثة بالنسبة لبعض الباحثين النتيجة الحتمية لتطور النظام الرأسمالي الذي سار باتجاه ثابت نحو تركيز رأس المال، والسيطرة، والقوة الاقتصادية.

والذي تولد عنه تكوين الشركات متعددة الجنسيات التي ستستغني عن الدول القومية التي نشأت مع نشأة الرأسمالية وأدت دوراً حاسماً في نمو الرأسمالية وانتشارها.

وتمثل العولمة، الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية، هيمنة الغرب وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية على الدول الأخرى، وإكساب العلاقات الدولية، الطابع العالمي.

### ومفهوم العولمة يمكن أن يحدد بالنقاط التالية:

١. العولمة فكر مدروس تمّ إيجاده بدلاً من الاستعمار، وبدأ قبل وبعد الحرب العالمية الثانية، وتمّ إيجاد المؤسسات الإدارية والاقتصادية، ومنها: هيئة الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، وهكذا أصبحت العولمة عملية استلاب الشعوب الأخرى.
٢. التوسع المتزايد المضطرد في تدويل من قبل الشركات متعددة الجنسيّة بالتوازي مع الثورة المستمرة في الاتصالات والمعلومات التي حدّت بالبعض على تصور أن العالم قد تحول بالفعل إلى قرية كونية صغيرة.

٣. العولمة في مظهرها الأساسي تكتل اقتصاديٍّ للدول العظمى لاستثمار ثروات العالم وموارده الأولية وأسواقه على حساب الدول الفقيرة واحتواء المركز للأطراف التي حاولت الفكاك منه في الخمسينات

والستينات إبان حركة التحرير الوطني ثم تعثرت في بناء الدول الوطنية فأراد المركز وراثتها من جديد تحت أشكال الهيمنة.

٤. وصول نمط الإنتاج الرأسمالي منذ منتصف القرن الماضي تقريبا إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول إلى عالمية الإنتاج وإعادة الإنتاج ذاتها. أي أنها ظاهرة العولمة التي تشهدها في بداية عولمة الإنتاج والرأسمال الإنتاجي وقوى الإنتاج الرأسمالية وبالتالي علاقات الإنتاج الرأسمالية أيضا ونشرها في كل مكان مناسب وملئم خارج مجتمعات المركز الأجنبي ودوله.

العولمة بهذا المعنى هي رأسملة العالم على مستوى العمق بعد أن كانت رأسملته على مستوى سطح النمط ومظاهره.

٥. ظاهرة تتجسد في توحيد المنظومة الدولية على صعيد عالمي ونشوء منظومتين جديدتين :

- أولهما إعلامية واتصالية.
- والثانية معلوماتية حتى تخضع جميع المجتمعات لحركة واحدة.

٦. الغطاء النظري والفلسفة النظرية لاقتصاد السوق ولمجموعة الدول الصناعية والشركات متعددة الجنسيات من أجل فتح أسواق العالم أمام الصناعات الغربية بدعوى المنافسة والانفتاح وتشجيع الدول الأقل نمواً على التنمية.

٧. عبارة عن اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش.



٨. ضغط العالم وتصغيره من ناحية، وتركيز الوعي به ككل من ناحية أخرى.

٩. مرحلة جديدة تتكشف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي ويحدث تلاحم غير قابل للفصل بين المحلي والعالمي بروابط ثقافية واقتصادية وسياسية وإنسانية.

١٠. العولمة هي الرأسمالية فيما بعد مرحلة الإمبريالية.

١١. هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وسيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ.

١٢. ليست العولمة مجرد آلية من آليات التطور الثقافي للنظام الرأسمالي، بل إنها أيضا دعوة إلى تبني نموذج معين هي أيضا أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وإقصاء الخصوصي.

١٣. العولمة فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات أو السيطرة الثقافية الغربية على سائر الثقافات بواسطة استثمار مكتسبات العلوم والتقانة في ميدان الاتصال.

١٤. العولمة نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم.

ويرى بعض العلماء أنّ العولمة تيار جديد مكمل لتيار العلمانية، وأنّه تيار جارف وأكثر خطورة من العلمانية.. وأنّ دراسة هذا التيار واحتواء سلبياته يمكن من التخطيط للوقوف بوجهه في طريق خلق عولمة مضادة (إسلامية) تستفيد من إيجابيات العولمة هذه وتمكن أمتنا من استعادة دورها البناء.

والعولمة بالتالي منهج جديد للحضارة الغربية في صراعها ضد هويّات الشعوب وثقافات الأمم من أجل فرض سيطرتها وهيمنتها الثقافية وإخضاع العالم سيطرة الحضارة الغربية.

تسعى كل الدول الغربية إلى تلك الهيمنة، لكنها تقع تحت وطأة الأقوى ولذلك فهي تساعد في تلك الهيمنة وتشارك بها، إلا أنّ النتيجة أن تلك الهيمنة (أمريكية) الواقع.

تسعى العولمة إلى جعل العالم كله (قرية صغيرة) -كما ذكرنا- وهو تعبير إعلامي أكثر من كونه حقيقة، إذ إنّ الدول التي لا تكون تحت تأثير السيطرة الإعلامية الغربية وفضائياتها تكون خارج تلك القرية.. ولكننا نرى تسابقا من الدول العالمية صغيرتها وكبيرتها.. لأن تصبح جزءا من هذه القرية بما تقدمه من مشاركة في الفضائيات واستخدام لها واستخدام لأجهزة الإعلام والثقافة "الكومبيوتر والانترنت وأدوات التصوير المعاصرة".. حتى صار من السهل جدا أن يتعرف المرء على الأحداث العالمية وقت حدوثها.. إذ كان المرء في أي مكان يستلم الحادث سماعا أو رؤية بعد وقوعه في مكان ما.. بعد جهد جهيد وزمن طويل.. إلا أنّ المرء نفسه يسمع بالحادث ويراه وقت حدوثه مما يدل على أن العالم الكبير هذا يصبح صغيراً تحت سيطرة الإعلام أو تحت تقدّم هذا الجانب العولمي المهم.

لقد ساعدت العولمة أو التقدم التقني الهائل على إزاحة قوى عالمية كبيرة كانت فيما سبق تقدّم قرارات وتؤخر أخرى، ولها دور عالمي مهم.. ثم بين فينة أو أخرى أصبحت في مهب الريح، لأنها لم تكن تواكب التطورات التقنية والإعلامية الغربية.. فقد زال الاتحاد السوفيتي (القوة الثانية) في العالم وبزواله سقطت حكومات كثيرة في أوروبا الشرقية على الخصوص، وزالت أفغانستان الشيوعية ومن ثم الإسلامية وزال عراق صدام حسين، وستزول دول أخرى تحت وطأة الظروف نفسها.

لم تكن فكرة (العالم الصغير) الذي يقع تحت سيطرة أو هيمنة معينة فكرة معاصرة.. إنما كانت قديمة.. ولكنها كانت بدائية حيث لم تكن هناك تطورات تقنية أو إعلامية.. لكن كانت هناك هيمنة سياسية وثقافية واقتصادية ودينية.. كانت الهيمنة الرومانية سابقاً، ثم الهيمنة الفارسية، ثم الهيمنة المسيحية.. إذ كانت كثير من الدول الصغيرة قد سقطت وأصبحت تحت سلطة تلك الدول.. وصار نظامها السياسي والاقتصادي والثقافي والديني موحداً أو مقارباً للتوحيد.. ثم ما لبث الإسلام أن ظهر بفكرته (العولمية) أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومهما قيل من قبل أعداء الإسلام أن الإسلام قد نشر التخلف والإقطاع في العالم.. فإن العدل الاجتماعي الذي كان يسود الأراضي الإسلامية والنمو الاقتصادي الذي كان قد نبع من فكرة (إعمار الأرض) التي كان يبشر بها الإسلام.. قد جعل من الهيمنة الإسلامية فكرة مرغوبة من معظم الشعوب، فكم من دولة شرقية قد طالبت المسلمين بإدخالها تحت ظل الإسلام، وأعلنت شعوب كثيرة إيمانها بالإسلام وبدخولها في الإسلام صار نظامها الاقتصادي والثقافي والسياسي موحداً حتى ولو أعلنت دول إسلامية متعددة.. فالخط الإسلامي واحد في كل الأقطار الإسلامية..

إلا أن التخلف الصناعي الذي حاق بالمسلمين عند تطور الثورة الصناعية الأوروبية جعل الدولة العثمانية تتدحر ويصبح العالم الإسلامي متخلفاً. ويتمثل التقدم الغربي في مقارنته مع الأمة العربية والإسلامية فيما يلي:

١. إحلال قوة البخار محل قوة العضلات التي بقيت السمة التي يمتلكها العرب والمسلمون.

٢. اختراع وسائل آلية للنقل وتطويرها.

١- سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

٣. اكتشاف توليد الطاقة الكهربائية.
٤. التقدم في القوة الكهرومغناطيسية وظهور الطبيعيات الجديدة.
٥. اكتشاف الأسمدة الزراعية واستخدام الآلات الزراعية.
٦. حلول منتجات الكيمياء الجديدة محل الصناعة الطبيعية والغزل الطبيعية.

٧. تقدم العلوم الطبية.<sup>(١)</sup>

مما جعل للغرب هيمنة على العالم الإسلامي كله وصار العالم الإسلامي دولاً عديدة يصعب إعادتها إلى أي نوع من أنواع الوحدة وبدأت العولمة الشيوعية عن طريق التنظيمات الشيوعية التي انتشرت في كل بلدان العالم، وسيطرت روسيا الشيوعية على بلدان أوروبا الشرقية وإعلان الحكم الشيوعي فيها، ثم انتقل التطور التقني إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد منتصف القرن الماضي.. وبدأت أمريكا بمدّ يدها نحو العالم كله لتحتضن العالم وتحتويه وتجعله في خطها السياسي والثقافي والاقتصادي بعد إسقاط العالم الشيوعي الذي تمثل بحل الكتلة السوفيتية وإنهاء الحكم الشيوعي الاشتراكي فيها، فنظام أمريكا الرأسمالي.. بدأ ينمو ويتجه نحو كل الأقطار..

ونظامها (الديمقراطي) صاحب ورقة الأكثرية السكانية آخذ بالتطور في كل الأقطار، ونظامها (التربوي) صار هو النظام الذي يلتف على الأنظمة التربوية (الدينية) في كل مكان وتوجيهه نحو التربية الأمريكية.

والانتماء السياسي نحو العالم الغربي صار الورقة الرابعة للأقطار التي تريد أن تسلم من المشاكل التي قد تحيق بها..

١- أ.د. بدري محمد فهد، محاضرات في الفكر والحضارة.

أخذت مكاتبنا وجامعاتنا وبيوتنا بنصب الكومبيوترات وربطها بالانترنت الحديث وصارت ثقافة الغرب وأساليب الغرب العملية ومطالبها تدخل إلى حياتنا شيئاً فشيئاً حتى صرنا جزءاً منها.

وصارت أيادنا تمسك بالتلفون المحمول بصورة دائمة أكثر مما هو موجود بين الأيدي الغربية. ويستمر التطور فيها حتى صار الانترنت، أداة الربط الغربي لحياتنا تدخل إلى هذا المحمول الصغير، مما يجعل الإنسان يرتبط بشبكة عنكبوتية عنيفة بالتطور التقني الغربي.. وبقينا تحت سيطرة ذلك التقدم وبحاجة دائمة له..

وصار من الطبيعي أن :

١. اقتصادنا يرتبط بالغرب.
  ٢. عقلنا يرتبط بالغرب.
  ٣. تخطيطنا يرتبط بالغرب.
  ٤. ثقافتنا ترتبط بالغرب.
  ٥. ونمارس ديننا بحذر خوفاً من الغرب وصارت تربيتنا الدينية خاضعة لتخطيط يخاف من الغرب.
- مراحل العظمائية :

ولغرض الاستفادة تاريخياً من التطور العولمي لا بد من تقسيم ذلك التاريخ إلى خمس مراحل تاريخية مرت بالعالم.. وهي:

١. المرحلة الجينية: والتي بدأت في القرن الخامس عشر، حيث بدأت الأفكار القومية تنتشر في أوروبا.. وبدأ الضعف الديني يدبّ بالبابوية فتعمقت الأفكار الفردية والإنسانية وكان أول مظهر من مظاهر "العولمة" انتشار التقويم (الغريغوري) الميلادي الذي نستخدمه في كل أقطارنا.

٢. مرحلة النشوء: وتبدأ من منتصف القرن الثاني عشر وحتى عام (١٨٧٠م) حيث توحدت المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية وتقنين أوضاع الأفراد، وبدأت الاهتمام بموضوع القومية والعالمية.
٣. مرحلة الانطلاق: والتي استمرت منذ (١٨٧٠م) وحتى بدايات القرن العشرين فانتشرت فيها مفاهيم تتعلق بالهوية القومية والفردية.. وصارت هنالك اهتمامات عالمية بالألعاب الأولمبية ونشوء عصبة الأمم بعد الحرب الكونية الأولى.
٤. مرحلة الصراع من أجل الهيمنة: حيث الصراعات العالمية للهيمنة قد بدأت فرأينا إلقاء للقبلة الذرية على اليابان ثم بروز الأمم المتحدة ودورها.
٥. مرحلة عدم اليقين: وهي مرحلة أنهت ما يسمى الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وسقط نظام الاتحاد السوفيتي وصار العالم الثالث جزءاً من المجتمع الدولي بعد زوال العالم الثاني منه.. وفي هذه المرحلة تركزت الأسلحة النووية في يد الأقوياء وصارت هنالك محاولات للسيطرة على الفضاء كهبوط الإنسان على القمر وغير ذلك.

#### آثار العولمة:

١. إن الآثار الظاهرة التي يلمسها الفرد بالنسبة للعولمة هي:
  ١. انتشار المعلومات بحيث تكون مشاعة بين الناس.
  ٢. تذويب الحدود بين الدول.. ويأخذ ذلك التذويب شكلين:
    - أ. تذويبها فعلاً عن طريق إلغائها بين دول كثيرة ممثلة بإلغاء الحدود ومتطلباتها كما حصل في القارة الأوروبية مثلاً أو بإلغاء التأثيرات بين بعض الدول.

ب. تذويبها عن طريق انتشار الفضائيات وهي جزء مكمل لانتشار المعلومات.

٣. ازدياد معدلات التشابه بين الجماعات والمؤسسات والمجتمعات والتي قد تؤدي إلى نتائج إيجابية أو سلبية.

٤. سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول المختلفة وتقسيم النشاطات التي تنتشر إلى "بضائع وخدمات وأفراد وأفكار ومعلومات ونقود ومؤسسات وأشكال من السلوك والتطبيق".

وللعولمة آثار سلبية وآثار إيجابية يمكن تلخيصها بما يلي:

أ. الآثار السلبية للعولمة:

ويمكن تسميتها بالمخاطر، وتتجسد تلك المخاطر في جوانب ثلاثة هي:

١. الجانب السياسي:

تتعدم الحاجة إلى التخطيط المستقبلي للدول ولإعادة توزيع الدخل القومي أو دعم السلع الضرورية لتعارضها مع مبدأ المنافسة والكفاءة من جانب، ومن جانب آخر بدأت فكرة تقليص الجيوش وتخفيض الإنفاق عليها، وحيث تنتشر الأفكار الليبرالية فإن ذلك سيحدد من الاهتمام بالبرامج السياسية الحزبية ونزعاتها.. لأنّ العولمة ستجعل العالم يعيش في وطن مكوّن من عالم المؤسسات والشركات وعالم الأفراد المسيرين، المستهلكين. فالعولمة تعكس أيديولوجية تعبّر عن إرادة الهيمنة التي أصبحت وسائلها محددة.

إن كل ذلك يعني أن الدول الصغيرة يجمعها أمر واحد هو أن تكون في أحضان الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية والتي أفقدتها أية ميزة سياسية واضحة.

والعولمة في الجانب السياسي تقوض الأسس القومية أو الدينية التي تعيشها الدول العربية وإحلال الإقليمية البديلة فيها. كذلك تحطم أسس ومقومات الدول

الصغيرة تؤدي إلى صياغة الخرائط للوحدات السياسية العربية والإسلامية وتحول الدول الصغيرة إلى وكالات للمصالح الغربية والأمريكية بالأخص تخدم تلك المصالح وتحفظ لها أهدافها.

كذلك التحكم في مركز القرار السياسي وصناعته في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية وما يسمى بالأمن القومي الأمريكي على حساب مصالح الشعوب وثروتها الوطنية. كما وتعمل العولمة على إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب وتدمير الهوية والثقافة القومية والدينية للشعوب. وبالتالي فإنها تضاعف الفرص للمجموعات الأقوى والتكتلات السياسية والاقتصادية في مراحل سيطرتها على الشعوب بقصد استغلالها ونهب ثرواتها أو بعبارة أصح بروز نوع جديد من الاستعمار في القرن الواحد والعشرين أشد خطراً وأبلغ ضرراً مما سبق من أنواع الاستعمار.

## ٢. الجانب الاقتصادي:

ويعني أن الدول العربية والإسلامية سوف تنسى أي جانب اقتصادي إسلامي يمكن تطبيقه، لأن هذه الدول ستكون أداة لانعكاس الفكر الرأسمالي الغربي وتطبيقه في أراضيها.. سيكون من آثاره إشاعة الفقر وتوسيع الهوة ما بين طبقات المجتمع وتركيز الثروات بيد شريحة معينة.. وسيكون شعار إنتاج أكثر ما يمكن من السلع والمصنوعات بأقل ما يمكن من العمل سيتبعها بتسريح العمال والموظفين.

فالعولمة، قد تساعد على نشر البطالة ومن ثم نشر الفقر لأنها تعتمد على التخطيط الغربي الاقتصادي والذي يجعل الهوة واسعة ما بين الطبقات الاجتماعية.

## ٣. الجانب الثقافي والتربوي:

إن ما تسعى إليه العولمة هو اختراق ثقافات الشعوب وسلبها خصوصياتها من خلال توظيف وسائل الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة والتي تربط المتقنين



بدائرة محدودة ينشدون إليها بصورة آلية تصرف العقل عن أي شيء آخر. فتسود بذلك النفعية من جانب واعتماد الحلول التقنية المعلوماتية والتي قد تشل العقل والتطور الفكري.

كما أن الدول التي بيدها الهيمنة، التي صارت هي صاحبة الكلمة في الأقطار العربية والإسلامية بدأت بفرض نوع من الثقافة وتخطيط معين للتربية والتعلم، يربط العالم العربي والإسلامي بالغرب مؤيدا لنشاطاته موقفا لأي مناوأة للصهيونية العالمية ساعيا للتطبيع الاجتماعي والسياسي والتقني والثقافي والتربوي مع إسرائيل. وبالنسبة للأمة العربية فإنها تروج الثقافات الغربية لتقويض اللغة العربية عبر وسائل الاتصال وإحلال اللغات التي يعتمد عليها نظام المعلومات الجديد والذي هو نتاج العولمة عن طريق تطويق الإبداعات الأدبية والقيمة للشعوب المجزأة والصغيرة ومن ثم تهميش ثقافتها والوطنية وتقليل خبرات المثقفين التي تتصل بأجهزة الاتصال الغربية، وجعل الخبرة تلقيا آليا لا يعتمد المثقف بالدرجة الأولى. بل جعل الخبرة مسألة آلية تضعف القدرات الثقافية.

وفي الجانب الديني تعمل العولمة على إلغاء الروابط الروحية والتراثية والتاريخية للأمم التي تعد الدين جزءا من تكوينها الشخصي والحضاري والاجتماعي والإنساني وبالتالي يصبح إلغاء المسيرة الإنسانية لهذه الأمم مسألة واقعية.

وفي الجانب الإعلامي فإن العولمة تسيطر وسائل الإعلام والدعاية في الدول التي تتطوي تحت هذا السيل الجارف وفق تخطيطاتها فيسلخها آنذاك عن جذوره وتراثها وأخلاقها، والإعلام له دور يمثل هوية الأمم فإذا تمت السيطرة على الفضاء العالمي الإعلامي لدولة ما سهلت فيها وسائل التحكم. وقد لعب الإعلام الغربي والأموال التي تسنده باسم مساعدة ومساندة الدول الصغيرة دوراً في ذلك ستساعد على تحقيق كل ما تقدم من أهداف لنظام العولمة.

أما في الجانب العلمي فقد كانت الدول المهيمنة تمنع التقدم العلمي للدول الصغيرة من أجل إغراقها بالإنتاج الغربي وبعد ظهور العولمة والتي أصبحت الأسواق فيها جاهزة لتلقي ذلك الإنتاج طوعاً فقد بات الغرب يشجع هذه الدول على استخدام التقنيات العلمية بكل أبعادها لغرض سلخ هذه الدول عما تحمله من هوية تلصقها بالماضي المشرف والذي قد يؤدي إلى مجابهة للعولمة التي فرضت نفسها على الشرق بعنف ودون إمكانية لمجابهة تقنية مضادة. ولكن استخدام التقنيات الحديثة في دولنا مشروط بشكل لا يؤدي إلى تقوية وضعنا الاستراتيجي وإنما سيجعلنا ندور في فلك مرسوم. فنكون قد أضعنا الماضي ولم نستفد من الحاضر. بل سنكون سوقاً خصبة لترويج المنتجات الغربية صناعية كانت أم علمية. ولكن دون هوية من هنا يأتي الخطر على المنهج المستقبلي الذي لا بد أن نرسمه لعالمنا. إذ أن ذلك المنهج سيدور في فلك المنهج العالمي المعد والذي لا يجعل لتقافتنا هوية معينة. وهذا ما يدعو إلى المجابهة والتي يجب أن تأخذ شكل المجابهة الثقافية والتربوية طالما أن لدينا قناعة بضرورة التقدم التقني والإيمان به وأنه لدينا ما يخدم تلك التقنية سواء بثقافتنا أم تراثنا الذي يحفظ لنا الهوية الدينية من جانب، وأن يعكس حقيقتنا التي بدأ الغرب يضلها بكثير من الأخطاء التي تساعد بفعل تقنيته الغازية على طمسها وتدميرها.

وهكذا.. فإن العولمة في ظاهرها حركة لتوحيد العالم كله على نظم موحدة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية، إنما لتسهيل الهيمنة الغربية (الأمريكية) على العالم كله.

فالعولمة وإن ظهرت بمظهر العالمية إلا أنها تختلف عنها كثيراً فالعالمية صفة إنسانية مرغوبة والإسلام يتميز برسالته العالمية وأما العولمة فهي آخر أساليب الرأسمالية والليبرالية الغربية وآخر أنماط استعمار شعوب العالم لصالح الأقوى في العالم.

والعالمية تعني الانفتاح على العالم وعلى الثقافات الأخرى مع الاحتفاظ بالتعددية الأيديولوجية وهي طموح إلى الارتفاع بالخصوصية إلى مستوى عالمي. أما العولمة فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي والاقتصادي محل الصراع الأيديولوجي وهي إرادة للهيمنة والاحتواء وإلغاء لخصوصية الآخر.<sup>١</sup>

إن الجوانب السلبية للعولمة تتضمن نوعاً من التحدي الثقافي للعالم الإسلامي والعربي تتلخص بما يلي:

١. أنها تمثل عدواناً على الهوية الثقافية المستمدة من عقيدة الأمة وحضارتها الكبرى. فالعولمة تربط الناس بعالم اللأمة واللاذولة لأن ذلك يسهل عمليات الاستلاب التي يقوم بها وأن الفضاء المعلوماتي يسخر لها ليووجه الثقافة والسياسة والاقتصاد على طريقته.
٢. أما خطورتها فتتمثل بكونها ثقافة غارقة في الشهوات والملذات، لا تؤمن بثبات الأخلاق - كما هو الحال في الإسلام - بل تعتقد أن الغاية تبرر الوسيلة.
٣. والعولمة فرصة للانفلات واللامسؤولية وأنها تشكل تأثيراً سلبياً على القيم والأخلاق السائدة في المجتمعات الإسلامية لكونها ثقافة شهوات وملذات، وحيث أن العولمة تقوم على الاقتصاد الحر واعتماد قانون العرض والطلب، فإن ذلك سيؤدي في النهاية إلى وجود فئتين متميزتين في المجتمع، أولاهما الفئة المسحوقة التي لا تجد قوتها، وفئة المستبددين، مما يضعف نشر العدالة الاجتماعية وأخيراً نشر ثقافة الاستهلاك قد ساعدت على انتشار البطالة والتي تهدد كل المجتمعات بلا استثناء وتسريح العمال وزيادة الضرائب.

١- إسحاق الفرخان، الإسلام والعالم. دار الفرقان- عمان ط١-٢٠٠٣م، ص ٣٣.

ب. إيجابيات العولمة:

- ورغم سلبيات العولمة التي تحصر الهيمنة بدولة أو دول معينة فإنّ للعولمة بعض فوائد ذكرها العلماء منها:
١. انهيار أسوار عالية كانت تحتمي بها بعض الأمم والمجتمعات واكتساحها بتيار العولمة.
٢. اكتساح العولمة لمناطق معزولة "كدول الشرق الشيوعية" وإنهاء عزلتها.
٣. تنوع السلع والخدمات بين الأمم بطريق هائل وتنوع مجالات الاستثمار التي تتجه إليها رؤوس الأموال من بلد إلى آخر فتعددت الصادرات والواردات وتنوعت الأعمال والاستثمارات وصارت السلع في أيادي معظم سكان العالم رغم الفقر الشديد الذي يسود بعضهم.
٤. بدأت المعلومات والأفكار تصبح العنصر الغالب على العلاقات بين الدول.
٥. أصبحت معظم الشركات والمؤسسات متعددة الجنسيات بعد أن كانت حصرًا على أقطار بذاتها.
٦. ساعدت العولمة على الدعوة لحقوق الإنسان والديمقراطية (حرية الأفراد) والإشادة بالعقلانية والعلم وبقدرة الثقافة الحديثة على التغلب على كل ما يعترض الإنسان من عوائق ومشكلات، ونبذ التعصب الديني أو القومي أو العرقي وأصبح الوقوف بوجه العولمة وقوفاً بوجه الحرية والتحرر في بعض الأمور.
٧. نشر التقنية الحديثة وتسهيل الحصول على المعلومات العالمية الهامة من خلال الاستفادة من ثورة المعلومات الحديثة.

٨. زيادة الإنتاج المحلي والعالمي وزيادة حجم التجارة العالمية مما يؤدي إلى فرض النمو الاقتصادي على المستوى العالمي والانتعاش الاقتصادي العالمي والتنافس الحر والتحسين في الجودة، وما زالت هذه الاتجاهات غير واضحة حيث إنّ النمو الاقتصادي وزيادة حجم التجارة وزيادة الإنتاج ما زال محصوراً بيد الولايات المتحدة الأمريكية أو الدول التي تلتف حولها كالدول الأوروبية وبعض الدول الشرقية.

### أهداف العولمة:

ومن خلال ما تقدم يمكن تلخيص الأهداف الرئيسة للعولمة التي باتت أمراً واقعاً بما يأتي:

١. تسعى العولمة إلى تهجين العالم وتجريده من خصوصياته.
٢. تعكس العولمة إرادة الهيمنة على العالم وتبني أنموذجاً معيناً (تأمركه) من خلال السوق العالمية لغرض إفقاد الدول الصغيرة توازنها ومن ثم تفكيكها وانقراضها.
٣. تسعى إلى إضعاف الدول النامية وتنمية روح الاستهزاء التقليدي كالانتماء للقبيلة والطائفية والتعصب المذهبي بقصد تمزيق المجتمعات غير الغربية بقصد تمزيق المجتمع والقضاء على الهوية القومية والوطنية والدينية غير الغربية عن طريق ضخ المعلومات عبر التقنيات الإعلامية والثقافية المتطورة الحديثة.
٤. تسعى إلى فرض الأنموذج الثقافي الغربي على شعوب الأرض بعد اجتثاث ثقافة شعوب الأرض وتغييبها.
٥. تمثل العولمة تحدياً دائماً للشرق لغرض الاستسلام والتسليم المؤديان إلى الانحلال والتفكك والالتحاق من دون شخصية ولا برنامج ولا مشاركة إيجابية بالثقافات المسيطرة.

## مقاومة العولمة:

- هنالك جملة أمور يمكن لنا أن نواجه بها أخطار العولمة منها:
١. عدم الخروج على الثوابت القاطعة التي ثبتت في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ والتي لا يمكن أن يكون المسلم مسلماً موحداً إلا بها وعدم السماح بمخالفتها في الثقافة والتربية والتعليم والإعلام.
  ٢. الاتفاق على قيم أخلاقية عليا نابعة من دين الأمة وحضارتها الشامخة حتى تتربى الأجيال على الحد المشترك الذي يرخي الجميع في هذه المرحلة الحرجة والتي تحتاج فيها إلى الأخلاق النبيلة التي تبذر بذور المحبة والتراحم والتودد بين أبناء الأمة الواحدة.
  ٣. الاتفاق على وضع الخطط للقضاء على الجهل والجوع والمرض بين أبناء الأمة الواحدة وهي خطط دنيوية تنموية لإيصال الأمة إلى مستوى الأمم القوية.
  ٤. الانطلاق في مواجهة العولمة في عقيدة الأمة ووحدة العرب وتضامن المسلمين في مجالات الحياة كافة والوقوف وقفة موحدة أمام السياسات العولمية الغاشمة.
  ٥. تطوير الثقافة العربية والإسلامية كمنهج في كل مراحل الدراسات التعليمية لأن ذلك يمثل الرصيد الأول للمقاومة العربية والإسلامية للعولمة.

# الوجودية

## الوجودية

الفلسفات قبل الوجودية والمؤثرة فيها.

العقلانية والمثالية والواقعية:

فلسفة "هيجل" (١٧٧٠-١٨٣١م)

لقد نفرد هيجل بالكشف المنطقي الموضوعي عن الحركة الجدلية في الوجود والتدليل على برهنتها وعملياتها على السواء. وكان له الفضل في إظهار حقيقة الوحدة الكلية للوجود، أي العقل أو الروح وعلاقاته بالطبيعة والإنسان.

إن هيجل مثالي عقلي ولكنه في الوقت نفسه موضوعي واقعي ولذلك فقد أعتبر رائداً كبيراً من رواد الحداثة في الفكر الحديث والمعاصر نسبة لما قام به من تحليلات موضوعية واقعية للمواقف الإنسانية الشعورية والاجتماعية والتاريخية والتي بشرت بالوجودية كمذهب مستقل.

كان هيجل يهتم بعلم المنطق بدلاً من الاعتماد على الميتافيزيقيا. وكان يؤمن بالجدل ويقول بوحدة كلية عقلية للوجود ويسمياها (الروح المطلق). بحيث تكون الطبيعة اغتراباً لها في برهة من برهات جدلها وهي التي يمكن للمنطق وحده كعلم مطلق أن يكشف عنها ابتداء من الإحساس المباشر لموضوعات الوجود في واقعها وحركتها وجدلها جميعاً وهو بهذا يخرج من ذاتية العقل إلى موضوعية الظواهر الواقعية المحسوسة وكانت ثقافة هيجل العامة قد ساعدته على تدعيم هذه الموضوعية التي حرص عليها في جدله العقلي كما ساعده إيمانه الديني بالمعتقدات اللاهوتية على تدعيم جانب التناقض في العقل، تحقيقه وتجليه وجدله.

وعنده أن نتائج العلم تدلل على الجدل العقلي وبرهانه بحيث تكون لها في حياة الإنسان والإنسانية برهات ظواهرية للروح، أي العقل الكلي في تحقيقه أو تجليه. ويعتقد بأن مجال الحقيقة الأوحد هو القول الإنساني وخاصة الحكم العقلي



كقضيته. وأنه لا بد بالتالي من دراسة مواقف الوساطة الإنسانية في تسوية الأحكام، والقضايا، الأمر الذي دعم فكرته في أوكان (علم المنطق) أن يقوم مقام (الميتافيزيقيا).

والعقل أو الموضوع لا يشكلان دائرة مستقلة وحدهما فهما متداخلان يصيران برهات جدلية تظل موسوعاتهما مترابطة وعلى هذا النحو بالفعل سيمثل هيجل حياة الفرد والمجتمع والتاريخ وحياة النظم الاجتماعية والثقافية والحضارية والتي سيرى فيها تحقيقاً للعقل الكلي أو تجلياً له في برهات جدله. وتبدأ المثالية الموضوعية من المباشرة الحسية للوجود بفعل أن الإنسان كائن عاقل حي، وهو بفعل خضوعه لناموس الحياة ونظمها أو تكوينه الشعوري والاجتماعي يتطور ويصير ويعبر عن نفسه وشعوره وعقله ويتفلسف في شؤون هذا الموقع الموضوعي.

فالمثالية الموضوعية إذن هي التي ستكون مضمون الجدل العقلي عنده.

إنها الواقع الموضوعي كما أنها في المقابل موضوعية عقلية.

والإنسان ذو طبيعة إلهية عند هيجل وهو بذلك ملتقى (النتاهي) و(اللاتناهي) لذلك فإن هيجل قد أشغل نفسه في الأساطير والمعتقدات اللاهوتية والغائية العقلية واضحة وهي ممزوجة بفاعلية إنسانية موضوعية لدرجة أننا نلاحظ كيف أن العقل يكشف نفسه في وساطة الإنسان وتعبيراته ومواقفه الوجودية.

المباشرة الإنسانية هي البداية وهي النهائية هي نقطة الانطلاق ونقطة الوصول إن انعكاس المباشر الظاهر فكراً كلياً هو ملاقة العقل لنفسه وهو انعكاس يتم بسبب وجود النقيض بحيث هو في ذاته يوجد ويحافظ على ذاتيته وفي الوقت نفسه، ويجادل المطلق اللامتناهي.

لقد قال عنه (كير كجارد):

بأنه "الفيلسوف الذي جرؤ على وضع (الفلسفة) فوق مستوى (الدين) أما آخرون فقد صوروا فلسفته بأنها [صورة مقنعة من صور (الفلسفة المسيحية)]". واختلف آخرون في إيجابية فلسفته أو سلبيتها وصور البعض منهم أن فلسفته كانت البداية أو "الأصل الذي صدرت عنه شتى النزعات الشيوعية والإلحادية".

ورأي عنه يقول بأنه "لم يكن سوى مفكر برجوازي بروتستانتى" وقيل عنه أيضاً بأنه "أعظم مفكر أثر في مجرى التفكير الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين".

أما الرأي الأخير عنه فيقول بأن "كل مذهب لم يكن أكثر من "عريضة فكرية" سرعان ما أطاح بها تقدم الفكر العلمي في القرن العشرين". لقد كان مذهبه يتّصب على أن التاريخ ليس إلا تاريخاً للوعي وتطوراً للوعي وهو بمثابة تطور التاريخ والشعوب غير الواعية لا نستطيع أن نقول عنها أنها شعوب حرة فالحرية لا يملكها إلا من يعيها ويعي أهميتها ويعي أنها في الوعي بها. والوعي بها لا يكون إلا من خلال العقل لأن العقل جوهر التاريخ وجوهر الإنسان على حد سواء.

بذل هيجل جهداً في توضيح ما يعنيه بفلسفة التاريخ فقال:

أولاً: إن فيلسوف التاريخ لا يزاحم المؤرخ التجريبي في البحث عن الوقائع التاريخية وجمع المعلومات والمادة التاريخية كالوثائق وما إليها، بل إن الفيلسوف لا ينشغل بهذا، إنما هو يفسر التاريخ بوصفه تجلياً لحركة الروح العاقلة في الزمان.

ثانياً: إن الفكرة الوحيدة التي تجلبها الفلسفة معها وهي تدرس التاريخ - في نظر هيجل - هي الفكرة البسيطة عن العقل والتي نقول أن العقل يسيطر على العالم، وأن تاريخ العالم يتمثل أمامنا بوصفه مساراً عقلياً. يقول:

"أن الطبيعة تتبدى أمامنا في عدد لا حصر له من الظواهر والصور الفردية ونحن نشعر بالحاجة إلى وحدة وسط هذا التنوع الهائل وهذه الوحدة تتبدى في العنصر الكلي الكامن وراء التنوع. فالأنواع أو الكليات هي كل ما يشكل العقل في الطبيعة وهذا الكلي هو الحقيقة وهو الماهية ولا يمكن للحواس أن تدركه فهو لا يرى ولا يسمع لأن وجوده من أجل العقل فحسب".

فالطبيعة بناء على هذا هي نوع من الفكر لكن لا كالفكر الإنساني بل هي فسق من الفكر اللاواعي أو على حد تعبير (شلنج) أنها عقل أصيب بالتحجر.

ثالثاً: إذن العقل جوهر التاريخ كما هو جوهر الطبيعة مع فارق هام هو أن العقل الذي يحكم التاريخ هو عقل واع بذاته أعني هو العقل البشري. أما حركة نظام الشمس فهي تتم وفقاً لقوانين هي العقل الكامن في ظواهر الطبيعة لكن لا الشمس ولا الكواكب التي تدور حولها وفقاً لهذه القوانين يمكن أن ينسب إليها أي ضرب من ضروب الوعي. إذ الوعي الذاتي لا يكون إلا للإنسان.

رابعاً: لا يعني القول بالعقل كجوهر التاريخ أننا نقم أفكاراً فلسفية على علم التاريخ بل إن هذا نتيجة مستخلصة من التاريخ نفسه. فتاريخ العالم كان تطوره مساراً عقلياً وأن التاريخ يشكل المجرى العقلي الضروري لروح العالم. لقد حذر هيجل من اختراع أفكار قبلية وحشرها في وثائق الماضي لذلك انتقد هيجل اليهود الذين يرون أنهم شعب مختار من الله تعلموا منه مباشرة ومنحهم بصيرة كاملة وحكمة ومعرفة تامة بجميع قوانين الطبيعة والروح.

وكان (انكساجوراسي) اليوناني قد سبق هيجل بالقول بأن العقل أو ملكة الفهم هي التي تسوس الكون واستعارها سقراط.

ويرى هيجل أن العقل يدبر الكون من حيث أن الكون لا تتصرف به المصادفة ولا الأسباب الخارجية العرضية وإنما تدبره عناية هي العناية الإلهية،

فالعناية الإلهية في الواقع الحكمة المقابلة للقدرة اللانهائية التي تحقق غايتها أي غاية الكون النهائية المطلقة "العقل" فالعقل هو التفكير الذي يحقق ذاته بكل حرية.

ويفسر هيجل الصورة التركيبية لديه لمسار التاريخ بثلاث نقاط هي:

أولاً: طبيعة العقل ويسمىها (الروح) وطبيعتها لديه عكس طبيعة المادة فإذا كانت ماهية المادة (النقل) فإن ماهية العقل أو الروح، هي (الحرية). فالأولى تتأثر بالجانبية أما الروح فكل صفاتها لا توجد إلا بواسطة الحرية. والحرية لديه هذا التعيين الذاتي أو الاستقلال (فأنت حر بقدر ما تكون مستقلاً) وكل مرحلة من مراحل سير التاريخ تمثل درجة معينة من درجات الحرية. وأن الحرية تؤلف ماهية الروح.

ثانياً: كيفية تحقق العقل في التاريخ: يرى هيجل أن أفعال الناس تصدر عن حاجاتهم وانفعالاتهم ومصالحهم الخاصة فيكون بذلك اقتناعنا بأن محرك التاريخ هو إشباع الرغبات الأنانية فهي أكثر منابع السلوك أثراً وليس من شك أن حاجات الفرد ومصالحه هي الدافعة إلى كل سلوك تاريخي وإن تحقيق حاجات الفرد هو الذي ينبغي أن يحدث في التاريخ. ويعرف هيجل عظماء الرجال بأنهم أولئك الذين يعرفون متطلبات اللحظة الراهنة أو ما يجب فعله فيها.

والمثالية هنا ليست بعيداً عن الواقع أو عن التاريخ فهي ليست خلقاً أو إبداعاً فردياً ولا وحيّاً من السماء وإنما هي معرفة ما هو موجود وما يتطلبه من فعل أي أن الرجل العظيم يمثل العقلانية الداخلية للتاريخ.

ثالثاً: الشكل الذي يتحقق فيه الروح (العقل): أن هذا الشكل يتحقق حينما تتحدد الإرادة الذاتية والموضوعية أو الجانب الذاتي مع الجانب الموضوعي وتتجلى هذه الوحدة في الكل الأخلاقي أو (الدولة). فهي وحدها الحقيقة الواقعية التي يجد فيها الفرد حريته الخاصة بشرط أن يعرف ما هو مشترك للكل. ومن هنا كانت الدولة هي وحدة الأخلاق الذاتية الموضوعية أو هي التحقق الفعلي للحرية. إذ فيها

تبلغ الحرية مرتبة الموضوعية. والعقل الإنساني يصبح واعياً بهذه الوحدة عن طريق ثلاثة أشكال:

أولها: الدين فعن طريقه نصل إلى صورة من هذه الوحدة الواعية حين يصل الإنسان المؤمن إلى الوعي بالروح المطلق.

ثانيهما: الفن ، الذي تتحقق فيه وحدة الجانب الذاتي والجانب الموضوعي.

ثالثهما: الفلسفة التي تقدم لنا صورة من هذا الاتحاد (بين الجانب الذاتي والجانب الموضوعي أي بين الذات والموضوع).

إن التاريخ لا بد أن ينتهي بالحاضر. أي أن الحاضر حقيقة واقعة فما سبق في التاريخ ينتهي في الحاضر ويتوقف عند الحاضر (أي لا يذكر المستقبل) لأن النظر إلى المستقبل هو من التنبؤات أو الآمال. أما التاريخ فهو ما يقع فعلاً من أحداث وفلسفة.

والوجودية هي تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان ويؤكد على تفردّه وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه.

ويرى بعض المفكرين أن هذا التيار يمثل من الاتجاهات والأفكار المتباينة وليس نظرية فلسفية واضحة المعالم. ونظراً لهذا الاضطراب والتذبذب لم تستطع إلى الآن أن تأخذ مكانها بين العقائد والأفكار.

والوجودية فلسفة ظهرت كرد فعل للقلق الإنساني. القلق مما يعيشه الفرد سواء حياته كفرد أم كجزء من الدولة. وهي حالة تمرد شخصي على المفهوم الجماعي لكل شيء.. هذه الحالة قد انتظمت بشكل إطار فلسفي، ومن ثم حياتي لكثير من الناس..

مرت الوجودية في إنسان القرن العشرين مروراً ليس عابراً، لأنها انتشرت وانتشرت من خلالها الكثير من الأفكار حيث قد ظهرت فئات عاشت حياة بعيدة عن الجماعات البشرية المعهودة.. وإنما عاشت بشكل فردي أو جماعي ضمن إطارها

الفكري ، ثم انتشرت من خلالها ( الموضات ) الكثيرة في الملبس والهيكل البشري من تطويل في شعر الرأس أو اللحى أو غيرها .. وصارت أفكار الوجودية أفكار الأحاديث الفكرية في كل المجالس .. وقد تبناها ( الماديون ) أكثر من غيرهم بحيث نجد أن الكثير من الماديين الشيوعيين أو الماركسيين قد اتجهوا نحوها وتبني أفكارها فانعكس ذلك الفكر على مظهره الشخصي وملبسه شيئاً فشيئاً .. والأكثر من ذلك فإن الصحف والمجلات والتمثيلات والمسرحيات قد أخذت بأفكارها وعكستها على واقع الحياة بصورة كان وراءها تخطيط ما ..

وكان الإرهاب والتهديدات الإسلامية للغرب وانشغال الناس بالقضية الفلسطينية وما رافقها من تفجيرات انتحارية ومواقف إسرائيلية متشنجة وظهور صدام حسين على الساحة السياسية والاجتماعية بأفكاره وتحدياته ، ومن ثم ظهور (غورباتشوف) وتطوير البيروسترويكا أو ( الثورة والتغيير الإداري ) في العالم الشيوعي وظهور الحركات الإسلامية في الشيشان وغيرها قد جعل اليسار واليمين السياسي ينشغل ويشغل معه أكثر الشباب في العالم فاضمحت الوجودية وأفكارها وممارساتها حتى كأنها ( موضحة ) قد انتهى عصرها .. وإن كانت أفكارها ما زالت منغرسه في التربية واتجاهاتها وفي الفلسفة الإنسانية ويمكن أن تعود مرة أخرى إذا ما استقرت الأمور السياسية أو إذا ظهرت قوة سياسية ثانية في هذا العالم الذي انفردت أمريكا بقيادته وتوجيهه .

لقد كان القلق الشخصي الإنساني والاجتماعي هو ما دفع الأفراد والجماعات إلى اعتناق الوجودية فكراً وسلوكاً .. وكان لها أثرها في الفكر السياسي العالمي من جانب وكذلك من حركات التحرر العالمية والتي ستعنى بذكرها بعد أن نستعرض مرتكزاتها الفكرية .

لقد اشدت التركيز على التفكير الوجودي بعد الحرب العالمية الأولى وإن كان أصل فكرها يمتد إلى الإنسان الأول والإنسانية البدائية التي يريد إنسان اليوم أن يعود إليها في عالم الشيوعية والمادية .

ثم نمت أفكارها في بداية الحرب العالمية الثانية والتي جرت ويلات للإنسانية عمقت فيهم اليأس والآلام الإنسانية .

نشأت الوجودية في أحضان الليبرالية الغربية .. وكان من روادها أشخاص كثر ، منهم سورين كيركيغارد وهيدجر وجان بول سارتر . إلا أن الأخير كان رائداً كبيراً من روادها الذين اشتهروا في أرجاء الدنيا . ورافقته سيمون دي بوفوار (زوجته غير الشرعية ) في مسيرته الفكرية حتى نهاية حياته .<sup>(١)</sup>

كانت العقلانية التي تدعو إلى توجيه العقل بصورة مسبقة .. وكانت الوجودية فلسفة مضادة ، تمثل رد فعل على المذهب العقلاني الذي ساد أوروبا في عصر التنوير ، فكانت دعوة لتعميم فكرة العدم مع إنكار وجود الخالق واستبعاد دور العقل . فصارت فلسفة ( الأنا ) الفردية القائمة على النزعة واللامعقول (والأنا .. هي الفلسفة الأنانية ) التي تغفل حقيقة عدم بلوغ الإنسان حريته من خلال إعلاء شأنها ( شأن الأنا ) الفردية على حساب مصالح المجتمع . وانطلقت فلسفتها من وحدة الذات والموضوع .

لكن الوجودية نفسها قد انقسمت إلى وجوديتين ...

**الأولى:** هي الوجودية اللادينية أو الإلحادية والتي يمثلها هيدجر وسارتر .

١- كان جان بول سارتر يرى أن الزواج من بقايا عبودية الإنسان لإنسان آخر لذا رفض الزواج .. ولكنه مع ذلك قضى حياته مع سيمون دي بوفوار .. أي أنه كان متزوجاً بها ولكن دون عقد شرعي لعلاقتها .. فثورته إذن على العقد وليس على الزواج .

**والثانية:** وجودية تؤمن بالدين، وقد نشأت في أحضان الكاثوليكية. ومن أعلامها غابرييل مارسيل وكارل ياسبرز .

وكلتاها لم يهتمتا بالوجود المنفصل عن الذات الإنسانية فدمجت بين الذاتي والموضوعي فانطلقت من وحدة الذات والموضوع . وكلتاها كانتا ردة فعل كما قلنا .. على العقلانية (تيارات العقل القديمة والحديثة ) التي كانت تقول بأن الماهية سابقة على الوجود فجعلت الوجودية الوجود سابقاً للماهية .

وهذا المبدأ يتضمن رفضاً كاملاً لما عرف في الفلسفات التقليدية من أن الماهية تسبق الوجود . أي أن هذا المبدأ يرى أن الكائن الإنساني يولد في العالم ويقذف به في الحياة دون رغبة منه في شيء .

فالقول بأن الوجود يسبق الماهية معناه أن الذاتية يجب أن تكون نقطة البداية . فالإنسان لا شيء غير ما يصنعه بنفسه ، هو الذي يوجه نفسه نحو مستقبل معين ، وهو وحده القادر على أن يتخيل نفسه ما سيكون عليه في المستقبل . إن الإنسان في هذه الفلسفة ليس جزءاً من النظام الكوني ، وإنما هو حر لذا فإنه مسؤول عن تصرفاته جميعاً .

وتؤكد الوجودية على الوعي ، وهو المظهر الروحي في الإنسان ، لكن الوجودية تهمل الجانب الجسمي للإنسان . فالإنسان يستعمل جسمه من أجل مواجهة الحياة ، والإنسان حر ، لأن الحرية أساس الخلق والصنع . والإنسان ليس خيراً أو شراً في ذاته ، وإنما هو سلسلة من المواقف وبعد نجاحه في اختيار هذه المواقف بقدر ما يكون خيراً وبقدر ما يكون عاجزاً عن تحقيق ذاته بقدر ما يكون شراً، إذ إن التربية الوجودية تهتم في الأساس بالتربية الحرة المسؤولة التي تحقق ذاتها خلال مواقف الحياة التي يمر بها الإنسان ، والتي يعايشها ويعاينها .

يقف الوجودي موقفاً سلبياً من الضرورات الموضوعية . فتعزل عنها أفرادها لأن هذه الضرورات بمثابة قيود مفروضة على حركته وعلى ذاته



الإنسانية. كما ويسعى الوجودي إلى تقليص ضوابط السلطة المفروضة على الفرد إلى أقصى الحدود. فالإنسان هو الذي يصنع مصيره ويحدد أفعاله بدون مؤثرات عقلية أو خارجية .

ولكن يجب الإشارة إلى أن تيار الوجودية يبحث في وجود الإنسان في حياته الواقعية وليس في الوجود بشكل عام .. ولا يهتم الوجوديون بمعرفة ماهية الإنسان وحقيقته وإنما يهتمون في وجوده الواقع الحافل بالمشكلات والأزمات والرغبات والحاجات .

تتشكل ماهية الإنسان في نظر الوجوديين خلال حياته الواقعية التي يحياها وليست شيئاً مقدوراً ومحدداً من قبل . لهذا احتلت فكرة الحرية الشخصية مكاناً رئيساً في الفلسفة الوجودية .

لم يتمكن الوجوديون أن يبددوا القلق العالمي ، مهما انضوى الوجودي تحت فكر الفردية والنزعة الانعزالية ، حيث عانى في وطأة القلق العالمي وآثاره النفسية والاجتماعية . فهناك الحرب الباردة ( التي كانت بين المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي ) وما رافقها من تهديدات وحشودات عسكرية واستنفارات نووية وحصارات اقتصادية وضغوط استخباراتية ...

ثم إن هناك الهوة الاقتصادية التي بدأت تتسع بين الفقراء والأغنياء في ظل الاقتصاد العالمي الجديد حيث قد تهمشت فيه شرائح إنسانية كبيرة . وظلت الفلسفة الوجودية متعالية ومقيمة في صف المجموعات النخبوية إعلامياً وثقافياً ، وبدأت كأنها مقطوعة الجذور والتواصل التاريخي وإن كانت نشأت وتطورت في دائرة الليبرالية الغربية دون أن تنقيد بكافة محدداتها الفكرية الأساسية وخاصة العقلانية، ولم تتمكن من ردتهم الفكرية الموجهة إليها وخصوصاً ما يتعلق منها بالعدمية وتجاهل الحقائق الموضوعية . وبدأت مناقضة للمعتقدات الدينية . ما عرضها للانتقادات القاسية حتى داخل المجتمعات الغربية .

أهم الأفكار والمعتقدات :

أما أهم الأفكار والمعتقدات الوجودية فيمكن تلخيصها بالنقاط الآتية :

١. تؤمن الوجودية إيماناً مطلقاً بالوجود الإنساني ويتخذون الإنسان منطلقاً لكل فكرة .
٢. الإنسان عندهم أقدم شيء في الوجود . وما قبل الإنسان كان عدماً وإن وجود الإنسان سابق لماهيته .
٣. أن الأديان والنظريات الفلسفية التي سادت خلال القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان .
٤. أن على الإنسان أن يطرح الماضي المبني على القيود الدينية والاجتماعية والمنطقية . وأن الدين كله الضمير بينما الحياة فتقاد بإرادة الإنسان المطلقة.
٥. ليس هنالك قيم ثابتة توجه سلوك الإنسان وتضبطه . إنما كل إنسان يفعل ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيماً أو أخلاقاً معيبة على الآخرين.
٦. شيوع الإباحة الجنسية كجزء من حرية الإنسان .
٧. يتسم تصرف الوجودي بالانطوائية الاجتماعية .
٨. تعتبر الوجودية تمرداً على الواقع التاريخي وعلى التراث الضخم الذي خلفته الإنسانية .
٩. جاءت الوجودية بردة فعل على تسلط الكنيسة ( الدين ) على الإنسان .
١٠. تأثرت الوجودية بالعلمانية بل وتعتبر باباً من أبوابها .
١١. الإنسان ركن الدعوة في الوجودية وهو سابق على ماهيته حتى وإن كانت الوجودية موفقة .

## شخصيات وجودية :

### ١. سورين كيركيغارد :

الذي يعتبر رائد الوجودية الفعلي بالمعنى الحقيقي لمصطلح الوجودية أي البحث الفلسفي في الواقع الإنساني كوجود في العالم يسأل عن وجوده ، كان كيركيغارد يبحث في التجربة الشخصية الفردية وهو الرد الحاسم للمنطق العقلي (الذي جرد به التجربة الحية لسعيه إلى مقولات موضوعية وغائية عقلية) .

كان كيركيغارد مولعاً بالكتابة الذاتية وتحليل مضامين تجربته الشخصية وقد وصل من زاوية خصوصياته وجزئيات حياته الخاصة والعامة إلى ما أسماه (المقولات الوجودية). مثل ( الذاتية ) و ( القلق ) و ( اليأس ) و ( الاختيار ) .

تعلم عن والده فقد ( الدين ) واعترافاته بالخطيئة التي أرهقته وزرعت فيه الشك والحيرة والريبة والحزن إلى درجة بات يرى الآخرين متقلبين بحمل الخطيئة في لحمه ودمه . لذلك انتسب إلى مدرسة لاهوتية ولم يصبح كاهناً حسبما خطط لنفسه واعتزل العالم ثم قرر أن يتم ما بدأه " هيجل " من عمل في عقل الحياة أو الاهتمامات العقلية . وهكذا اتجه نحو الإنسان ليكون محور كتاباته وبحوثه ومن ثم فلسفته .

وخلص إلى الرأي أن الإنسان يجب أن يعرف نفسه " الوجود و الوعي وموجوديته في الحياة الشخصية في العالم " . وبمعنى آخر فإن الإنسان يجب أن يحيل المعرفة إلى حياة وعقيدة وخير حتى يكونوا إنسانيين فيحققون نواتهم . وإن نبذ المجرد والكماليات لمعالجة الجانب الواقعي الحي من حياة الإنسان هو السبيل للوصول إلى الوجود . وأن " الذاتية " هي مقولة المقولات ، إنها الفرد في تحققه الواعي .

فالحقيقة هي ذات الحياة والعاطفة أكبر تعبير عن الوجود والمفكر المثالي - عنده - هو المفكر الذاتي الذي ينبذ شئنيات العقل ليحلل شعوره ويكشف عنه .

والمفكر الذاتي يجد أن الأفراد وحدهم هم الوجوديون وأن " الوجود " فردي في طابعه الأصيل . والوجود يتحدد بالزمان والصيرورة والموت ومن هنا كان الوجود مسؤولية .

والمفكر الذاتي مفكر أخلاقي وعليه أن يختار نفسه ليلبغ ذاته الحق . ويتم إنسانية المفكر الأخلاقي بالقرار أي بالاختيار .

وأسمى دعوته بالجدل الفردي .. وهو الحركة التي يكون فيها ( الفرد ) هو (الجميع) فيكون فرداً للجميع وليس فرداً لنفسه .

والحقيقة عند كيركيغارد جدليته ، بفعل كونها حواراً مع النفس وتوتراً تبعث عليه المخاطرة والالتزام .

والاختيار عنده (جدل ) لا يتم بغير القلق والمخاطرة . وهو سمة الوجود بحيث يكون الوجود هو الاختيار . والوجود فعل يدركه الفكر في حال الفعل فيصير موضوعاً للفكر ، وهو فردي لا سبيل إلى التعبير عنه .

٢. هيدجر :

وقد درس الوجود ليس من خلال التجربة الشخصية الذاتية . يصل من تحليلاتها إلى أحوال الوجود أو معانيه كما هي الحال عند كيركيغارد كان في كتاباته يطمع في فلسفة للوجود ابتداء من الوجود الفردي أي ( الأنا الواعية ) في حياتها اليومية .

ذلك لأن الباحث في الوجود هو نفسه موجود وهو موضوع للبحث من حيث أن السائل عن الوجود ، وجود يسأل عن وجوده .

وأن الوجود العام (الانطولوجي) في فكر هيدجر لا يتطابق حتماً مع ما هو فردي عيني، أي أن (الأنا الذاتية) قد لا تتطابق مع (أنا) الحياة اليومية في العالم.

وقرر أن (الوجود الأصلي) و(الوجود الزائف) وجودين متغايرين متميزين. و(الآنية) وجود وحوار وتعامل مع الآخرين و(الأصالة) هي اختيار الذات لذاتها و(الزيف) هو هروب الآنية من أمام ذاتها .

و(الضياع) و(الاغتراب) عند هيدجر هو غير (السقوط). لأن السقوط شعور بأن (الآنية) ملقاة في العالم بدون إرادتها وهو مجبرة على العيش في موقع ما لكنها مسؤولة عن وجودها. بينما (الضياع) هو فقدان الآنية لإمكاناتها الذاتية. و(الاغتراب) حركة من الذات إلى الذات، حركة يغير أصالتها .

و ( الجود ) عنده ( زمني ) أي أن ( العدم ) موجود فيه .  
و( المستقبل ) عنده يعني ( الموت ) ولا سبيل إلى التغلب عليه . وهو إمكانية ( تعديم ) .

والوجودية الإنسانية المسؤولة تكشف الاختيار .  
و( الآنية ) عليها أن تختار نفسها ولكن لا حرية مطلقة لها . فإمكانية الاختيار عندها محدودة . ومن مظاهر الجدلية الوجودية عنده ( العلو ) فهو انطلاق ومحاصرة وإسقاط وتجاوز للذات وهو وجود بدون نظام .  
(العلو ) هو ( انطلاق ) .. أي فاعلية قدرة على الوجود و ( سلب ) أي نفي للذات و إمكانياتها و ( محاصرة ) أي إسقاط جديد له .  
ويعتبر هيدجر من أعلام المدرسة المؤمنة بالفلسفة الوجودية .

٣. جان بول سارتر :

يمكن تصنيف سارتر مع مجموعة التحررين في عصر المؤيدين للتغيير الاجتماعي والسياسي ، إنه من دعاة مواجهة عصر البرجوازية لأنه عصر انحطاط وانسحاق وهزيمة ، ومن دعاة مكافحة الأيديولوجيا المسيطرة والمختزنة للقيم التقليدية ، فالمتقف الواعي - عند سارتر - يواجه الإيديولوجيا بوسيلتين هما :  
● ممارسة النقد الذاتي باستمرار

• ومشاركة الطبقات المحرومة في مطالبتها .

والمتقف هو الإنسان المدرك بوعي - في داخله وفي المجتمع - ذلك التعارض بين البحث عن الحقيقة العملية (القابلة للتطبيق) والإيديولوجيا المسيطرة، بتعبير آخر رفض بمثل ما دعا الكاتب إلى الإقلاع عن الصمت والهروب .

ويمثل سارتر الإلحاد في الاتجاه الوجودي وقد سئل ذات مرة عن رأيه في وجود الله فأجاب : لا يضرنني إن كان الله موجوداً إلا أنه - يعني سارتر - لا يعتقد بأن الله ( تعالى الله عن ذلك ) يتدخل في الشؤون البشرية .

ويرفض سارتر العلاقات الاجتماعية ومنها الزواج .. وعاش مع الفيلسوفة الوجودية سيمون دي بوفوار في بيت واحد عيشة الأزواج إلا أنه لم يعقد عليها .. فتبين من سلوكه أنه يكره ( العقد ) وليس اختيار امرأة لنفسه .. وهذه العادة تمارس الآن من أكثرية شعوب أوروبا وأمريكا .. بل إن الأوروبي أو الأمريكي يستغرب من رؤية المسلمين وهم يلتزمون العفة ولا يجدون لها معنى عندهم ويمثل سارتر المدرسة الملحدة للفلسفة الوجودية .

وتتعدم معاني الحياة الاعتيادية أو الدينية عند فلاسفة وجوديين آخرين مثل (فرانز كافكا) و ( كولن ولسون ) بحيث يشبهون الإنسان بالحشرة في رواياتهم . حيث يسهل سحقهم من جانب ولا معنى لحياتهم من جانب آخر لأن غالبيتهم لا يتركون أثراً لحياتهم بعد مماتهم مما يجعل حياتهم بلا معنى . حيث أن أكثرهم لا يحقق ذاته .

ويتجه معظم الفلاسفة الوجوديين إلى تصوير فلسفتهم بروايات ينشرونها حيث تتجسد الأفكار بالشخصيات الحية وتصرفاتها لتتصرف الفلسفة من كتابات جافة نظرية إلى تجسيم حي يتمثل بشخص يتصرفون بتصرفات إنسانية اعتيادية. ويستخدم بعضهم ألفاظاً جديدة بديلة للفظ الوجودية منها ( اللامعقول ) حيث يتبين من خلال طروحاتهم عالمين :

❖ أحدهما (المعقول) وهو العالم الجامد الروتيني الذي لم يتبدل منذ الإنسان الأول .

❖ و(اللامعقول) والذي يمثل فلسفة الرفض والتغيير والجديد والفردية والذاتية.

الفلسفات بعد الوجودية والمتأثرة بها :  
"البنوية":

جاءت البنوية رداً على وجودية سارتر ، وركزت على المصطلح اللغوي لفهم نظام العلاقات بين البشر . فالإنسان هو مجرد جزء من نظام وبُنِيَ محددة على ما تقول البنوية.

رفضت البنوية ، الأيديولوجيا والتحليلات الأيديولوجية وتوقفت عند عامل القوة أو عامل الإكراه في العلاقات السياسية والاجتماعية بل عند دوره في اكتشاف الحقيقة ذاتها وأرادت من خلال هذا الرفض تحقيق جملة أهداف بينها رفض المركزية التي اقترنت بالقوة أو عامل الإكراه .

جاءت الفلسفة البنوية إثر تراجع الوجودية خلال عقد الستينات من القرن الماضي . وكان أساس هذه الفلسفة ما جاء عند أربعة مؤلفين فرنسيين هم :

١ . كلود ليفي شتراوس .

٢ . ورولان .

٣ . وميشال فوكو .

٤ . وجاك لاكان .

ويعتبر شتراوس هو رائد البنوية الذي تنسب إليه الفلسفة . فالأربعة يلتقون حول جذر منهجي واحد هو (المفردات اللغوية) فيرون أن هناك "الـدال" وهو (المكون الصوتي) و" المدلول" وهو (المكون الذهني) وما بين الدال والمدلول يدور

التركيز الذهني الذي يولد منهجاً مجدداً أكثر مما يولد نظرية فكرية أو أيديولوجيا معينة .

فالبنوية هي مجرد منهج . إنها ليست مذهباً فكرياً أو سياسياً متميزاً في مضمونه . والفكرة الرئيسة في هذا التيار متصلة بلفظ بنية . فالبنية مرتبطة بمعنى البناء الذي له عناصره وأركانه وكل عنصر أو ركن يؤدي وظيفة في البناء لكن هذه الوظائف مرتبطة بعضها مع البعض الآخر بعلاقات أساسية ، ولا تتضح أهمية أي ركن في البناء أي في ضوء علاقته بالأركان الأخرى .

عرف لالاند البنوية بقوله : " أنها نسق أو كل مؤلف من ظواهر متضافرة بحيث تكون كل ظاهرة فيها تابعة للظواهر الأخرى ولا يمكن أن تكون ( الظاهرة ) ما هي عليه إلا في علاقتها بتلك الظواهر "

ومن هذا التعريف يتبين أن البنوية تشير إلى كل " أو نسق منظم يضم في داخله عناصر أساسية يؤثر بعضها في البعض الآخر ، وأن فهم أي عنصر من هذه العناصر لا يتم بالنظر إليه منعزلاً عن العناصر الأخرى وإنما يفهم بالنظر إليه في ضوء علاقاته بالعناصر الأخرى .

وقد تبين في مجال اللغويات أن التحليل في النحو بناء سطحي وبناء عميق في الكلام . أما في مجال العلوم الاجتماعية فإن شتراوس يستخدم المنهج البنوي في دراساته العديدة في هذا المجال وقد بنى البنية اللاشعورية أو العميقة التي تكمن وراء الظواهر المشاهدة والتي تمثل نسقاً عقلانياً منطقياً يمثل فهماً للعلاقة بين الطبيعة والثقافة من جهة ويقدم تفسيراً للظواهر الاجتماعية من جهة أخرى .

شتراوس رائد البنوية :

درس شتراوس " الأنثروبولوجيا البنوية " على قاعدة العقلانية والشمولية الذهنية بمعنى الانشغال بالعمليات التي يجريها ذهن البشري بوجه عام . ووجد الظواهر الأنثروبولوجية بمثابة نظم محددة : نظام القرابة ونظام الأساطير على



قاعدة المفردات اللغوية وأراد من خلال هذا المنهج فهم طريقة التفكير التي يشترك فيها كل بني البشر بصرف النظر عن عاملي الزمان والمكان أي إثبات وحدتهم الفكرية في الوقت الذي يقر بخصوصياتهم الثقافية المتعددة بتعبير آخر ، يجد شتراوس أن غالبية الظواهر الثقافية كالتيكولوجيا والتنظيم السياسي يجب أن تخضع لضوابط اجتماعية أو ايكولوجية من خلال البيئة الطبيعية .

وقد حدد شتراوس اتجاهه البنيوي ضمن سياق الجدل ما بين العقلانية و التجريبية ووجد أن الثقافات تتطور طبقاً للضوابط الداخلية في الذهن البشري لا استجابة للحاجات الخارجية فقط .

**ميشال فوكو :**

ركز فوكو على الضوابط الخارجية التي تستبعد في الخطاب العام .. أو تحديداً الخطاب السياسي .. ما لا يجب أن يقال أو أنها تحدد ما يمكن قوله على الرغم من أنه لم يضع نظرية سياسية ، بل يجد أن تلك الضوابط من شأنها تحديد ما هو صحيح وما هو خاطئ .

إن قواعد الاستبعاد هذه التي تحدث عنها فوكو تبدو جلية في الأنظمة التوتاليتارية حيث التسلط والقهر الاجتماعي والسياسي وكيف إذا كان مصدر الاستبعاد محدداً في شخص واحد أو جهاز أمني يدعي الدفاع عن الوطن أو الدولة أو الأمة ؟

فإذا كان فوكو لا يقدم تحليلاً أو تفسيراً متناسقاً بقدر ما يقدم لنا بلاغة لغوية فإنه يجد التاريخ الحديث لإرادة الإنسان الغربي من أجل التوصل إلى المعرفة بدون مضمون تقدمي .

فالقوة عند فوكو ليست نتاج إرادات فردية أو جماعية . القوة يتم إنتاجها بالإكراه وبأشكال مختلفة حتى أن الحقيقة يتم إنتاجها بواسطة الإكراه . ويتضح من

هذا المنهج نشأة فوكو الماركسية ، إذ أنه لم يربط خطابه بأي معتقد ديني أو طائفي واستعمل أسلوب التلميح غير المباشر .

إن الحضارة الغربية عند فوكو - نحو انحدار دون أن يوجد لها بديل وفوكو دور وأهمية في تسليط الضوء على ظاهرة إحلال التكنولوجيا محل الأيديولوجيا المسيطرة ، محذراً من السلطة ومواجهاً هذه المركزية الضاغطة .

رولان بارت :

وبارت على عكس سارتر لا يؤمن بوجود قدر متكامل أو وحدة في شخص الإنسان . فهو يؤمن بالوحدة بل يؤيد كل ما هو متقطع ومتعدد وأن فلسفته تقوم على التحلل حيث تتفكك وحدة الفرد وتصبح تعددية أو كثرة .

جاك لاكان :

الفرويدي المستند على التحليل النفسي لفرويد يجد أن رغبات الأفراد وإراداتهم تتفاعل على مستوى ( الأنا ) وعلى مستوى المجموع وقد رفض الأيديولوجيا والتحليل الأيديولوجي .

إن البنيوية أعادت إلى العقلانية شيئاً من دورها خارج الليبرالية الكلاسيكية أو الليبرالية القديمة، فالبنويون يناهضون البرجوازية التي كشفت الماركسية جانباً واسعاً من استغلالها الاقتصادي والاجتماعية .

فالبنويون يقفون في مواجهة الفردية ويناهضون فلسفة (الأنا).

وهم لا يفسرون التاريخ تفسيراً مادياً كما يفعل الماركسيون لأن الإنسان الفرد فيها ليس أكثر من شكل مستقر. أي أنه ليس كائناً بشرياً وفق نظرة لاهوتية تقليدية بقدر ما هو جزء من نظام وبُنى محددة . ومع ذلك فإن البنيوية التي خرجت على وجودية سارتر ، بقيت غامضة ، لذا أعقبتها فترة تسمى ما بعد البنيوية ، قادها جاك دريدا البنيوي الذي خرج على فلسفتها .

# البراجماتية

## البراجماتية<sup>(١)</sup>

### تعريف البراجماتية :

إن لفظة براجماتزم أو البراجماتية مشتقة من لفظة يونانية تعني العمل ومن العمل تؤخذ كلمتا "مزاولة" و " عملي " . فهي محاولة تفسير كل فكرة بتتبع واقتفاء أثر نتائج العملية كلاً على حدة . فإدراكنا وتصورنا للمعاني الكلية لهذه الآثار والنتائج سواء أكانت مباشرة أم بعيدة ، هو عندئذ كل تصورنا للموضوع أو الشيء ما دام هذا التصور له أهمية أو مغزى إيجابي على الإطلاق .

وقد تضمنت البراجماتية إتجاهاً سياسياً لأكبر دولة عالمية . الولايات المتحدة الأمريكية التي تحاول أن تفرض هذا الاتجاه على العالم .. بل قل إنها تريد فرض تجربته في الولايات المتحدة الأمريكية على شعوب العالم . والحقيقة أن طبيعة شعب الولايات المتحدة الأمريكية والنظام السياسي القائم بها يشجع على قبول الفلسفة البراجماتية ، لكن انتظار التجربة في بلدان أخرى ممن جربت قبلها عشرات الاتجاهات ، لا يمكن أن تتجح فيها خاصة إذا ما علمنا أن معتقدات تلك الشعوب - وخاصة الإسلامية - ترفض أن تكون حقل تجارب لتطبيق أفكار معينة من الديمقراطية، لأن هذه الشعوب ترفض فكرة " الغاية تبرر الوسيلة " رفضاً تاماً .. من جانب، ومن جانب آخر فإن العالم الروحي الذي تعيشه هذه الشعوب لا يجعلها تقبل هذه الفكرة .. لأن نجاح شيء أو فشله لا يمكن أن يوقف أحكاماً شرعية تؤمن هذه الشعوب بأنها منزلة وأنه لا يمكن التلاعب بها حسب الأهواء .

فلا يمكن إذن أن تكون التجارب السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي قائمة على فلسفة قياس للنتائج المتحققة لفكرة ما على أرض الواقع .. أي أن

١- لعل الدكتور عدنان السيد حسين هو أنجح من لخص موضوع البراجماتية فقد رأى أن البراجماتية قد تجاوزت مجرد كونها مجموعة أفكار إلى بلورة فلسفة عامة معنية بشؤون الإنسان والمجتمع والدولة.

البراجماتية إذا كانت تسعى إلى تطبيق الأفكار التي تتحقق على أرض الواقع بنتائج إيجابية .. فإن الشعوب الشرقية تكون أفكارها السماوية موجودة وسابقة على التجربة.. تصلح للتطبيق على الواقع في كل الأحوال ، وهذا ما أثبتته التطبيقات على مر الزمن وفي كل مرحلة لأن الإسلام لكل زمان ومكان ومرحلة ..

إن البراجماتية هي فلسفة لقياس أية فكرة بمقدار ما تحققه من نتائج على أرض الواقع .. وهذه الفلسفة لها اسم آخر يعرف بها وهي " الذرائعية " والتي تقوم على أساس النظر إلى النتائج العملية التي يأمل الفرد أن يحصل عليها من خلال أفكاره وتلك فلسفة تشارلز بيرس c.peirce ( ١٨٣٩ - ١٩١٤ ) والتي تتلخص بأن:

(الفكرة الصحيحة، هي تلك الفكرة المفيدة أي القابلة للتحقيق على أرض الواقع).

ولم يقتصر أمر البراجماتية على ( بيرس ) وحده .. بل ظهر هنالك فلاسفة اقتصاديون واجتماعيون وتربويون براجماتيون منهم ( وليام جيمس ) و ( جون ديوي ) وغيرهما ، وكانت لهم آراء شبيهه بآراء بيرس يمكن تلخيصها بأن :

(النتائج المترتبة على أي فكرة هي التي توصلنا إلى معناها وحقيقتها ، والممارسة العملية كفيله بأن تدلنا على الحقيقة ) .

تلك هي الحقيقة العملية ، أما الحقائق المجردة والتي تكون منعزلة عن الواقع فهي في رأيهم نوع من التمنيات أو المثاليات .

وعلى هذا " فالبراجماتي " يعني من يحب الحقائق في كل متوعاتها الخام ، فهو صعب المراس ، تجريبي يقر بالوقائع ، بالتخصيص ، بالتمييز ، بالتماسك ويلاحظ الحقيقة وهي تعمل في حالات معينة خاصة ثم يعمم . والحقيقة عنده اسم تصنيفي لكل أنواع القيم العاملة المحددة في الخبرة .

الإسلامي ) أرست مبادئ عامة بصرف النظر عن عاملي الزمان والمكان وعما إذا كانت ستحقق منفعة للإنسان ، إنها تتعلق بالوجود والإنسان المخلوق والعلاقات الإنسانية داخل المجتمع وبين المجتمعات فالمنفعة ليست هي المعيار الوحيد للتعامل مع الأشياء والظواهر ، بل هناك معتقدات وقيم غير مادية محسوسة .

إن هناك شيئاً قد فات على الدكتور عدنان ذكره ، أن الديانتين النصرانية واليهودية لم تقفا بوجه الفلسفة البراجماتية ، بل إن هذه النظرية أخذت مجالها في العالمين المسيحي واليهودي دون أن نسمع صوتاً دينياً واحداً منها لرفضها أو لمقارنتها مع أفكار مناهضة لها .

كما ويجب التنويه إلى أن في الإسلام نظاماً اقتصادياً يصلح لكل زمان ومكان ، ولا مجال للقول فيه أنه بغض النظر إذا كان سيحقق منفعة للإنسان ، لأن الإسلام كله منفعة وهو لم يشرع إلا للإنسان فحين تنتظر البراجماتية إلى النتائج والغايات ، فإن الإسلام نظرة شمولية إلى المقدمات والنتائج معاً .

الفكر الديني يبحث عن المطلق ، بينما البراجماتية تبحث عن النتائج التي تظهر في التطبيق على الواقع العملي ... (أي النتائج التي فيها منفعة الإنسان) والمطلق الذي نزلت به الرسالة المحمدية ، كانت منفعة الإنسان في علم الله الأزلي . فالإسلام لا يحتاج إلى تطبيق ما ، لتظهر نتائجه . فنتائجه لها قيمتها الفعلية سواء أكانت على البساط النظري أم البساط التطبيقي ، وذلك ما أثبتته لوهلة طويلة في الحكم الإسلامي .

ولا ينطبق موضوع المطلق - الذي يعنيه الدكتور عدنان - هنا إلا على الديانة المسيحية ، فهي مصنفة بالديانة المطلقة والديانة الأخلاقية من قبل علماء الأديان وليس فيها أنظمة متعددة كما هو الحال في الدين الإسلامي أو في الديانة اليهودية حيث يحوي التلمود تشريعات أخرى غير التي في العهد القديم ولكن مجموعة النظم اليهودي ليست شاملة كأنظمة الإسلام .

والفكرة الصائبة في البراجماتية تكون إذا أدت نتائج واقعية في حياتنا. أما " العقلي " فيعني المتحمس المتعصب للمبادئ المجردة والخالدة فهو لين العريكة، تعقلي يقر بالمبادئ ، تبصري، مثالي ، تفاؤلي ، ديني ، مؤمن بالإرادة الحرة ، فردي و يقيني .

وصاحب المذهب العقلي تكون الحقيقة عنده مجرد تجريد يجب أن يذعن المرء لمجرد ذكر اسمها . أما الفكرة الصائبة فهي الفكرة التي تحتم صوابها الضرورات المنطقية. والفلسفة البراجماتية وجدت أن هناك أفكاراً عملية أخرى تسند لها في المجتمع الأمريكي إذ أن هناك الفلسفة ( الأمبريقية ) التي نشأت على (الملاحظة والتجريب) أي على الاختيار العملي في ميدان العلوم الطبيعية . فتلتقي فيه الفلسفتان بحيث أنهما :

❖ تتخليان عن الفكر الأوروبي ( المثالي ) أو الميتافيزيقي أي أنهما يعبران عن رد فعل على المثالية .

❖ أنهما قد أسهما معاً في تعزيز المنهج الاختباري و تعميمه خارج نطاق العلوم الطبيعية ( المادة ) وصولاً إلى المجالات الاجتماعية الإنسانية .

كما تلتقي البراجماتية مع ( النظرية النفعية utilitarianism ) في استبعاد التضحية من أجل أهداف غير واضحة النتائج أو غير مضمونة في نتائجها الإيجابية ، وهما هنا يلغيان الاعتبار الإنساني تحت ذريعة البحث الدائم عن النفع أو النتيجة المحققة .

وفي ظل هذه الاتفاقات من النظرتين الأمبريقية والنفعية فإنه سيكون من الصعب تعريف البراجماتية تعريفاً واضحاً أو إضفاء تفسير خاص بها .

ويرى الدكتور عدنان السيد حسين أن ثمة خلافاً بين البراجماتية وعدد من القيم الروحية و الأخلاقية فالأديان عموماً، كما يقول ( ولم يستثن منها الدين

لقد فشلت الكنيسة في أوروبا عبر مئات السنين في إنجاح أي نظام اقتصادي وضعي لأنها تنقلت بالإنسان من العبودية إلى الإقطاع إلى الحروب الصليبية ( الخارجية و الداخلية) إلى صكوك الغفران ، دون أن يكون هناك وضوح رؤيا في الوضع الإنساني (أيام البابوية)، وعند اكتشاف أمريكا ، كان الإنسان في أمريكا بعيداً عن سلطان الكنيسة الكاثوليكية أولاً ، وغير مجبر على الأخذ بتعاليمها الاقتصادية الثقافية ثانياً، فكان انفتاح الفكر الاقتصادي والسياسي والثقافي هو الرد الحاسم على الفكر الديني المسيحي الكاثوليكي البابوي فترى البراجماتية أنه إذا أثبتت الأفكار اللاهوتية ( أي الدينية ) أن لها قيمة في الحياة الملموسة المحسوسة فهي أفكار صحيحة بمعنى أنها نافعة إلى هذا الحد . أما إلى أي حد أكثر من ذلك هي صحيحة ، فذلك أمر يتوقف كلياً على علاقاتها بالحقائق الأخرى التي ينبغي الاعتراف بها أيضاً ( وهنا نرى أن الدين لا بد أن يثبت أن أفكاره لها قيمة عند البراجماتي حتى يعترف بها ، والقيمة عنده بمعنى " المنفعة " ) .

لذلك لا نرى رداً من قبل مسيحيي أمريكا على النفعية أو الأمبريقية أو البراجماتية بل على العكس من ذلك رأينا توافقاً مع كل الأفكار التي تستند إلى التجربة لأن الإنسان الذي انتقل إلى عالم جديد .. وهو مضطر إلى الأخذ بالأفكار البعيدة عن الأفكار البابوية لا بد له أن يجرب الأفكار التي توصله إلى النتائج الجيدة .. ولا تظهر النتائج إلا على أرض التطبيق أي على الواقع العملي .. وهكذا نمت وتوسعت الأفكار البراجماتية التي دفعت إلى اعتناق نظرية " الغاية تبرر الوسيلة " .

### الديمقراطية عند البراجماتيين :

يعتقد البراجماتيون أن الديمقراطية هي ممارسة قبل أن تكون مثلاً يحتذى، فهم لا يعترفون بوجود نظام سياسي ديمقراطي مثالي ،ويرفضون الإيديولوجيات

المهتدين



الكلية والشمولية ( كالماركسية ) التي يحركها هدف معين ومحدد كما سنأتي إلى تناول ذلك عند دراستنا للماركسية.

ويرى " جون ديوي " زعيم التربية البراجماتية ، أن الديمقراطية بالمقارنة مع غيرها من أنماط الحياة ، هي النمط الوحيد الذي يؤمن بإخلاص التجربة كغاية وكوسيلة قادرة على الاستناد إلى العلم ذلك أن كل نمط حياتي يفشل في الديمقراطية يكون قد قلّص الاتصالات والمبادلات والتفاعلات التي من خلالها تثبت التجربة أقدامها . في الوقت نفسه توسع آفاقها وتغني ذاتها ، وطالما أن الديمقراطية هي مهمة لا يمكن أن تبلغ غايتها إلا بوصول التجربة إلى نهايتها ، فإن دورها يكمن في أن تخلق باستمرار تجربة أكثر حرية وأكثر إنسانية .

وقد خرج الدكتور عدنان السيد حسين إلى جملة مبادئ وأفكار تجسّد جوهر البراجماتية هي :

١. اعتماد المنهج الاختباري التجريبي في قياس مدى صحة الأفكار والنظريات فأية فكرة هي مجرد فرضية إذا لم تخضع للاختبار العملي.
٢. إن أهمية أي فكرة تقاس بمدى ما تحققه من نتائج والحقيقة هي نتيجة عملية قبل أن تكون فكرة مجردة .
٣. طرح إطار مختلف للديمقراطية يقوم على الممارسة لا على الأفكار المثالية المتعلقة بالديمقراطية ولا يوجد نظام ديمقراطي مثالي ومجرد .
٤. رفض الأيديولوجيات الكلية أو الشمولية انطلاقاً من مبدأ الحرية في الممارسة الفعلية وضرورة توسيع نطاق الحرية . لذلك تعارضت البراجماتية مع الماركسية.
٥. تتغير الحقائق بقدر ما تتغير الاختبارات العلمية على أرض الواقع فالحقيقة متغيرة باختلاف الأهداف والمصالح.

٦. عدم الفصل بين الفكر والحركة أو بين العلوم النظرية و العلوم التطبيقية ورفض المعتقدات والقيم المطلقة ، وكذلك رفض الفصل بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة .
٧. اتجاه معظم السياسيين البراجماتيين إلى تبني النظرية النفعية في إطار بحثهم عن المصالح والنتائج المرجوة .
- وهكذا نرى أن تجربة الديمقراطية تحتاج إلى المرور بالتجربة حتى تصل نهايتها لتبين النهاية التي تمثل الحرية والإنسانية بأبعد معانيها ... بينما يكون النظام الإسلامي - الذي يتم تطبيقه على مر العصور قد أثبت ذلك دونما الحاجة إلى المرور بالتجربة حيث يعتمد على نصوص إلهية تعطي بعض الدور إلى العقل الإنساني الاجتهادي في ظروف معينة يحتاجها البشر .

# الرأسمالية

## الرأسمالية

### تعريف زومبارت للرأسمالية:

تعتبر الرأسمالية في رأيه أنها تركيب من روح المشروع والمغامرة من جهة والروح البرجوازية التي تتميز بالحساب والعقلية من جهة أخرى، ثم يعقد مقارنة بين الإنسان الطبيعي قبل أن يكون رأسمالياً والذي كان ينظر إلى النشاط الاقتصادي باعتباره وسيلة لإشباع حاجاته الطبيعية فحسب وبين الإنسان الرأسمالي الذي اقتلع جذور الإنسان الطبيعي فهو يرى في جمع رؤوس الأموال وتحقيق الأرباح الباعث المسيطر للنشاط الاقتصادي ويخضع كل شيء في هذه الحياة لهذه الغاية .

### تعريف ماركس لها :

إن الرأسمالية هي نظام تمتلك فيه الأقلية أموال الإنتاج بمختلف أنواعها بينما لا تمتلك الأغلبية سوى قوة عملها ، ويقوم أفراد الطبقة الأولى أي الرأسماليون بشراء قوة عمل أفراد الطبقة الثانية أي البروليتاريا نظير أجر معلوم كما تشتري أي سلعة أخرى من السلع ، وتضطر البروليتاريا إلى بيع قوة عملها للرأسماليين لأن هذه القوة هي مصدر رزقها الوحيد ، وهكذا يقوم النشاط الإنتاجي في النظام الرأسمالي على أكتاف طبقة البروليتاريا .

### تعريف هوبسون :

يعرفها بأنها تنظيم العمل على نطاق واسع بواسطة صاحب العمل أو مجموعة من أصحاب الأعمال يمتلك مقدراً من الثروة المتراكمة يسمح له بالحصول على المواد الأولية واستئجار العمل وذلك قصد إنتاج أكبر قدر من الثروة، وبالتالي تحقيق أرباح أكثر .

**تعريف الدكتور احمد جامع :**

يعرفها بأنها تنظيم النشاط الاقتصادي في المجتمع على أساس قيام فرد هو الرأسمالي أو مجموعة من الأفراد مجتمعين هي الشركات الرأسمالية بالتأليف بين رؤوس الأموال الإنتاجية المملوكة لهم والمواد الأولية التي يشترونها وقوة العمال المستأجرة في شكل مشروع هو المشروع الصناعي، وذلك من أجل تحقيق مقدار متزايد دائماً من الثروة يمكنهم من الحصول على أرباح يحتفظون بها لأنفسهم.<sup>(١)</sup>

**تعريف أبو الأعلى المودودي :**

يعرفها أنها بكلمات صريحة إن الفرد هو المالك الوحيد لما يكتسب ولا حق فيه لغيره وله أن يتصرف وفق ما يشاء ويرضى ومن حقه أن يحتكر من وسائل الإنتاج كل ما تصل إليه يده وله ألا يصرفها إلا في الوجوه التي تعود عليه بالمنفعة.<sup>(٢)</sup>

**تعريف الرأسمالية كما جاء في الموسوعة الميسرة في الأديان :**

إن الرأسمالية هي نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها ، متوسعاً في مفهوم الحرية.<sup>(٣)</sup>

**بداية النظام الرأسمالي :**

إذا أردنا أن نحدد الوقت الذي بدأت فيه عوامل تكوين النظام فنجدها قد بدأت تتجمع وتنبور في بداية القرن السادس عشر. أما وقت اكتمال النظام الرأسمالي فسنجده في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .<sup>(٤)</sup>

١- الرأسمالية الناشئة ، د. احمد جامع ص ٥، ٦، ٧ د ار المعارف .

٢- أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ، أبو الأعلى المودودي ص ١١ .

٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٢٣١ الطبعة الثانية

٤- الرأسمالية الناشئة ص ١٣ .

وقد مرت الرأسمالية في ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى - الرأسمالية الناشئة : وتبدأ منذ منتصف القرن الثامن عشر وتستمر حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر حوالي عام ١٨٨٠.

المرحلة الثانية - الرأسمالية التوسعية: وتبدأ منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر وتنتهي في بداية الثلاثينات من القرن العشرين.

المرحلة الثالثة - الرأسمالية المتطورة : وتبدأ منذ أول الثلاثينات من القرن العشرين وما زالت حتى وقتنا الحاضر .<sup>(١)</sup>

### المؤثرات التاريخية وراء النظام الرأسمالي

#### نظام الإقطاع :

فبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس للميلاد انقسمت بلاد أوروبا إلى قطع ودول صغيرة وأقطار جغرافية متعددة ولكن بقي في أذهان رجالات أوروبا اثر للقانون الروماني وفي كل قطر استولى عليه الرؤساء والإقطاعيون، وهكذا بدأ نظام الإقطاعية في أوروبا ومن خصائص هذا النظام:

تقريره حيازة الأرض أساسا لغلبة الإنسان وعلو مكانته واختصت القوة والسلطة والسيادة والحقوق الدائمة بالذين يحافظون على الأمن في ذلك الجزء وهكذا تأصل في المجتمع التقسيم الطبقي .

الكنيسة المسيحية : حيث كانت حديثة العهد في أوروبا في ذلك الزمن فمدت يد المساعدة إلى النظام الإقطاعي وظلت تزوده بمستند ديني وكل ما نشأ من الأدب والفلسفة ونظام الاجتماع والاقتصاد بشكل خاص في نظام الإقطاعية قضت الكنسية أن الله هو الذي وضعه .

١ - المصدر السابق ص ١١٣

## حركة البعث :

وهي الحركة التي استطاعت أن تفكك عرى الجمود في أوروبا فحكم المسلمين في أسبانيا من جانب والحروب الصليبية المتتابعة من جانب آخر هيأت لأهل الغرب فرصة الاتصال في البلاد الأخرى . كانت الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر فترة انتقال من العصر المتوسط إلى العصر الجديد من تاريخ أوروبا ، حيث انتعشت في ذلك الزمان كل ناحية من نواحي الحياة الغربية من جراء المؤثرات التي كانت ترد إليهم من الخارج ، وكان رواد هذه الحركة هم البرجوازيون " التجار والمرابون وأصحاب الحرف والصناعات " لأنهم سكنوا المدن واتصلوا مع الخارج ولكن القيود الفكرية والدينية والاجتماعية التي كانت قائمه في البلاد بدعم من الكنيسة أصبحت عقبة في سبيل نهوض هؤلاء وتقدمهم في كل مجال ومن هنا أصبحت بين هؤلاء وهؤلاء حرب شاملة في كل ميادين الحياة حتى آل الأمر في القرن السادس عشر إلى أن بدأت الإقطاعيات الصغيرة تنقرض وتنضم إلى الولايات الكبيرة حتى ضعف سلطان الكنيسة على النفوس وبدأت الشعوب تؤسس لأنفسها كنائس قومية مستقلة حتى تم انكسار غلبة الكنيسة والإقطاعيين المشتركة ، وظلت طبقة البرجوازيين تتحرر مما كان النظام القديم قد ألقى عليه العقوبات الاجتماعية التقليدية .

## مذهب الحرية " الطبيعيين "

والذين رفعوا شعار هذا المذهب يدعون الناس إلى الحرية والتسامح ورحابة الصدر في كل شعبة من شعب الحياة . التي رأت أن الكنيسة قد استعملت اسم الله والدين والأخلاق في سبيل مدافعتها عن العقائد الباطلة والامتيازات الشنيعة والحقوق القائمة على القهر والعنف، ومن جهة أخرى قد أفضى بها الغلو والعناد إلى أن جعلت ترزعزع باسم الحرية والمسامحة ما كان في الديانة من الأخلاق والحقائق المسلم بها .

### الانقلاب الصناعي :

كان لاختراع الآلة في القرن الثامن عشر السبب المباشر في الانقلاب الذي حدث وكانت طبقة البرجوازيين اقرب الطوائف إلى استغلال ما فتحه هذا الانقلاب الجديد من أبواب الرقي والرفاهية والنفوذ والسلطة وأقاموا نظاماً اشتهر فيما بعد باسم " النظام الرأسمالي الجديد " حيث أقيمت تحت هذا النظام المعامل والمصانع وانقضت صناعات أهل الحرف القديمة وضافت بهم السبل فاضطروا إلى الذهاب إلى المدن ليعملوا كأجراء لدى أصحاب هذه المصانع الكبيرة .

### مذهب الحرية والتجدد في العصر الحديث :

نهض أصحاب هذا المذهب من جديد وأخذ يفتح روح الديمقراطية في السياسة وروح الفردية في المدنية والاجتماع والأدب والأخلاق وروح التحرر والتقييد . والذين رفعوا شعار هذا المذهب يدعون الناس إلى الحرية والتسامح ورحابة صدر في كل شعبة من شعب الحياة التي رأت أن الكنيسة قد استغلت اسم الله "والدين والأخلاق في سبيل مدافعتها عن العقائد الباطلة والامتيازات الشنيعة والحقوق القائمة على القهر والعنف . ومن جهة أخرى فقد أفضى بها الغلو والعناد إلى أن جعلت تزعزع باسم الحرية والتسامح ما كان في الدين من الأخلاق والحقائق المسلم بها.<sup>(١)</sup> وكذلك ترى هذه الحركة أن من واجب الدولة ألا تتدخل في الشؤون الاقتصادية وان تترك للأفراد حرياتهم الطبيعية في التصرف ولأن النظام الاقتصادي يخضع للقوانين الطبيعية التي تحقق المصلحة العامة للناس.<sup>(٢)</sup>

وظهر من الفلاسفة الذين أكدوا هذه القوانين الطبيعية مثل (جون لوك) الذي أضاف إليها حق الملكية (لكل فرد من ثمار عمله) ثم جاء (جان جاك روسو) فأعلن أن الناس عاشوا أختياراً وأحراراً ومتساوين في ظل القانون الطبيعي . وكان هناك

١- أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصر . بتصرف ٣٢-٣٩ .

٢- الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي ، د. محمد فاروق النبهان ، ص ٢٨ .



من الفلاسفة الذين حاولوا أن يخلصوا الفرد من سيطرة الكنيسة مثل ديكارت الذي يقرر أن أساس المعرفة هو الفرد ويقول ( أنا أفكر فأنا موجود )<sup>(١)</sup> ويأخذ المذهب الحر بسياسية الحرية الاقتصادية التي تكفل تحقيق التوازن في المجتمع وحل جميع المشكلات التي تحدث نتيجة هذه الحرية .

**وظيفة الدولة عند هذا المذهب**

اقتصرت عمل الدولة عند هؤلاء على حماية الملكية الخاصة وعليها ألا تتدخل في النشاط الاقتصادي لأن تدخلها سوف يعرض الاقتصاد للفوضى والاختلال وعدم التوازن حسب رأيهم .<sup>(٢)</sup>

وباختصار يدعو المذهب الفردي إلى إعطاء الفرد الحرية الكاملة لتحقيق اكبر قدر من المنفعة له وانتشر خلال القرن الثامن عشر بين رجال الاقتصاد وكان أول من نادى به آدم سميث في بريطانيا والفيزيوقراطيون في فرنسا .<sup>(٣)</sup>

**ويقوم المذهب الفردي على أسس أخلاقية وعلمية واقتصادية :**

**الأساس الأخلاقي :**

يرى علماء الأخلاق انه يجب أن يترك الفرد حراً ليتمكن من استعمال جميع قواه الطبيعية لأن تدخل الدولة يحد من نشاط الفرد ويقضي على مواهبه

**الأساس الاقتصادي :**

يرى علماء الاقتصاد أن النظرية الفردية تتيح للإنسان أن يحقق اكبر قدر ممكن من الربح نتيجة استثمار أمواله بالمشاريع ، وهذا يؤدي إلى زيادة الاستثمار في البلاد .

١- المصدر السابق ص ٥٥ .

٢- المصدر السابق ص ٦٦ .

٣- أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصر ص ٣٠

### الأساس العلمي:

يعتمد هذا الإحساس على الأخذ بمبدأ (البقاء للأصلح) الذي يصلح أن يكون قانوناً عاماً لحياة المجتمع والنظرية الفردية تحقق هذا المبدأ بشكل جيد .<sup>١</sup>

### مبادئ الاقتصاد الحر الجديد:

#### حق الفرد في الملكية الشخصية:

هذا لا ينحصر في ما يستعمله الفرد من أدوات بل يشمل الأدوات التي ينتج بها مختلف الأشياء الاستهلاكية  
حق الحرية والسعي :

أن يكون لدى الفرد الحرية التامة في أن يستعمل ما بين يديه في إنتاج بضائعه وان يبيعها متى شاء في الثمن القليل أو الكثير.  
كون المنفعة الذاتية هي الدافع للعمل :

الذي يدفع عملية الإنتاج في هذا النظام هو طمع الأفراد في منافعهم الذاتية ويقولون لا يمكن أن يكون هناك دافع خير من هذا .  
المنافسة بين الأفراد .

### عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي .<sup>(٢)</sup>

#### أسس الرأسمالية :

البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب إلا ما تمنعه الدولة لضرر عام كالمخدرات .

تقديس الملكية الفردية وذلك بفتح الطريق حتى يستغل كل إنسان قدراته في زيادة ثروته وحمايتها وتوفير القوانين اللازمة لنموها وعدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلا بالقدر الذي يتطلبه النظام العام وتوطيد الأمن.

١- الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي ص ٢٨.

٢- أسس الاقتصاد ص ٣٨ وما بعدها .

المنافسة والمزاحمة في الأسواق .

نظام حرية الأسعار وإطلاق هذه الحرية وفق متطلبات العرض والطلب واعتماد قانون السعر المنخفض في سبيل ترويج البضاعة وبيعها.<sup>(١)</sup>

أشكال الرأسمالية :

الرأسمالية التجارية :

التي ظهرت في القرن السادس عشر إثر إزالة الإقطاع ، إذ أخذ التاجر يقوم بنقل المنتجات من مكان إلى آخر حسب طلب السوق فكان بذلك وسيطا بين المنتج والمستهلك .

الرأسمالية الصناعية :

التي ساعد على ظهورها تقدم الصناعة وظهور الآلة البخارية التي اخترعها جيمس واط سنة ١٧٧٠م والمغزل الآلي ١٧٨٥م مما أدى إلى قيام الثورة الصناعية في إنجلترا أولا وفي أوروبا إبان القرن التاسع عشر وهذه الرأسمالية الصناعية تقوم على أساس الفصل بين رأس المال والعامل أي بين الإنسان والآلة .

نظام الكارتل :

الذي يعني اتفاق الشركات الكبيرة على اقتسام السوق العالمية فيما بينها مما يعطيها فرصة احتكار هذه الأسواق وابتزاز الأهالي بحرية تامة وقد انتشر هذا المذهب في ألمانيا واليابان .

نظام الترسن :

والذي يعني تكوين شركة من الشركات المتنافسة لتكون أقدر في الإنتاج والسيطرة على السوق.<sup>(٢)</sup>

١- الموسوعة الميسرة في الأديان ص ٢٣٣ .

٢- المصدر السابق ، ص ٢٣٣ .

### المشكلة الاقتصادية في نظر الرأسمالية :

تعتقد الرأسمالية : أن المشكلة الاقتصادية الأساسية هي قلة الموارد الطبيعية نسبياً نظراً لأن الطبيعة محدودة فلا يمكن أن يزداد في كمية الأرض التي يعيش عليها الإنسان ولا في كمية الثروات الطبيعية المتنوعة المخبوءة فيها مع أن الحاجات الحياتية للإنسان تنمو باطراد وفقاً لتقدم المدنية وازدهارها، الأمر الذي يجعل الطبيعة عاجزة عن تلبية جميع الحاجات بالنسبة إلى الأفراد كافة، فيؤدي ذلك إلى التزاحم بين الأفراد على إشباع حاجاتهم، وتتشأ عن ذلك المشكلة الاقتصادية.<sup>(١)</sup>

### الحاجة في نظر الرأسمالية :

الحاجة في المجتمع الرأسمالي ليست من الأدوات الإيجابية للتوزيع، وإنما هي أداة ذات صفة مناقضة ودور إيجابي معاكس لدورها في المجتمع الإسلامي، فهي كلما اشتدت عند الأفراد انخفض نصيبهم من التوزيع حتى يؤدي الانخفاض في نهاية الأمر إلى انسحاب عدد كبير منهم عن مال العمل والتوزيع وهكذا فإن الحاجة في النظام الرأسمالي تعني وفرة في المعروض من القوى العاملة، فهي تعني انسحاب الفرد من مجال التوزيع وليست أداة التوزيع.<sup>(٢)</sup>

### نظرة الرأسمالية للدين والقيم

إن الرأسمالية لا تعترف بالدين وبالوقت نفسه فهي لا تتكره ولا تشغل نفسها بمناقضته وملاحقته وهدم أسسه كما يفعل المبدأ الماركسي، وبالمقابل فإنها غير معنية بالاعتراف به أو بخدمته وتيسير نشره والدعوة إليه ، ولكنها تقرر فصل مقررات الدين عن شؤون الحياة وهي تعتمد في موقفها هذا على أصل فلسفي مادي يعتبر الحياة نفعاً مجرداً للإنسان وهي تقوم كذلك على أساس فكري يقول: إن على

١- اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ، ص ٣٠٦ دار الفكر .

٢- المصدر السابق ٣١٧ .

الإنسان أن يضع نفسه في إطار الحريات الأربع : وهي حرية العقيدة وحرية الرأي والحرية الشخصية والحرية الملكية. (١)

كذلك يقول يستر ثرو عن نظرة الرأسمالية للدين والقيم (تعتبر القيم أو التفصيلات النقوب السوداء في الرأسمالية فهي التي وجد النظام من أجل خدمتها ولكن ليست هنالك أية نظريات رأسمالية للتفصيلات الجيدة والرديئة ولا أية نظريات رأسمالية عن الكيفية التي ينبغي فيها تغير القيم أو السيطرة عليها) ثم يقرر قائلاً: أن تجاهل الجوانب الاجتماعية للبشرية هو كتصميم عالم غير موجود لأجناس البشر .

ويقول كذلك: نجد أن السياق الاجتماعي في تكوين التفضيل الفردي غائباً تماماً، فأهمية التنظيم الاجتماعي في تحديد الطبيعة المعقدة للعقلانية والمصالح الذاتية والتحفيز وتكوين التفضيل تمر دون أن ينتبه إليها أحد . فتكوين التفضيلات اعتبر هدفاً أولياً أو ثانوياً لتنشئة الطفل و تعليم الدين والإعلان عن الخدمات العامة هذه الأمور لا تعترف بها الرأسمالية (٢)

عيوب الرأسمالية:

الرأسمالية نظام وضعي: يقف على قدم وساق مع الشيوعية وغيرها من النظم التي وضعها البشر بعيداً عن منهج الله الذي ارتضاه للبشر .

الأنانية: حيث يتحكم فرد أو أفراد قلائل بالأسواق تحقيقاً لمصالحهم الذاتية دون تقدير لحاجة المجتمع .

الاحتكار: إذ يقوم الشخص الرأسمالي باحتكار البضائع وتخزينها حتى إذا ما فقدت من الأسواق نزل بها لبييعها بسعر مضاعف يبتز فيه المستهلكين الضعفاء

١- الإسلام ومشكلات العصر، الدكتور مصطفى الرفاعي، ص ١١، دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى .

٢- مستقبل الرأسمالية، ليستر ثرو، ترجمة عبد القادر حلمي، ص ٦١٥.

لقد تطرفت الرأسمالية في تضخيم الملكية الفردية كما تطرفت الشيوعية في إلغاء هذه الملكية.

المزاحمة والمنافسة: إن من بنية الرأسمالية تجعل الحياة ميدان سباق مسعور إذ يتنافس الجميع في سبيل إحراز الغلبة، وتتحول الحياة عندها إلى غابة يأكل فيها القوي الضعيف .

ابتزاز الأيدي العاملة: ذلك أن الرأسمالية تجعل الأيدي العاملة سلعة خاضعة لمفهومي العرض والطلب؛ مما يجعل العامل معرضاً في كل لحظة لأن يستبدل به غيره ممن يأخذ أجراً أقل .

البطالة: وهي ظاهرة مألوفة في المجتمع الرأسمالي وتكون شديدة البروز إذا كان الإنتاج أكثر من الاستهلاك مما يدفع صاحب العمل إلى الاستغناء عن الزيادة في هذه الأيدي التي تثقل كاهله.

الاستعمار: ذلك أن الرأسمالية بدافع البحث عن المواد الأولية وبدافع البحث عن الأسواق الجديدة لتسويق المنتجات تدخل في غمار استعمار الشعوب والأمم استعماراً اقتصادياً أولاً وفكرياً وسياسياً وثقافياً، وذلك فضلاً عن استرقاق الشعوب وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتها.

الرأسماليون يعتمدون على مبدأ الديمقراطية في السياسة والحكم.  
النظام الرأسمالي يقوم على أساس ربوي .

إن الرأسمالية تنظر إلى الإنسان على أنه كائن مادي وتتعامل معه بعيداً عن ميوله الروحية والأخلاقية.<sup>(١)</sup>

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٢٣٦ .



# الماركسية

## الماركسية

### الماركسية:

طغت الماركسية على الفكر السياسي والاقتصادي منذ منتصف القرن التاسع عشر. و أوجدت متغيرات على مستوى الدولة والمجتمع الدولي، جديرة بالدراسة.

حفلت الماركسية بدراسات كثيرة وبلغات مختلفة . وتعرضت للنقد والتقييم، بل تبارى الماركسيون أنفسهم في دراسة هذه الظاهرة العالمية. في نشوئها وتطورها وأحيانا انقسموا حولها إلى مدارس ومذاهب فكرية مختلفة. لذلك كان من الطبيعي أن تحتل الماركسية موقفا ثابتا في الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. هذا بصرف النظر عن التحليل الإيديولوجي للماركسية. وما يتبناه من فرضيات ومسلمات<sup>(١)</sup>. وتنسب الماركسية إلى مؤسسها "كارل ماركس" (١٨١٨ - ١٨٨٣).

### التفسير المادي للتاريخ:

يقول الماديون: إن التفسير المادي للتاريخ جزء لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية. ويبحث في دراسته التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ البشري. ويوضح تمايز بعض مراحل التاريخ عن بعض المراحل الأخرى على ضوء ظروف هذا المجتمع الاقتصادية أو ذلك. ويدرس التاريخ المادي للتاريخ كذلك شروط حياة المجتمع المادية. وهي الطبيعة أو الوسط الجغرافي وازدياد نمو السكان والعامل الأساسي وهو أسلوب الإنتاج.

وهذه الشروط لحياة المجتمع المادية هي التي تحدد في النهاية هيئة المجتمع وآراءه وأفكاره وأوضاعه السياسية والقانونية والدينية والأخلاقية.....الخ.

١- تطور الفكر السياسي - د. عدنان السيد حسين ص ٤٣



### الوسط الجغرافي:

هو احد الشروط الضرورية الدائمة لحياة المجتمع المادية. ولكنه ليس القوة السياسية التي تحدد في النهاية هيئة المجتمع وتعين نظام الناس. ووظيفته انه قد يعجل أو يبطئ سير التطور. وذلك لأن تطور المجتمع وتغيره يجري بصورة أسرع بكثير من تطور الوسط الجغرافي وتغيراته.

### نمو السكان وكثافتهم:

وهذا لا يكون القوة الأساسية التي تحدد هيئة المجتمع وبنائه أيضا وان كان وجود السكان أمراً لا بد منه لأنه لا يمكن أن تكون هناك حياة مادية في المجتمع بدون وجود حد أدنى من الأفراد في المجتمع.

### القوة السياسية في تطوير المجتمع هي أسلوب الإنتاج:

وأسلوب الإنتاج هو: كما يعرفه أصحاب المادية التاريخية: " وحدة قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج. أي وحدة جانبي الإنتاج المعبرين عن نوعين من العلاقات: علاقة الإنسان بالطبيعة. وعلاقة الإنسان بالإنسان <sup>(١)</sup> .

وأسلوب الإنتاج هو الذي يحدد طابع النظام الاجتماعي. وهيئة المجتمع. وقوى الإنتاج تعبر عن علاقة الناس بالطبيعة ومدى سيطرتهم عليها. وتقدم بين الناس وأدوات الإنتاج وحدة قوية لأنه لا يمكن فصل الناس عن أدوات الإنتاج. ولا بد من أسلوب لإنتاج الحاجات الضرورية لحياة الناس كالمأكل والملبس والمسكن والوقود وأدوات الإنتاج. هذه الحاجات الضرورية لا بد منها. ومن أجل الحصول عليها لا بد من إنتاجها. و لأجل إنتاجها لا بد من وجود أدوات الإنتاج. وهذه الأدوات لا بد من معرفة كيفية استخدامها. هذه العناصر تؤلف جانبا واحدا من

١- المادية التاريخية - ف.كليي م. كوخالزون، ترجمة احمد داود، مراجعة بدر الدين السباعي - ص ٤٩ .

فالمادية التاريخية فلسفه خاصة تبين العلاقة بين الوعي الاجتماعي والوجود الاجتماعي، والوعي الاجتماعي هو الأفكار الاجتماعية الجديدة والمؤسسات، وهذا الوعي تابع للوجود الاجتماعي والوجود الاجتماعي يؤثر فيه ويغيره، والوجود الاجتماعي هو حياة المجتمع المادية والعلاقات القائمة بين الناس والطبيعة وبين أنفسهم.

وتبين المادية التاريخية كذلك العلاقة القوية بين الوعي الاجتماعي والقوى المحركة للإنتاج، و القوى المحركة للإنتاج هم الأفراد وخبراتهم الإنتاجية، وأدوات العمل، واثـر ذلك على تطور المجتمع وتحويله من طور إلى طور. إذن المادية التاريخية جزء لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية، فقد طبق الماركسيون قوانين المادية الديالكتيكية على حوادث التاريخ .

### صلة المادية التاريخية بالمادية الجدلية:

يعترف أصحاب التفسير المادي للتاريخ بالصلة القوية بين المادية التاريخية والمادية الجدلية، ولتوضيح هذه الصلة والاستشهاد عليها، لابد من بيان موجز لمفهوم المادية الجدلية.

### المادية الجدلية :

#### الجدل في اللغة:

الجدل من " شدة القتـل " و جدلت الحبل - اجدله جدلاً - إذا شددت قتله وفتلته فتلاً محكماً<sup>(١)</sup>.

والجدل اللد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة و جدلاً. ورجل جدل ومجدل ومجدال: شديد الجدل، ويقال جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام.

١- لسان العرب : ج ١١ ص ١٠٣ .

أسلوب الإنتاج الذي يعبر عن سلوك الناس نحو أشياء الطبيعة وقواها ،التي تستخدم لإنتاج الحاجات المادية.

أما الجانب الثاني لأسلوب الإنتاج. فهو علاقات الإنتاج من الناحية البشرية أي فيما بين الناس بعضهم ببعض.فالناس وهم يناضلون مع الطبيعة التي يستثمرونها ، لإنتاج حاجاتهم المادية ،ليسوا منفردين بعضهم عن بعض بل ينتجون جماعيا ومن هنا كان الإنتاج جماعيا وليس فرديا.

والأساس في علاقة الإنتاج هو ملكية وسائل الإنتاج. و ملكية وسائل الإنتاج تحدد نوعية الملكية سواء كانت خاصة أم جماعية. فإن كانت وسائل الإنتاج ملكية جماعية كانت الملكية جماعية، وان كانت هذه الوسائل بيد أفراد قليلين ، كانت الملكية خاصة .وبناء على ما سبق فإن الفلسفة المادية لا تؤمن إلا بالمادة، لأن العالم مادي ولا شيء غير المادة ولا وجود لعالم غيبي لأنه وهم وخرافة، ولا مجال لمشئئة الله في خط سير البشرية .

فالمادة هي الأصل، والفكر نتائجها، وهي سابقة في الوجود عليه، وبالتالي فالأساس الاقتصادي هو أساس كل شيء، أساس كل تغير، أساس كل عقيدة وأخلاق وقيم وأفكار، وهذه متطورة على الدوام ولا تثبت على حال واحده، وبناء على دراستهم للمجتمع فإن التفسير المادي للتاريخ عندهم هو التغير العلمي الصحيح ولأول مره في التاريخ، لتفرده في دراسة المجتمع البشري دراسة علميه، وهذا ما يميزه عن الدراسات الاجتماعية الأخرى.

يقول أصحاب المادية التاريخية: " إن كل الذي تقدمه المادية التاريخية للمسألة الأساسية في الفلسفة بالنسبة للمجتمع ليس وحدانيا وحسب، وإنما هو أيضا الحل العلمي الصحيح لأول مره في التاريخ " (١).

وقد جاء ذكر الجدل في القرآن الكريم في عدة مواضع.

منها قوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ <sup>(١)</sup>

و﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال

فليكن بالوجه الحسن وبرفق ولين وحسن خطاب . <sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ <sup>(٣)</sup>.....ولا جدال في الحج أي ولا

مخاصمة في الحج.

والجدلية معناها البحث بين المتناقشان ليصل المتناقش إلى الحقيقة، وذلك

عن طريق الكشف عن المتناقضات التي تتطوي حجج المتنازعين، وفي هذا المعنى

تقارب شديد مع المعنى اللغوي. وأول من قال بأن المتناقضات موجودة في أصل

كل شيء ولها أهمية كبرى هو الفيلسوف (هيجل).

يقول كاريوهنت:

" الجدلية إذن هي فكرة ونقيضها، ثم تألف النقيضين، فالفكرة تؤيد القضية،

والنقيض ينكرها أو \_ بتعبير هيجل \_ ينفيها. أما تألف النقيضين فيحتضن ما هو

حقيقي، الفكرة ونقيضها. وبهذا تقربنا خطوة نحو الحقيقة. ولكن طالما يتعرض

تألف النقيضين إلى فحص أدق، نجدها هي أيضا ناقصة، وهكذا تعود العملية فتبدأ

من جديد بفكرة أخرى، بنفيها ونقيضها، ثم يجري التوفيق بينهما بتألف جديد

للنقيضين.

وبهذه الطريقة المثلية يمضي الفكر حتى يصل في النهاية إلى المطلق،

وعندئذ يمكننا أن نواصل التفكير إلى ما لا نهاية، دون أن نشهد أي تناقض، وعلى

١- سورة النحل: الآية ١٢٥ .

٢- تفسير القرآن الكريم ج ٢ ص ٥٩١

٣- سورة البقرة: الآية ١٩٧ .

هذا يطلق اصطلاح الجدلية على عملية التنازع والتوفيق التي تجري ضمن الواقع ذاته، ودخل الفكر البشري بشأن الواقع " (١).

أما ماركس فقد انطلق في جدليته من المادة، وعاب على هيغل الذي يقول إن حركة الفكر هي مبدعة الواقع، وهي المرجع الأخير والأساس، و لقوله أيضا بالعقل الكلي أي الوجود المطلق خلف المادة . ويقصد به الله، وقال ماركس إن منهجه الجدلي يختلف عن منهج هيغل ابتداء من الأساس.  
يقول ماركس:

" لا يختلف المنهج الجدلي في الأساس عن منهج هيغل فقط، بل هو نقيضه تماما إذ يعتقد هيغل أن حركه الفكر التي يجسدها باسم الفكرة هي مبدعة الواقع الذي ليس هو سوى الصورة الظاهرية للفكرة، أما أنا فأعتقد على العكس، أن حركة الفكر ليست سوى انعكاس حركة الواقع وقد انتقلت إلى ذهن الإنسان " (٢).  
ما هو الديالكتيك؟

يقول ستالين :

" أخذت كلمة ديالكتيك من الكلمة اليونانية ( دياليفو ) ومعناها المحادثة أو المجادلة "، وكان الديالكتيك يعني في عهد الأولين، فن الوصول إلى الحقيقة باكتشاف التناقضات التي يتضمنها استدلال الخصم، وبالتغلب عليها.  
وكان بعض الفلاسفة الأولين يعتبرون أن اكتشاف تناقضات الفكر والمصادمة بين الآراء، هما خير وسيلة لاكتشاف الحقيقة. فهذا الأسلوب الديالكتيلي في التفكير، الذي طبق فيما بعد حوادث الطبيعة، أصبح الطريقة الديالكتيكية لمعرفة الطبيعة.

١- الشيوعية نظريا وعمليا، كاريونت، ص ٢٨

٢- أصول الفلسفة الماركسية ج ١ ص ٣٦ نقلا عن رأس المال ج ١ ص ٢٩

"إن حوادث الطبيعة بموجب هذه النظرية، هي متحركة متغيرة دائما وأبداً وتطور الطبيعة هو نتيجة تطور تناقضات الطبيعة نتيجة القوى المتضادة في الطبيعة"<sup>(١)</sup>.

هذه الفلسفة الجدلية تبدأ من المادة في دراستها معتمدة على المنهج التجريبي وهي الفلسفة العلمية الوحيدة في قولهم ، لأنها القادرة على تفسير جميع ظواهر الوجود تفسيراً حتمياً على حد تعبيرهم .

وبعد هذا البيان الموجز لمفهوم المادية الجدلية عند الماديين، أثبت الصلة بين المادية التاريخية والمادية الجدلية، يقول الماديون أن المادية التاريخية جزء لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية هذه الفلسفة العامة الشاملة، التي نظرت للكون والإنسان والحياة نضرة مادية جدلية، وذلك بتصوير لحوادث الطبيعة تصويراً مادياً انطلاقاً من نظرتها المادية إلى العالم والتي مفادها أن العالم مادي بطبيعته، ويتطور تبعاً لقوانين حركة المادة وأن الكون والحياة والإنسان مادة، تتطور تطوراً ذاتياً وأن حوادث العالم المتعددة هي مظاهر مختلفة لحركة المادة.

من هذا الأساس المادي تفسر المادة التاريخية حياة البشر وتاريخهم، والمادية التاريخية تطبق هذه الأفكار المادية على حوادث الحياة المجتمع وسير التاريخ البشري.

يقول لينين:

" إن هذه الفلسفة الماركسية المسبوكة من قطعة فولاذية واحدة لا يمكن انتزاع أي منطلق أساسي منها، ولا أي جزء جوهري واحد، دون الخروج عن الحقيقة الموضوعية، دون الوقوع في أحضان الدجل البرجوازي الرجعي "<sup>(٢)</sup>.

١- المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ص ١٤ - ١٥ .

٢- المادية التاريخية: ص ١٣ نقلاً عن المؤلفات الكاملة ص ١٤ ص ١٣٢ .

أي أن هذه الفلسفة العامة واحدة ولا يمكن عزل أي جزء جوهرى منها عن سائر أجزائها. فلا يمكن فصل المادية التاريخية عن المادية الجدلية. ويقول أصحاب كتاب المادية التاريخية: " إن تحريف المادية الديالكتيكية يؤدي حتماً إلى تشويه المادية التاريخية. إن المادية التاريخية لا تتوافق مع أية فلسفة أخرى غير المادية الديالكتيكية. إن الاعتراف بالمادية التاريخية مع نكران المادية الديالكتيكية ما هو إلا زيف خالص وسفسطة مقرفة " (١) .

إذن المادية التاريخية لا تتوافق مع أية فلسفة أخرى غير المادية الديالكتيكية، و ما ينطبق على إحدهما ينطبق على الأخرى، و ذلك لاتحادهما في الأساس المادي، ولو أن المادية الديالكتيكية اعترفت بما وراء الطبيعة في الفكر والفلسفة. لانهار التفسير المادي للتاريخ. لأنه مبني على الأساس المادي، لذلك فإن الاعتراف بالمادية التاريخية دون القاعدة، و الأساس الذي قامت عليه \_وهو الفلسفة المادية\_ هو في نظرهم تشويه لهذه النظرية المادية عن التاريخ و المجتمع، لأن أي نظام لا بد و أن يكون له قاعدة تصور ينطبق منها في سيره.

يقول أصحاب كتاب المادية التاريخية أيضاً:

" إن المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية تظهران كعلم واحد، وكفلسفة متكاملة، فلا المادية التاريخية معقولة بدون المادية الديالكتيكية، ولا المادية الديالكتيكية ممكنة بدون المادية التاريخية، فيماذا تفسر ذلك؟

اولاً: بأنه لا يمكن وضع نظرة مادية ديالكتيكية عن العالم ككل، إذا لم يتوفر التفسير المادي للحياة الاجتماعية، إذا لم يكن قد اكتشف أن المجتمع هو أيضاً شكل لحركة المادة وخاضع في تطوره لقوانين موضوعية كقوانين الطبيعة، والمادة الديالكتيكية غير ممكنة بدون المادية التاريخية .

١- لينين في الأيدولوجية و الثقافة الاشتراكية / ترجمة إلياس شاهين ص ٣-٦

ثانيا: لأن الإجابة العلمية الصحيحة عن المسألة الأساسية في الفلسفة حول أولوية المادة وثانوية الوعي غير ممكنة بدورها، بدون توضيح سبب وكيفية ظهور الوعي الإنساني. و الدور الذي لعبه في ذلك التطبيق العملي الاجتماعي التاريخي للناس، إذ إن الإجابة عن هذا السؤال تقدمها المادية التاريخية " (١) .

في هذا النص يوضحون سبب استحالة فصل المادية التاريخية عن المادية الديالكتيكية، لأنهما يتم بعضهما بعضا. لأن المادية الجدلية نظرة مادية للعالم ككل، وبما أن حياة المجتمع البشري جزء من العالم، فلا بد إذن من تفسيره تفسيراً مادياً حتى تصح نظريتهم الشاملة كما يقولون، ولو لم يفسر التاريخ البشري تفسيراً مادياً، لكانت نظريتهم للتفسير المادي للتاريخ \_ العلمية كما يزعمون \_ ناقصة، ويترتب على نقصانها عدم شمولها، و بالتالي عدم صحتها.

وبما أنهم يريدون تأكيد الأساس المادي الذي انطلقوا منه، وهو أسبقية المادة على الوعي والفكر، وبما أن الوعي والفكر ينطلقان من المجتمع البشري، و المجتمع في نظرهم شكل لحركة المادة، وخاضع في تطوره لقوانين موضوعية مادية كقوانين الطبيعة، فلا بد إذن من معرفة كيف ظهر هذا الوعي، وما هو الدور الذي أداه في التطبيق العملي الاجتماعي، وبما أن المادة هي الأساس عندهم، إذن فلا بد من تفسير الوعي على هذا الأساسي تفسيراً مادياً. (٢)

والذي يترتب على كلامهم هذا بناء على الصلة القوية بين المادية التاريخية والمادية الجدلية، وبما أنهما متكاملتان انه إذا بطل أي جزء يسير أو جانب واحد من إحدى النظريتين انهارت العلمية الصحيحة الشاملة التي يزعمونها، لأنه لا يمكن أن تكون النظريتان صحيحتين إلا إذا صحتا معاً، ولا تصح إحداهما إلا إذا كانت صحيحة.

١- المدرسة التاريخية ص ١٢.

٢- تطور الفكر السياسي د. عدنان السعد حسين ص ٤٨-٥٠ .



وانطلاقاً من ذلك تقسم الماركسية الكون إلى مجالين، مجال مادي ومجال فكري يتناول العواطف والأفكار والذكريات.

والمنهج المادي يعترف بوجود أشياء مادية مستقلة عن العقل الذي يدركها أو يتعرف عليها، هذا المنهج يقود إلى الفلسفة المادية التي تستتبط المنهج العام للإدراك من المادة (١).

إن المادية الجدلية تهتم بالحركة في كافة صورها، أي يهتم بتغير المكان. وتغير الأشياء من حالة كمية إلى حالة نوعية أو كيفية، إنها تعتمد قانون صراع الأضداد الذي هو أهم قانون الجدلية "الديالكتيك" بمعنى أن كل ظاهرة تحمل في ذاتها نقيضها مما يولد طفرة مادية جديدة، فكل الظواهر تحتوي على جوانب متعارضة ومترابطة عضوياً، وتشكل وحدة لا تنقسم بين الأضداد.

إن المادية الجدلية تفسر كل حركة أو تحول على أساس صراع الأضداد، فالموجب والسالب لا ينفصلان بقدر ما يتناقضان أو يتنافران. هكذا في المجتمع تبدو وحدة الأضداد وصراعها في صورة صراع الطبقات. وصراع الأضداد الذي يقود التطور هو نفسه يحرك الفكر. يعتبر إنجلز أن هذا المفهوم المادي الذي يقود إلى فهم الكون على أساس موضوعي، له مضمون فلسفي يقود إلى التوضيح وإنكار الذات، أو أنه موجود خارج شعور الإنسان أو وعيه، أنه مستقل عنه. إن الجدل عند الماركسيين هو مناقشة منطقية، ونقد للتناقضات الميتافيزيقية، وتقديم الحلول لها وعلى هذا يصل الماركسيون إلى أن النظام الاجتماعي يحمل في داخله عوامل هدمه.

١- لينين في الأهمية البروليتارية ص ١٤-١٥.

ويحددون ثلاثة مبادئ للمادية الجدلية هي :

١. الانتقال من التغيرات الكمية البطيئة إلى التحولات الكيفية العنيفة، تأكيداً للقاعدة الفلسفية "كل تراكم كمي يؤدي إلى تغيير نوعي" .

٢. وحدة الأضداد وصراعها ، كما هي موجودة داخل الذرة ، أو في علاقة السالب والموجب .

٣. نفي النفي ، أي انتقال الإدراك أو المعرفة إلى مرحلة أعلى وأرقى بعد .  
سلسلة من التطورات المادية وبالتالي الفكرية .

يعتبر لينين أن صوغ المادية الجدلية المقرونة بواقع الحياة من كافة جوانبها، كان القضية المركزية في الفكر الماركسي . وعلى أساسها نشأ الفهم المادي للتاريخ ، الذي يعرف باسم المادية التاريخية في مواجهة المفاهيم المثالية لفلسفة التاريخ . والتي تفسر الصلة العضوية بين تطور القوى المنتجة وكافة العلاقات بين الناس بما فيها علاقات الإنتاج . ثمة علاقة موضوعية بين المادية الجدلية والمادية التاريخية في الإطار الفلسفي الماركسي ، وفي التحليل النظري للماركسية - اللينينية لاحقاً ، لقد صار التطور السياسي الفكري للمجتمع محددًا من خلال مصالح المادية التي تختلف من عصر إلى عصر . وصارت الطبقات بمثابة القوى المحركة للتطور الاجتماعي .

المادة سابقة في الوجود على الفكر

حسب اعتقادنا أن الفكر نعمة أنعم الله بها على الإنسان وميّزه بها على سائر الحيوانات وقيمة الإنسان الحقيقية تتجلى بفكره، وقدرته على الإبداع في الحدود التي رسمها الله سبحانه وتعالى له.

ومن هنا كان للفكر أثر عظيم في إبراز العلماء و المفكرين و العظماء والقادة، الذين كان لهم دور عظيم في تاريخ البشرية. ولكن أصحاب المذهب يقدمون المادة على الفكر، و يعتبرونه من نتائجها وهي المؤثرة فيه.

يُعرف لينين المادة بقوله: "هي مقولة فلسفية تخدم في تعيين الواقع الموضوعي المعطى للإنسان ، في إحساساته التي تنسخه ، تصوره، تعكسه ، والموجودة تصوره مستقلة عن الإحساسات " (١).

و بناءً على هذا التعريف الذي يعتبر المادة شاملة لجميع مفاهيم الأشياء، التي تكتسبها المادة خاصية السبق على الإدراك و التأثير فيه.

إن الفكر انعكاس للمادة الواقعة على الدماغ، وهو يفكر في المادة التي تعكس عليه، وقبل انعكاس المادة على الدماغ لا يوجد فكر، و إلى هذا أشار ستالين بقوله:

تقوم المادة الفلسفية على مبدأ آخر، وهو أن المادة والطبيعة والكائن، هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الإدراك أو الشعور وبصورة مستقلة عنه، وأن المادة هي عنصر أول، لأنها منبع الإحساسات و التصور والإدراك بينما الإدراك هو عنصر ثانٍ مشتق، لأنه انعكاس المادة، انعكاس الكائن، وأن الفكر هو نتاج المادة لما بلغت في تطورها درجة عالية من الكمال، أو بتعبير أدق، إن الفكر هو نتاج الدماغ، والدماغ هو عضو التفكير، فلا يمكن بالتالي فصل الفكر عن المادة ومن الوقوع في خطأ كبير . (٢)

إن فالمادة على حد تعبيرهم هي منبع الإحساسات و التصور و الإدراك. فلا يوجد إدراك بدون المادة التي ينعكس عنها الإدراك. والفكر نتاج المادة المتطورة الراقية، وبالتالي لا يمكن فصل الفكر عن المادة، فحينما توجد المادة يوجد التفكير، وحين تنعدم المادة ينعدم التفكير، حيث لا يمكن فصل الفكر عن المادة، لأن الفصل بينهما يؤدي إلى الوقوع في الأخطاء.

١- الدفاتر الفلسفية ج ١ ص ٣٢ ، لينين

٢- المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية ص ٢٩

وهذا هو مبدؤهم الذي يسيرون عليه في تحديد قيمة الفكر ومكانته يقول  
انجلز: لا يمكن فصل الفكر عن المادة ، فإن هذه المادة هي جوهر التغيرات التي  
تحدث.

### المادة أزلية أبدية:

حسب وجهة نظر الماديين و رأيهم يقولون:

وبالتالي فليس للكون نهاية ولا حدود، العالم أبدي، وليس له أي بداية " ولن  
يكون له أي نهاية، ومن هنا فأى عالم (غيبى ) غير مادي غير موجود ، ولا يمكن  
أن يوجد ، وفي واقع الأمر أنه إذا لم يوجد شيء غير المادة، فلا يوجد غير عالم  
مادي واحد. وهذا يعني أنه عند الأشياء و الظواهر المختلفة في العالم المحيط بنا،  
هنالك خاصية واحدة توحدنا، هي ماديتها .<sup>(١)</sup>

إذن لا يوجد شيء على حد تعبيرهم غير العالم المادي، ولا يمكن أن يوجد  
عالم روحي، أو يوم آخر، كما جاءت به الأديان، و جميع هذه الظواهر المختلفة في  
الكون يوحدنا شيء واحد هو ماديتها، أي كلها مادية لا غير، فالإنسان في نظرهم  
نتاج المادة أيضاً.

وينبني على كلامهم أن المادة اكتسبت صفة الأزلية والخلود، فليس لها بداية  
ولا نهاية، وهذه هي صفات الله سبحانه وتعالى. إذن، فعلى حد تعبيرهم المادة  
خالقة، و لها خصائص الخالق، وليس هنالك عالم غيبى، لأن العالم محصور فيما  
تتركه الحواس، ويدّعون بأن العلم يؤيدهم فيما ذهبوا إليه وأن العلم الحقيقي هو ذو  
طابع مادي، إن العلم مادي بطبيعته و بجوهره، و المثالية غريبة عنه وعدوة له.<sup>(٢)</sup>  
يترتب على هذا النص أن المثالية عدوة للعلم، وبالتالي فإن الأديان عدوة  
للعلم لأنها مثالية، وأن العلم فقط يحمل الطابع المادي لا غير، والعلم على حسب

١- أسس المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية ص ٣٩

٢- المادية التاريخية ص ٥٠٠

دعواهم موافق لهم، و يخدم أغراضهم في بحثهم عن الحقيقة في الحياة ذاتها في الكون المادي، و العلم في تطوره يطرد الإله من الطبيعة و هو\_ تعالى عما يقولون \_ ليس له وجود لأنه خارج حدود المادة، و لأنهم لا يعترفون بما هو خارج حدود المادة، لأنه في حسهم لا يوجد شيء خارج حدود المادة، والمادة شاملة لكل شيء ومحيطه به، و بها صفات الخلق و القدرة و الإبداع ، وهي الأساس الذي ينطلق منه الفكر و العلم، وكل شيء على حد زعمهم . (١)

وعلى أساس إنكارهم لوجود الله تعالى، أنكروا كل عمل وهدف قصد به ابتغاء مرضاة الله تعالى، و أنكروا أثر هذا الهدف، و بالتالي أنكروا دور الإسلام ودولته في الواقع البشري الذي ما قام إلا لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى في الأرض.

يقول ماركس: "إن العزة الإلهية والهدف الإلهي هي الكلمة الكبيرة المستعملة اليوم لتشرح حركة التاريخ والواقع أن هذه الكلمة لا تشرح شيئاً" (٢) ولم يكتفوا بإنكار وجود الله سبحانه وتعالى والتكليف الرباني ألا وهو إعلاء كلمة الله في الأرض ونشر العدل الذي حمل لواءه جند الإسلام، و إسقاط فترات الهدى والإيمان من حياة البشرية، بل صرحوا بأن الله من إبداع الإنسان، وأن المشكلة ليست هي مشكلة وجوده سبحانه بل هي مشكلة فكرة وجوده.

ولا شك في أن فكرة الله و العواطف الدينية الموجودة ، وهي تتطلب تفسيراً ، وبدلاً من القول بأن الإنسان كائن إلهي، يجمع في ذاته العنصر الطبيعي والعنصر الإلهي، كما يجمع عنصر الموت والخلود في هذه الحياة وفي الحياة

١- موقف الإسلام من نظرية ماركس د.أحمد العوايشة ص ١٢٥-١٥٠

٢- بؤس الفلسفة. ص ١٢٣-١٢٤

الأخرى، يجب القول بأن الله والديانة هما ظاهرتان إنسانيتان، لأن العنصر الإلهي هو من إبداع الإنسان وليس الإنسان هو من إبداع الله . (١)  
إذن فمبدؤهم الذي ينطلقون منه أن الله لا نفع فيه وإشارة النقاش حول وجوده لا طائل تحته، إذ لديهم فكرة لا تتغير وهي أن ما وراء الكون المادي وهم وهراء وهو غير موجود، وعلى الرغم من اعترافهم بالعواطف الدينية والديانات لكنهم يرجعون بمصدرها إلى الوهم والخيال لأنهما ظاهرتان إنسانيتان، والعنصر الإلهي طبقاً لهذه القاعدة هو من صنع الإنسان وليس الإنسان من صنع الله.

### الطبيعة والمادة عندهم تحملان نفس المعنى

وقد ترد الطبيعة بمعنى المادة ، والمادة بمعنى الطبيعة وبخاصة حين يتكلمون عن الخلق يقول انجلز: "فالطبيعة توجد مستقلة عن كل فلسفة، فهي الأساس الذي نمونا عليه. نحن الناس نتاجها أيضاً و خارج الطبيعة و الإنسان لا يوجد شيء، أما الكائنات العلوية التي ولدت من حيلتنا الدينية فليست سوى انعكاس خيالي لوجودنا نحن"

ويقول أصحاب أسس المادية الديالكتيكية " وجدت الطبيعة ليس فقط قبل الناس و إنما عموماً قبل الكائنات الحية ، وبالتالي مستقلة عن الإدراك وهي الأولية أما الإدراك فلم يستطع التواجد قبل الطبيعة فهو ثانوي " (٢).

إذن فالمادة أبدية خالدة، لم تنشأ من العدم لأنه لا يمكن أن يخلق ما لا يمكن إفناؤه. ولهذا لا يجوز السؤال عن بداية المادة و نهايتها لأن آثارها واضحة ومشاهدة. والحركة كذلك مُحال خلقها وإفناؤها ، لأنها صفة للمادة.

١- أصول الماركسية ج ١ ص ٢٠٦ .

٢- أسس المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية ص ٤٣ .

يقول انجلز: " المادة بدون حركة أمر غير معقول بقدر ما هي الحركة بدون مادة وإذن فالحركة مُحال خلقها و إفناؤها قدر ما هو محال ذلك بالنسبة للمادة نفسها".

وعلى هذا لا يمكن للحركة أن توجد منفصلة عن المادة ، وكذلك بالنسبة للمادة. وما دامت المادة لا يمكن خلقها وإفناؤها فالحركة لا يمكن خلقها وإفناؤها كذلك ، وذلك للترابط التام بينهما ، فإذا فقدت الحركة فقدت المادة ، وإذا فقدت المادة فقدت الحركة.

وبما أن الأساس في كل شيء - عندهم - هو المادة ولا غير وهي أزلية أبدية وسابقة في الوجود على الفكر فإنه يترتب على هذا الأساس النتائج التالية:  
تعلمنا المادية أن العالم المادي بطبيعته ذاتها ، وإن كل ما هو موجود يوجد على أساس الأسباب المادية وينشأ و يتطور وفقا لقوانين حركة المادة .

تعلمنا المادية أن المادة حقيقة موضوعية توجد خارج ذهننا و مستقلة عنه وأن الذهني لا يوجد منفصلاً عن المادي. بل إن كل ما هو ذهني أو روحي هو نتاج لعمليات مادية.

تعلمنا المادية أنه من الممكن تماماً معرفة العالم و قوانينه، وأنه على الرغم من أننا لا نعرف الكثير في العالم المادي فليس هنالك مجال للواقع غير قابل للمعرفة و يقع خارج العالم المادي<sup>(١)</sup> .

إن العالم محصور في ماديته ، ولا شيء فيه غير مادي . وكل ما فيه ناتج على أساس مادي ، فالروحانيات والغيبيات لا وجود لها إلا على أساس مادي، وكل شيء خارج العالم المادي وهم و خرافة ولا وجود له \_كما يزعمون\_ والفكر لا يمكن أن يسبق المادة لأنه ناتج عنها ، ولا يوجد شيء في الواقع غير قابل للمعرفة، على الرغم من المعرفة القليلة عن العالم المادي ، والفكر يبدأ من الإحساس،

١- مدخل إلى المادية الجدلية ص ٣٠-٣١

ومصدر الأحاسيس هو المادة التي يعمل بها الإنسان، متأثراً بالحاجات التي تفرضها الطبيعة عليه، ومن هنا قال ماركس:

"ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم ، بل إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم <sup>(١)</sup> ونظراً لتغير الظروف الخارجية المماثلة للناحية المادية فإن الوعي يتغير أيضاً، فمقتضى كلامهم ، أن الأفراد ليس لهم وجود ولا اثر في التغيير في مجريات الأحداث عبر تاريخ البشرية الطويل فإذا تغيرت الظروف الخارجية للمادة تغير معها كل شيء يصاحبها من دين وخلق وفكر وقيم وعادات ومن هنا تبرز أهمية النظرية الماركسية في نظرهم من الناحية العملية ، فيما يتعلق بأسبقية المادة على الفكر.

وبناءً على اعترافهم لا يوجد شيء غير العالم المادي ، فالبحث عن العقيدة مضیعة للوقت لأنه لا اثر لها في الواقع ، إنما الفكرة الصائبة هي التي تقوم على الظروف المادية المتطورة وهي وحدها القادرة على تغيير الناس، وذلك لعدم وجود الإنسان الخالد.

والملكية الفردية عندهم هي السبب الذي يجعل من الإنسان نئباً يفترس أخاه الإنسان بسبب الصراع على الحياة ، وعلى حد تعبيرهم فإنه إذا تغير وعي الناس نتيجة لتغير الظروف المادية ، فلا بد من الحتمية التي لا مفر منها وهي انتصار الشيوعية التي لا تقاوم.

والشيوعيون حين يطبقون هذه المبادئ الجدلية على الكون \_ والكون مادي عندهم \_ يهدفون من وراء ذلك إلى إخضاع حياة الإنسان لهذه القوانين الجدلية. هذا الكون المادي واحد لم يخلقه إله ولا أي إنسان.

١- أصول الفلسفة الماركسية، ج ١ ص ٢٣٨ ، نقلاً عن دراسات فلسفية، ص ٧٩ ، مشاركة في النقد الاقتصادي السياسي.



والإنسان في نظرهم مادي ، وفكره نتاج المادة الراقية ، لأنه نتاج المخ ، والمخ مادة وكذلك الروح هي نتاج أعلى للمادة . إذن معنى كلامهم هذا أن كل ما هو مادي يدرك ويعرف ، وكل ما يعرف موجود لأنه مدرك ، وعلى هذا الأساس فإن الله تعالى بعرفهم غير مدرك ، فهو لا يعرف ، وما دام لا يعرف فهو غير موجود . والقوانين التي تخضع لها الطبيعة يخضع لها الإنسان لأنه جزء منها .

### قوانين المادة

يقول الماديون أن المادة لها قوانين عامة ثابتة ، تسمى قوانين الجدول وهي :  
الترابط ، والحركة ، والتطور ، والتناقض .

#### أولاً: الترابط في الطبيعة :

يقول الماديون: الطبيعة وحدة متماسكة فيما بينها ، والحوادث والأشياء غير منفصلة عن بعضها البعض . لارتباطها التام ، ولا يمكن فهم أي حادث من حوادث الطبيعة إذا نظر إليه بمفرده بمعزل عن الحوادث التي تحيط به ، وإنما يمكن فهمه إذا نظرنا إليه من حيث الحوادث التي تحيط به والتي تحدده وتكيفه .

#### ثانياً: الحركة في الطبيعة:

يقول الماديون: الحركة صفة ملازمة للمادة ولا يمكن فصل الحركة عنها ، والمادة أزلية أبدية ولا يجوز السؤال عن إكساب المادة خاصية الحركة وفي الطبيعة لا يلعب السكون الدور الحاكم رغم انه موجود وإنما تلعب هذا الدور الحركة والتطور والتغير ، هذه الحركة ملازمة داخليا للمادة كخاصية جذرية لا تتفصل عنها ، والحركة موجودة في المادة منذ الأزل .

إذن فالاعتراف بمصدر حصول المادة على الحركة ، يؤدي إلى الاعتراف بوجود اله خارج الكيان المادي له قوة الخلق والإبداع ، وبما أنه لا يوجد في حس الماديين سوى العالم المادي ، فلا يوجد إذن في العالم ظاهرة لم تكن نتيجة لحركة

المادة وتطورها. والحركة عند الماديين لها صفة الشمولية، فهي شاملة لجميع أنواع التغيرات التي تحدث في الكون.

#### ثالثاً: التطور في الطبيعة:

يعتبر الماديون أن حركة التطور هي تطور ينتقل من تغيرات كمية ضئيلة وخفية، إلى تغيرات كمية ظاهرة وأساسية، وتحدث هذه التغيرات الكمية من حالة إلى أخرى بصورة فجائية عن طريق القفزات، وهذه التغيرات حتمية وضرورية، لأن الفلسفة الماركسية ترى حتمية الانهيار في كل شيء، ولا شيء يستطيع الصمود بوجهها في هذا العالم، إلا الصمود من أدنى إلى أعلى، والمجرى المستمر لعملية النشوء والتغير، وتفتخر هذه الفلسفة بأنها تحطم كل التصورات عن الحقيقة المطلقة وعن أوضاع الإنسانية المطلقة، لأنها لا تعترف بشيء مطلق ونهائي مقدس، وحركة التطور يجب فهمها من حيث هي حركة تقدمية وصاعدة، انتقل إلى كيفية جديدة، من البسيط إلى المركب، ومن الأدنى إلى الأعلى.

#### رابعاً: التناقض في الطبيعة

يقول الماديون أن كل أشياء الطبيعة وحوادثها تحوي تناقضات داخلية لأن فيها جميعها عناصر تضمحل أو تتطور وفيها كذلك جانب سلبي وآخر إيجابي ولأن فيها عناصر أخرى تموت وأخرى تولد وعندهم أن النضال بين القديم والجديد، بين ما يفنى ويتطور هو المحتوى الداخلي لحركة التطور، وهو كذلك المحتوى الداخلي لتحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية.

#### ملاحظات حول تطبيق الماديين للقوانين على حياة المجتمع وتاريخه:

١. إخضاع دراسة الإنسان ومجتمعه لقوانين الطبيعة لأن الإنسان نتاج الطبيعة وهو جزء منها فما ينطبق عليها ينطبق عليه وذلك للترابط التام بين أجزاء الطبيعة.

٢. حياة المجتمع وأنظمتها يحكم عليهما على أساس الظروف الاقتصادية التي تسير حياة المجتمع وتجعل من النظام الذي يتلاءم معها نظاما تقدما، والنظام الذي لا ينسجم معها نظاما رجعيا.
٣. جميع أشياء الطبيعة وحوادثها متحركة ومتغيرة، وعلى هذا الأساس الشامل لكل شيء \_ والإنسان و حياة المجتمع جزء منه \_ فلا شيء ثابت على الإطلاق، كما أن الأديان والأخلاق والأفكار والقيم والعادات والتقاليد جميعها تتغير تبعا لتغير الظروف الاقتصادية.
٤. كل شيء متغير، وانتصار الجديد على القديم أمر حتمي وليس هناك نظام اجتماعي ثابت وبناء على هذا الأساس فإن النظام الأساسي سيزول حتما لأنه قديم وتحل محله الشيوعية لأنها مرحلة جديدة، وانتصارها أمر حتمي لذلك يجب أن لا تقاوم.
٥. إنكار قوة الله الذي أودع في الإنسان القوة على تغيير الكون المادي.
٦. كل مرحلة جديدة هي حتما أرقى من المرحلة السابقة او كل جيل أرقى من الجيل السابق فالإقطاع أفضل من الرق و الشيوعية أفضل من الرأسمالية وهكذا، وهذا الرأي مبني على التطور في الطبيعة، ويتم الانتقال من مرحلة إلى مرحلة ثانية بواسطة الانتقال من التحولات الكمية الى التحولات الكيفية بشكل مفاجئ .
٧. كل مجتمع من المجتمعات يحوي تناقضات داخلية، وهذه التناقضات حتمية ويجب إبرازها لأجل الانتصار عليها، والتناقض هو القانون الأساسي في الحياة، ومع ذلك فإنه يزول بحلول الاشتراكية ويحل محله التعارض.
٨. النظام الجديد لا يلغي النظام السابق بكل محتوياته بل يبقى على الجوانب الايجابية فيه.

### صلة نظرية التطور بالتفسير المادي للتاريخ:

إن نظرية دارون تقوم على أساس استبعاد القدرة الإلهية في عملية خلق الإنسان، والخالق هو تطور الحياة الطبيعي، وعلى هذا الأساس فالنظرية مادية، ومن هذا الأساس المادي الذي أنكر قدرة الله على خلق الإنسان. والذي اعتبر الإنسان نتاج تطور الحياة الطبيعي، ربط الماركسيون تفسيرهم المادي للتاريخ بنظرية التطور، ونلاحظ أن الماركسيين يعتبرون ماركس قد اكتشف قانون تطور التاريخ البشري، كما اكتشف دارون قانون تطور الطبيعة.

لقد استغل ماركس بقتل الجماهير في أوروبا لنظرية التطور، التي تشمل كل شيء في الحياة عندهم. وربط بينها وبين نظريته في صراع الطبقات وجعلها أساسا يعتمد عليه في بحثه عن تطور المجتمع. إذن فنظريته التطور لها دور كبير في تكوين نظرية ماركس. وهي من الأسس الهامة التي اعتمد عليها في تفسيره المادي للتاريخ. (١)

### الأسباب التي أعطت نظرية دارون الحجم الكبير ما يلي:

١. الظروف السيئة التي نشأت فيها النظرية وترعرعت. حيث كان الوقت الذي ظهرت فيه من صراع شديد بين العلم والدين، والثورة الصناعية أخذت تطمس ملامح المجتمع الأوروبي وتصبغه بصبغة التحلل من الدين والأخلاق.

٢. الاستغلال البشع للنظرية من قبل اليهود، ومن المعروف لدى الكثيرين وخاصة العلماء أن اليهود قوم يحبون أنفسهم، وقد جبلوا على الجشع والطمع وكره ما سواهم والحق على غيرهم، لذلك فهم يخططون للقضاء على البشرية بههم عقيدتها وأخلاقها، وحين ظهرت نظرية دارون على مسرح الوجود استغلها اليهود في تحطيم العقيدة النصرانية المحرفة،

١- موقف الإسلام من نظرية ماركس د. احمد العوايشة ص ١٦٣-١٧٥

وتأجيج نار الثورة على الكنيسة الحمقاء الظالمة وبالتالي القضاء على دين أوروبا المحرف.

٣. الإهمال الكامل للنظريات اللاهوتية.

الآثار التي خلفتها نظرية دارون:

١. انهيار العقيدة الدينية.

٢. نفي فكرة الغاية والقصد من خلق الإنسان.

٣. حيوانية الإنسان وماديته.

٤. القول بالتطور المطلق.

ملاحظات على ما سبق:

١. نظرية التطور أوحث بمادية الإنسان وحيوانيته .

٢. خطورة هذه النظرية تكمن في إحياءاتها التي استغلت استغلالا بشعا في هدم الأديان والأخلاق حيث نفت الغاية والقصد من خلق الإنسان وردت عملية الخلق إلى قوى طبيعیه عمياء.

٣. تكمن خطورتها أيضا بالاحتمية والاضطراب، مما أدى إلى القول بالتطور المطلق خلا شيء ثابت على الإطلاق ولا شيء مقدس وكل شيء في تطور، فالعقيدة تتطور والأخلاق تتطور والأفكار تتطور، والأفكار تتطور والطور الجديد أحسن وأرقى من الطور القديم .

٤. تعتبر نظرية دارون من الأسس الهامة التي اعتمد عليها ماركس في نظريته ونجاحه في حتمية التطور والانتقال من طور إلى طور نتيجة لتغير الظروف الاقتصادية والقول بأن الجديد أفضل من القديم وسوف يحل محله.

٥. اعترف الماديون وغير الماديون بالصلة القوية بين نظرية دارون ونظرية ماركس في تطور المجتمع حيث اعترفوا هم بذلك ومعلوم أن أي فساد

يصيب الأساس يوتر على سلامة البنيان فإذا تزعزعت نظرية دارون تزعزعت نظرية ماركس من أساسها .<sup>(١)</sup>

### شروط حياة المجتمع المادية:

يقول الماديون أن العوامل الطبيعية تؤلف أحد الشروط الدائمة لحياة المجتمع المادية وتؤثر في تطوره. إن المجتمع جزء من الكون المادي، وهو دائما في تطوره يتبادل التأثير مع الطبيعة لأنها شرط ضروري لحياة الناس ولوجود المجتمع وتطوره فالأرض والشمس والأنهار والبحار والثروات الدفينة و الشروط المناخية تؤلف بمجموعها الوسط الجغرافي للمجتمع البشري هذا الوسط الجغرافية يؤثر بشكل خصال على نمو المجتمع لأنه شرط ضروري لحياة المجتمع المادية فهو إما أن يدفع حركة نمو المجتمع إلى الأمام و إما أن يكون عائقاً لها.

يقول أصحاب كتاب المادية التاريخية " إن شروط الوسط الجغرافي الجيدة تساعد على تطور الإنتاج بينما تعرقل الشروط السيئة هذا التطور " .<sup>(٢)</sup>

### الاشتراكية وديكتاتورية البروليتاريا:

يفسر الماركسيون التاريخ بأنه تطور مستمر مع وسائل الإنتاج خصوصاً بعد الاكتشافات العلمية في القرن التاسع عشر التي دفعت المادية إلى الأمام ودفعت الماركسيين إلى القول بالمادية التاريخية التي هي تطبيق لمبادئ المادية الجدلية على تطور المجتمع الإنساني، يعتبر الماركسيون أن المادية الجدلية و المادية التاريخية، يكونان معاً الأساس النظري للاشتراكية العلمية التي تتميز عن الاشتراكية المثالية التي عرفت أوروباً، على ذلك، إن تطور وسائل الإنتاج أوجد الطبقة البرجوازية التي سيطرت على النظام السياسي ولقد هيأت الثورة الصناعية في انكلترا وفرنسا وبلجيكا و مقاطعة الراين الروسية المقدمات الاقتصادية

١- نظرية داروين بين مؤيديها و معارضيها ص ٤٤ .

٢- لينين في الأيديولوجية و الثقافة الاشتراكية ص ٣-١٠

الاجتماعية لظهور الماركسية<sup>(١)</sup>. بل إن القانون نفسه صار مؤسسا على المجتمع وما فيه من طريقه إنتاج مادي قائمة، وليس المجتمع قائما من خلال القانون، حتى الانتخاب العام غدا من إفرازات الصراع الطبقي و تجلياته، خصوصا عند البرجوازيين الذي يعتبرون الانتخاب احد مصادر قوتهم .<sup>(٢)</sup>

أما الاشتراكية فهي المرحلة التي تلي البرجوازية أنها مرحلة ما قبل الشيوعية، ويتم بلوغ الاشتراكية بقوة الثورة والثورة، حتمية مع التطور الصناعي الحاصل، وما سينشأ عنه من ظواهر مادية أو بالتالي اجتماعية وسياسية. إن تطور العلاقات الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى الانتقال بالنظام الاقتصادي والاجتماعي من (دعه يعمل دعه يمر) إلى نظام الرقابة الحكومية ثم إلى نظام دولة الخدمات الاجتماعية ثم إلى نظام ملكية الدولة بعد زوال الملكية الفردية أو الخاصة وهنا ينشأ النظام الاشتراكي.

لماذا حتمية الثورة الاشتراكية بالمفهوم الماركسي؟

لأن استغلال العمال من قبل أصحاب العمل الرأسماليين سيقود إلى الثورة ، وقد اعتمدت الماركسية نظرية فائض القيمة في علم الاقتصاد لتفسير هذا الاستغلال ما هي هذه النظرية؟

تحدث ماركس في كتاب " رأس المال " عن فائض القيمة ، واعتبرها لينين بمثابة أساس النظرية الاقتصادية الماركسية . فائض القيمة هي القيمة الإضافية التي ينتجها العامل المأجور والتي يحصل عليها صاحب رأس المال أو صاحب العمل مجانا أنها الفرق بين قيمة العمل الذي يبذله العامل في إنتاج سلعة

١- نشوء الفلسفة الماركسية تأليف جماعة من العلماء السوفيت ترجمة حسان حيدر - دار الفارابي

بيروت ١٩٩٠ ص ١٧

٢- تطوير ماركس و انجلز للفهم المادي للتاريخ . تأليف جماعة من العلماء السوفيت . ترجمة حسان حيدر .

معينة وقيمة الأجر الذي يحصل عليه مقابل هذا المجهود، غالباً ما يحصل العامل في ظل البرجوازية على أجر اقل من قيمة العمل، مثلاً عامل يشتغل يومياً بمعدل ثمان ساعات ويتقاضى أجراً يوازي خمس ساعات، هذا العمل الإضافي في الساعات الثلاث يعطي لصاحب العمل جهداً إضافياً له قيمة مادية، إنها فائض القيمة، عندما يزيد صاحب العمل من وتيرة العمل فإنه سيحصل على فائض المطلق هو فائض القيمة إذا لم يقدم للعامل أجراً مضافاً.

إن هذه القيمة المضافة هي قاعدة الاستغلال في النظام الاقتصادي الرأسمالي وهي التي بنت عليها الماركسية نظريتها الاقتصادية التي سنقود إلى تحرير العمال والقيام بالثورة الاشتراكية.

إن سيطرة العمال " البروليتاريا " على شؤون الحكم والدولة ستكون سيطرة مطلقة إنها سيطرة الأغلبية كما يفسر الماركسيون ، وهذه السيطرة سوف تقيم نظاماً ديمقراطياً من حيث انه لا يوجد منافس أو منازع لهذه الفئة الاجتماعية في الحكم والدولة الماركسيون يشددون على أنها ديمقراطية البروليتاريا لأنها تعني سيطرة الأغلبية في حين يجد كثير من العلماء أنها ديمقراطية البروليتاريا خصوصاً بعد قيام التجارب الاشتراكية المتعددة في العالم منذ ثورة ١٩١٧ في روسيا، وما أعقبها من ثورات مماثلة.<sup>(١)</sup>

١- تطور الفكر السياسي من الاشتراكية إلى الليبرالية الجديدة - د . عدنان السيد حسين . ص ٥٠-٥٢





# الشيوعية

## الشيوعية

### تعريف الشيوعية :

إنها منتهى الفكر الماركسي، هي حتمية حسب التحليل الماركسي . وتتدرج من الشيوعية الدنيا \_ التي تعني الاشتراكية \_ إلى الشيوعية العليا التي تعني زوال الدولة وغياب الطبقة في المجتمع . في هكذا مرحلة يتحرر الإنسان من الدولة والطبقة والدين والاقتصاد والأسرة لتسيطر قواعد عامة هي اقرب إلى قواعد الأخلاق ، بحيث يصبح جميع الأفراد أحراراً متساويين تطبيقاً للمبدأ الشيوعي الأساسي: " من كل حسب عمله ولكل حسب حاجته" في المرحلة الشيوعية، يتحرر الإنسان من مساوئ قانون تقسيم العمل بين عمل فكري أو ذهني و بين عمل عضلي أو جسدي . يرافق مجمل هذه التحولات التي أشارت إليها الماركسية زوال الفروقات بين الأمم أي زوال القوميات بحيث يتكون مجتمع كوني واحد غير طبقي، وغير مجزأ قومياً . (١)

إن هذه الشيوعية التي تحدث عنها ( كارل ماركس ) ليست هي الشيوعية البدائية أو المشاعية التي عرفت في مرحلة ما قبل التاريخ . بل إن الشيوعية الماركسية هي تحقيق تحرر الإنسان تحراً كاملاً بحيث يتملك ذاتيته الإنسانية بدون أية عوائق . وبذلك فالشيوعية هي الحل للتناقض والصراع بين الإنسان والطبيعة ، وبين الإنسان والإنسان ، وبين الذات والوجود . إنها حسب التعبير الماركسي " الانتقال من حكم الضرورة إلى حكم الحرية " . إن هذه الأفكار الأساسية حول الشيوعية الماركسية اصطدمت بالواقع . وخصوصاً في البلدان التي أقامت أنظمة سياسية ماركسية . فالشيوعية الأوروبية على سبيل المثال تخلت في السبعينيات من القرن العشرين عن جوهر الماركسية،

١- الشيوعية وليدة الصهيونية ، احمد عبد الغفور عطار ، ص ٦٥-٧٠

وهو دكتاتورية البروليتاريا. وقالت بإمكانية الوصول إلى الحكم عن طريق البرلمان، أي بالطرق السلمية. لا عن طريق العنف الثوري. هذا فضلا عن تمسك هذه الشيوعية الأوروبية بالقيم الليبرالية الغربية (فرنسا- إيطاليا- بلجيكا- ...) كما إن الخلاف الصيني - السوفيتي الذي نشأ في ستينات القرن العشرين دار حول مفاهيم الماركسية بما في ذلك مفهوم الشيوعية .

وعلى الرغم من كل ذلك .اعتبرت الدول الغربية أن الشيوعية الخطر الأول المهدد لأمنها وحضارتها ، فاعتبرت أن مكافحة الشيوعية مطلب غربي بما في ذلك مكافحتها في البلدان النامية ، وكثيرا ما اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية أن الشيوعية هي خطر غير مقبول ويجب مواجهته .

فالشيوعية نظرية اجتماعية وحركة سياسية ترمي إلى السيطرة على المجتمع ومقرراته لصالح أفراد المجتمع بالتساوي ولا يمتاز فرد عن آخر بالمزايا التي تعود على المجتمع . الأب الروحي للنظرية الشيوعية هو كارل ماركس ومن أهم من توغل في النظرية الشيوعية واسهم في الكتابات والتطبيق فيها هو فلا ديمير لينين (١).

ويعتبر البيان الشيوعي بمثابة الوثيقة الأهم والأبرز للحركة الشيوعية العالمية وهي المصدر الفكري و الأبرز، وهي التي حددت منطلقات الحركات الأممية الاشتراكية بما في ذلك ثورة ١٩١٧ السوفيتية ، والتي كانت التجربة الماركسية الأولى على مستوى الحكم والدولة. صحيح أن ماركس وانجلز ، ومن تبعهما لاحقا ، وضعوا كتابات أخرى في الاقتصاد والسياسة والتاريخ ، إلا أن البيان الشيوعي يبقى المرجعية الأولى لمجمل تلك الكتابات ، فما هي المنطلقات الفكرية الأساسية للماركسية و ما تبعها من إضافات في عهد لينين ، حيث أصبحت تعرف باسم الماركسية - اللينينية ؟

١- لينين في الأخلاق الاشتراكية ص ٢٠-١١٠

## الدين في الشيوعية :

يعتبر الشيوعيون الدين من المخلفات القديمة التي نشأت من الوهم والخيال والتي انعكست عن الوضع الاقتصادي، أو وضعها الطبقة الاستغلالية لتخدير الجماهير الكادحة عن المطالبة بحقوقها . هذه الجماهير الكادحة الخدرة التي أرهقتها الفقر ، وفقدت كل أمل لها في المستقبل استسلمت للإدارة الإلهية ، وهيمنت عليها الأفكار الرجعية التقليدية . فما عادت تتأثر لكرامتها ولا تقاوم مستغليها ، بل صبرت على الأذى والاستغلال احتسابا لله تعالى ، وطمعا بما عنده من جنة ونعيم، كما وعدتهم الديانات ورجال الكنيسة، الذي كان لهم نصيب هائل من الأراضي الإقطاعية.

والثورة الشيوعية التي قامت على أسس علمية - كما يزعمون- سيطرت على قوى الإنتاج في الطبيعة ، وأوجدت الظروف التي تتمحي فيها الأفكار الدينية من وعي الناس، وأبطلت مفهوم " الناس في التفكير والله في التدبير". وأصبح مكانه " الناس في التفكير والتدبير أيضا " فلا عجب إذا ما قطعت الثورة الشيوعية كل علاقة لها بالمعتقدات الدينية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالملكية التقليدية. لهذا فإن الشيوعية تتبنى رسميا محاربة الأديان ، وتدرس المادية والإلحاد في مدارسها على أنها عقيدة علمية . كما يدرس المؤمنون دينهم . وتستعمل شتى الوسائل للدعاية والإعلان لتغيير الناس من الدين واستئصال جذوره من المجتمع، والإنسان الشريف المناضل عندهم هو الذي يهتم في هدم الدين وبث الوعي الإلحادي مكانه ، في صفوف العمال .

وتتميز النظرية الشيوعية إلى الدين عن غيرها بالمفهوم الذي اتخذته لنفسها عن الإلحاد، فهي تصور أن لها إلحادها الخاص بها . وهو في نظرها إلحاد إيجابي. إن ما يميز الإلحاد الماركسي هو أنه على خلاف سابقه لم يكتف باعتبار الدين خديعة فحسب. اصطنعها المستبدون، أو مجرد وهم ولّده الجهل، بل إن

ماركس و انجلز قد بحثا عن الحاجات الإنسانية التي تلبىها الأديان بهذه الصورة المخادعة، فوصلا كما يقول ماركس إلى أن الأديان هي وقت واحد : انعكاس لشقاء فعلي واحتجاج على هذا الشقاء .

### الأخلاق في الشيوعية:

يقول الماديون : أن الأخلاق الشيوعية تختلف اختلافا كبيرا عن أخلاق المستغلين، لأن الشيوعيين يحمون الملكية الجماعية و يقدسونها . في حين أن المستغلين يقدسون الملكية الخاصة ويحمونها و يدافعون عنها بشتى الوسائل المادية والفكرية " والأخلاق الشيوعية خلافا لأخلاق المستغلين تعلن أن الملكية الجماعية هي المقدسة وتجب حمايتها . هذه الملكية التي تؤمن رفاه المجتمع كله وجميع الكادحين " (١) .

والأخلاق الشيوعية تربي في الإنسان الشيوعي الإخلاص للشيوعية، والحب للوطن الاشتراكي والبلدان الاشتراكية، لأنها تنطلق من قاعدة "الفرد من اجل الجميع والجميع من اجل الفرد " (٢) الذي لا تظهر حريته إلا داخل الجماعة. يقول ماركس : "في الجماعة فقط يحصل الفرد الوسائل التي تمنحه إمكانية التطوير الشامل لمواهبه، و بالتالي فإن حرية الفرد لا توجد إلا في الجماعة.

والماركسية تعترف بقيام الاشتراكية على أساس غير أخلاقي وتتكبر على المفكرين وعلماء الاجتماع البرجوازي الذين يقولون بأن الاشتراكية قائمة على أساس الأخلاق المجردة ، كالعادلة الخالدة والحق المطلق مثلا دون أن ينطلقوا في حكمهم هذا من القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي . فهي على هذا المعنى لا تملك مقال ذرة من أخلاق على حد تعبير لينين . وهي لا تحتاج في بنائها إلى الأساس الأخلاقي، وإنما تحتاج إلى الأساس العلمي .

١- المادية التاريخية ص ٤٦٤

٢- المادية التاريخية ص ٤٧٤

والماركسية لا تعترف بأن الظلم شيء أساسي. وإنما هو نتيجة للرأسمالية واهم المبادئ في الأخلاق الشيوعية التي تدين المهملين والمتقاعسين (كما يقولون) هي النظر إلى العلاقة نحو العمل على انه إبداع. وأنه أسمى واجب للفرد الشيوعي تجاه المجتمع، لان إرادة العيش على حساب الآخرين تتناقض مع أخلاق المجتمع الاشتراكي .

والشيوعيون على أتم الاستعداد لارتكاب أي عمل مناف للأخلاق من اجل تحقيق مكاسبهم وطموحاتهم، وهم بهذا ينطلقون من القول "الغاية تبرر الوسيلة". ويقول لينين: " يجب على المناضل الشيوعي الحق، أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل، فالكفاح من اجل الشيوعية يبارك كل وسيله تحقق الشيوعية " .

#### موقف الشيوعية من الأسرة:

يشبه الماديون الرجل في الأسرة بالبرجوازي في المجتمع، والمرأة بالبروليتاري. وعندهم أن الزيجة الودعانية قد قامت على الأساس الاقتصادي، وذلك بتركيز الثورة بيد الرجل ولكن السؤال الذي يطرح هو لما كانت الزيجة الودعانية قد ظهرت من أسباب اقتصادية فهل تختفي باختفاء هذه الأسباب.

يجيب انجلز: " إنها بدلا من أن تختفي سوف تأخذ بالتحقيق تحقيقا تاماً لأنه بتحويل وسائل الإنتاج إلى ملكية اجتماعية سيزول أيضا العمل المأجور (البروليتاريا) وستزول تبعاً لذلك الضرورة التي تضطر عددا من النساء يمكن حسابها بواسطة الإحصاء إلى الاستسلام من اجل المال " (١).

كما يقول انجلز: " فباننتقال وسائل الإنتاج إلى ملكية عامة لا تبقى الأسرة الفردية هي الوحدة الاقتصادية في المجتمع، وينقلب الاقتصاد البيتي الخاص إلى صناعة اجتماعية وتصبح العناية بالأطفال وتربيتهم من الشؤون العامة، فيعنى

المجتمع عناية متساوية في جميع الأطفال سواء أكانوا شرعيين أم طبيعيين، وبذلك يختفي القلق الذي يستحوذ على قلب الفتاه من جراء العواقب التي هي في زماننا أهم حافز اجتماعي اقتصادي وخلقى يعوقها عن تقديم نفسها بلا حرج لمن تحب، فلن يكون هذا سبباً كافياً لازدياد حرية الوصال الجنسي شيئاً فشيئاً و من ثم لنشوء رأي عام أكثر تساهلاً فيما يتعلق بشرف العذارى و عار النساء؟<sup>(١)</sup>.

مدى تأثير الشيوعية على الأسرة :

إنهم يهدفون إلى تهديم ركني الأسرة الأساسين، الزواج وتربية الأولاد، وفي نظرهم أن العلاقة بين الجنسين لن تصبح علاقة خاصة تهم طرفي الزواج فقط، دور تدخل احد، إلا بإلغاء الملكية الخاصة ويفضل تربية الأولاد على نفقة المجتمع.

وهذا ما قاله انجلز: " أن العلاقات بين الجنسين ستصبح مسألة خاصة لا تعني إلا الأشخاص المعنيين و المجتمع لن يتدخل فيها. وهذا سيكون ممكناً بفضل إلغاء الملكية الخاصة. وبفضل تربية الأولاد على نفقة المجتمع . وبنتيجة ذلك يكون أساسا الزواج الراهنان قد ألغيا . فالمرأة لن تعود تابعة لزوجها و لا الأولاد لأهلهم هذه التبعية ما تزال موجودة بفضل الملكية الخاصة "

ويضحك الشيوعيون من زعر البرجوازية حول إشاعة النساء لان شيوعية النساء في نظرهم تقريباً كانت موجودة . و البرجوازيون يجدون لذة في إغواء بعضهم لنساء بعض . فهم لا يكتفون بالبغاء الرسمي. ولا يكتفون بأن تكون نساء وبنات البروليتاريين تحت تصرفهم. والزواج البرجوازي هو إشاعة النساء المتزوجات . والشيوعيين يقبلون التهمة الموجهة إليهم من تفكيك الأسرة وهدم العلاقة العائلية . والأهم من ذلك أنهم سيحولون إشاعة النساء المستترة بالرياء كما يزعمون إلى شيوعية علنية رسمية .

ومن ذلك نجدهم يقولون إن شيوعية النساء ستزول بزوال علاقات الإنتاج الحالية.

يقول ماركس وانجلز: " ليست بالشيوعيين حاجة إلى إدخال إشاعة النساء. فهي تقريباً كانت موجودة . ولا يكفي البرجوازيون بأن تكون تحت بصرفهم نساء البروليتاريين وبناتهم - وهذا عدا البغاء الرسمي - بل يجدون لذا خاصة في إغواء بعضهم لنساء بعض "

ليس الزواج البرجوازي في الحقيقة والواقع سوى إشاعة النساء المتزوجات . فقصارى ما يمكن أن يتهم به الشيوعيون إذن ، هو أنهم يريدون كما يزعم. الاستعاضة عن إشاعة النساء المستترة بالرياء والمغطية بإشاعة صريحة رسمية .

" ولكن من البديهي الواضح أن محو علاقات الإنتاج الحالية يؤدي بطبيعة الحال، إلى محو إشاعة النساء التي تنتج فيها . أي أن البغاء سواء أكان رسمياً أم غير رسمي يزول و يضمحل . " (١)

### محاربة الشيوعية للأديان:

تسعى الشيوعية جاهدة بكل الوسائل العملية و الفكرية للقضاء على الأديان، وبخاصة الإسلام \_ فقد شنت الشيوعية حرباً لا هوادة فيها ضد الأديان - ما عدا الدين اليهودي - في البلاد التي وضعت أقدامها فيها، ومارست شتى وسائل الضغوط الفكرية والمادية لتحقيق أهدافها فأغلقت المساجد والكنائس، وأعدمت العلماء المسلمين ورجال الدين النصراني، وقتلت الملايين من المسلمين وغيرهم، وشنت الملايين عن ديارهم وأهلهم، ونفت كثيراً منهم إلى مجاهل سيبيريا، ولقد رأينا وسمعنا عن الغزو الشيوعي الوحشي لأفغانستان المسلمة، وتقتيل المجاهدين المسلمين لأنهم يدافعون عن عقيدتهم وأرضهم .

١- البيان الشيوعي ص ٦٢-٦٣.



كما فرضت روسيا الشيوعية الإلحاد على شعبها ، وعلى الشعوب التي تسير في فلكها ، ومنعت تدريس الدين في المدارس ، وفرضت عقوبات السجن على كل من ينشر تعاليم الدين بين من هم دون سن البلوغ.

**أسباب محاربة الشيوعية للدين :**

يؤكد الباحثون أن معارضة الشيوعية للدين وحربها القاسية التي شنتها عليها تعود إلى النفسية اليهودية التي تسعى جاهدة إلى تحقيق استعلاء شعب الله المختار ، ولا عجب إذا كانت الشيوعية نتاج يهودي ومعظم زعمائها من اليهود.

واليهود قوم معروفون بالحق والكراهية للأديان الأخرى، والمجبولون على الطمع والجشع وحب المال والفساد، فهم ينتهزون كل فرصة لإفساد الناس وإبعادهم عن الدين القويم، حتى يتمكنوا من مخططاتهم الرامية إلى هدم عقائد الناس وإفساد أخلاقهم، وبالتالي يسوسون الناس كما يريدون . والشيوعية من أهم الأسلحة التي استخدمها اليهود في مخططاتهم.

والشيوعية جاءت بوصفها عقيدة أو دينا ، يحل محل الأديان القديمة ويحتقرها، ويناهضها بالدعوة إلى الإلحاد والمادية التي تنكر الله تعالى ورسوله.

هذه الحرب العملية التي شنتها وما تزال الشيوعية على الأديان لا سبيل إلى مقاومتها إلا بعودة الشعوب ، وبخاصة الإسلامية إلى دينها ، فتحكمه في واقع حياتها ، وترفع راية الجهاد في سبيل الله.

وقد شنت الشيوعية حملة فكرية على الأديان، فقد وصفوا الدين بأنه مخدر، وأنه وهم وخرافة ، وان المتدين رجعي متخلف جاهل ، والملاحد تقدمي متحرر حتى تبرر حربها العملية على الأديان وأتباعها .



# الصهيونية

## الصهيونية

### تعريف الصهيونية :

إن جميع من كتب في المذاهب المعاصر، لم ينتبه للصهيوني مطلقا ولم أجد أحدا قد كتب فيها بين تلك المذاهب .

إنها واحدة من اخطر الحركات والمذاهب ، لأنها أصبحت عقيدة لخمسة عشر مليون يهودي في العالم ، وثلاثة ملايين يهودي يحتلون ارض فلسطين ، إضافة إلى آلاف العملاء الذين يعيشون في حولنا ، لا يهمهم إلا الدولة اليهودية التي قامت على ارض فلسطين في جانب ومستقبلها وإعلان الخوف منها ومن مكائدها وقوتها.

لقد أصبح المؤمنون بالصهيونية في غير اليهود اخطر من اليهود أنفسهم على أمتنا ، لأنهم هم المكلفون بإقناعنا بشتى الوسائل بقبول إسرائيل بيننا واعتبار الصهيونية من المذاهب التي يريدون منا أن نعيشها.

لقد عولت على إدخال الصهيونية ضمن برنامج هذه المذاهب ، إذ لا يوجد سببا يجعلنا ندرس الشيوعية والرأسمالية ، والماركسية البراجماتيه ولا ندرس الصهيونية ، فقد تعددت الأفكار والعقائد والنتيجة واحدة .. أن نقف في وجهها ندرسها ونفهمها ونقف منها موقفنا الذي تفرضه علينا العقيدة الإسلامية .

جاءت كلمة الصهيونية من صهيون وهو الجبل أو الربوة أو التل الموجود في أورشليم .

والصهيونية حركة عنصرية استعمارية تقوم على أسس مذهبية استعلائية تسعى إلى التوسع والسيطرة والعدوان مستخدمة العنف لغرض الوصول إلى أهدافها.

وقد ظهرت الحركة الصهيونية في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعيدا عن فلسطين وعن الديانة اليهودية وشهدت أول تنظيم لها في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في عام ( ١٨٩٧ ) وهو المؤتمر الذي ينسب إليه زعيم الحركة الصهيونية ومؤسسها ( تيودور هرتزل ) مولد الدولة اليهودية.<sup>(١)</sup> وقد ارتكزت الحركة الصهيونية منذ نشوئها على فرضيات خاطئة منها أن اليهودية دين وشعب وتسعى إلى خلق ما يسمى ( القومية اليهودية ) و(وحدة الشعب اليهودي ) وساعية لاحتلال فلسطين ولتحقق الهدف الاستعماري في إقامة وطن يهودي لتعيد الأمل لليهود في إقامة الدولة الصهيونية على ارض فلسطين .

إن الأفكار الرئيسية للصهيونية كما صاغها زعماءها تنحصر فيما يلي :

١ . اليهود شعب الله المختار .

٢ . اليهود هم شعب ذو مصير تاريخي وسمات خاصة لا تتصف بها الشعوب الأخرى .

٣ . على اليهود أن يطمحوا لوطنهم القديم - فلسطين .<sup>(٢)</sup>

لقد أسمى بن غوريون رئيس وزراء العدو الصهيوني السابق قيام الدولة اليهودية اللقطة عام ١٩٤٨ بـ ( مملكة إسرائيل الثالثة ) حيث كانت المملكة الأولى هي مملكة داود عليه السلام والثانية التي قامت بعد ثورة المكابيين عام ١٦٧ قبل المسيح ﷺ .

وأعلن بيغن رئيس وزراء العدو السابق انه في سبيل تحقيق ما اسماه (إسرائيل الكبرى ) التي تضم كل المنطقة التي كان يسيطر عليها الملك داود والملك سليمان قبل ٣٠٠٠ عام .

١- الموسوعة الفلسطينية - ص ١٠٩ .

٢- المصدر السابق - ص ١١٦ .

وتستند الصهيونية هنا على ما جاء في العهد القديم من أن اليهود هم شعب الله والتحجج بنسبهم بإبراهيم عليه السلام ونسله الذين منحهم الله أرض كنعان كما تدعي التوراة <sup>(١)</sup> انطلاقاً من العقيدة اليهودية وقد أكثر هرتزل على أن المشكلة القومية اليهودية تنتهي بتكوين الدولة اليهودية والتي يعيش فيها اليهود بأمان وحرية. <sup>(٢)</sup>

**أقسام الصهيونية :**

والصهيونية التي نتحدث عنها هنا ، صهيونيتان :

**الأولى : الصهيونية اليهودية .** <sup>(٣)</sup> وهي الصهيونية الأصل.

أي تلك التي يكون أقطابها يهودا ، يهدفون إلى سيطرة اليهود على كل موارد واقتصاد العالم ، ويقيمون دولة الأحلام التوراتية على أرض فلسطين والتي تهدف إلى إعادة ملك داود عليه السلام ولو أدى ذلك إلى تدمير العالم كله كما اعترفت بذلك بروتوكولات حكماء صهيون ، وسيركز حديثنا هنا على هذه الصهيونية وجذورها وصورتها الحاضرة وعلاقتها بالإرهاب الدولي العالمي.

**الثانية : الصهيونية العالمية :**

أي تلك المنظمات السياسية والاجتماعية والنوادي الثقافية والترفيهية التي تنتشر الفكر الصهيوني بقيادة اليهود وحدهم ويكون أعضاؤها من اليهود وغيرهم ليكون غير اليهود سندا عالميا يقف من خلفهم يشد أزرها كالمنظمات البهائية ونوادي الروتاري المنتشرة في أنحاء الكرة الأرضية. <sup>(٤)</sup>

١- موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية - ص ٢٩ - ٣٨ بتصرف .

٢- أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين الدكتور احمد نوري نعمة - مركز الدراسات الفلسطينية بغداد - ١٩٨٢ .

٣- انظر فصل ( الصهيونية ) في رسالة الطالب فرحان محمود التميمي الموسومة ، الجذور الدينية للحركة الصهيونية التي تقدم بها إلى كلية الشريعة عام ١٩٨٦ لنيل شهادة الماجستير .

٤- راجع كتاب مقارنة الأديان ، القسم الأول ، الديانة اليهودية - تأليف الدكتور أحمد شلبي ، حيث ناقش هذه النوادي والمنظمات مستقيضا .

والأحزاب والمنظمات اليسارية واليمينية والمنتشرة في كثير من البقاع والتي لم تقع إلا لتحقيق أغراض الصهيونية واليهودية ذات الحقيقة الدينية المتبرقة بالصبغة السياسية وكذلك شعور يهود ، إلا أن ( شعور يهود ) هي المنظمة الوحيدة التي جميع أعضائها من المسيحيين ، وكثير من الشخصيات السياسية والفكرية العالمية المرموقة ، تعتمد العقيدة الدينية اليهودية على ما احتوته التوراة والتلمود والكتب اليهودية الأخرى من تعاليم ونصوص تزعم أن لليهود حقا بامتلاك فلسطين وإقامة ( دولة يهودية ) فيها باعتبارها أرض الميعاد التي وعد الرب بها إبراهيم عليه السلام ونسله بتمليكهم إياها وقد تكررت وعود الرب في كتب أنبيائهم المقدسة عشرات المرات ولذلك يرى اليهود أن الهجرة إلى فلسطين وتنفيذ أوامره وتحقيق وعده له باعتبارهم - كما يرون - أنهم شعبه المختار .<sup>(١)</sup>

وجعل التلمود فلسطين نقطة الارتكاز للتسلط والسيطرة على العالم لاعتباره الدنيا بأكملها ملكا للإسرائيلي لكونه مساويا للعزة الإلهية وجزءا منها وفلسطين هي قطب العالم الذي يجب أن تقوم فيه ( الدولة اليهودية ) باعتبار هذه الأرض حقا خالصا لليهود . فلا يحق لأي فرد احتلالها والسيطرة عليها.<sup>(٢)</sup>

لقد ارتبط الدين اليهودي بالأرض ارتباطا كاملا وأصبح يعبر عن هذه الارتباط بعلاقة مترابطة بين الدين والأرض ، حيث أصبح اليهودي يتخطى الزمان والمكان وصار إلههم مقصورا عليهم وحدهم دون غيرهم ( إله إسرائيل ) مكرر مئات المرات في التوراة ولا علاقة لإلههم بالأمم الأخرى وبذلك اعتبر اليهود أنفسهم أمة قومية مقدسة ، أمة من الكهنة والقديسين ذات صلة دائمة بإله لا تنفصم

١- عبد الحميد رشوان ، الادعاءات الصهيونية والرد عليها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - ١٩٧٧ / ص ٥٣ .

٢- د. محمد طلعت الغنيمي ، دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي ، مطبعة جامعة الإسكندرية - مصر - ١٩٧٠ / ص ٣ - ٥ .

عراها ، وهذا الارتباط الوثيق جعل من الديانة اليهودية عملها في نفوس اليهود وعقولهم لإقناعهم بأن أرض الميعاد هي الأرض التي خلقت لشعب قد اختير من بين الشعوب ليقم في هذه الأرض المقدسة . (١)

لقد كان موقف الصهيونية من الأرض يماثل الأفكار والتعليم اليهودية الواردة في كتبهم الدينية المختلفة، وبذلك استطاعت الصهيونية استغلال الأفكار الدينية اليهودية ذات التأثير الفاعل في نفوس اليهود ظهرت وكأنها امتداد للديانة اليهودية واستمرار لها محاولة بذلك تحويل الجماهير اليهودية لاعتناق مبادئها بعد أن استطاعت المزج بين المجالين الديني والسياسي وحولت الأفكار والرموز الدينية لدى اليهود إلى أفكار ورموز قومية بعد أن أفرغتها من محتواها الديني والأخلاقي ونقلتها من المجال الديني إلى المجال السياسي . وبهذا ضمنت الصهيونية اعتناق جماهير واسعة من اليهود خصوصا يهود أوروبا ذوي المشارب المختلفة مبادئها بعد أن كانت تقتصر إلى هذه الجماهير . (٢)

لقد استغلت الصهيونية ما حوته الكتب الدينية اليهودية المحرفة في الترويج لأفكارها وخططها فاستمدت من التوراة والزوهار وكتب التصوف اليهودي وأقوال الحاخامات ورجال الدين المتعاونين معها ما يضيف الشرعية الدينية على أهدافها وغاياتها وبعدها أساسا لمنطلقات الصهيونية السياسية والعقلية في ما تدعيه من حقوق إلهية في فلسطين ( أرض الميعاد ) فكانت تلك الادعاءات أهم ما تشبثت به الصهيونية ودعت إليه تحقيقا لأحلامها في السيطرة والتوسع واستيطان فلسطين واستثمارها وتحقيق السيادة الكاملة عليها بعد طرد سكانها الأصليين عن طريق

١- د . عبد الوهاب المسيري ، اليهودية والصهيونية وإسرائيل ، الهيئة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٥ / ص ٩ - ١٣ .

٢- د . عبد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية الأيدلوجية الصهيونية ، القسم الثاني - مطبعة الأهرام - القاهرة - ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

الغزو العسكري واستعمال القوة والعنف ضدهم وإرغامهم على قبول سياسية الأمر الواقع .

وقد سخرت الصهيونية جميع الوسائل التي تمكنها من الاحتفاظ بالأرض وإرغام أصحابها على قبول الأوضاع المستجدة مكرهين فسعت الصهيونية جاهدة للحصول على الدعم والحماية من الدول الاستعمارية الحصول كذلك على المساعدات المالية والاقتصادية وتوظيف الأموال الأجنبية والاستثمارات الخارجية فيها لإقامة الأساس الأرضي والجغرافي المادي للكيان السياسي والاقتصادي للدولة اليهودية في فلسطين والاعتماد على ما توفره وسائل الدعاية والإعلام اليهودية من تأثير واسع على الرأي العام العالمي بغية الحصول على عطف كثير من الدول والشعوب وكسب تأييدها للصهيونية في دعاها لإقامة الوطن اليهودي في فلسطين. (١)

واستطاعت الصهيونية استغلال العاطفة الدينية الكافية لدى أولئك اليهود وتسخيرها لخدمة مطامعها السياسية وأصبحت أرض الميعاد من أهم أسس الصهيونية ومقوماتها بعد أن بلغت مداها في العقيدة الدينية اليهودية ، وانطلقت الصهيونية تسخر الجهد ومختلف الوسائل والأساليب لنشر مبادئها في مختلف الأوساط والمجتمعات ، فتمكنت بذلك من تحويل فلسفتها الخاصة إلى فلسفة دولية عمت المجتمع عامة ، وكان لها الدور الفاعل في تحديد الاتجاهات والمواقف الدولية . (٢)

---

١- أمين الغفوري ، توازن القوى بين العرب وإسرائيل ، دراسة تحليلية إستراتيجية لعبدوان حزيان ١٩٦٧ - دار الاعتدال للطباعة والنشر - دمشق ط ١/سنة ١٩٦٨ .

٢- إسماعيل الفاروقي ، قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي - ص ٦ - ٧ ( القاهرة ١٩٦٨ ) وانظر كذلك حسن الجلي ، قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي - ص ١٢ ، معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد ١٩٦٩ .



لقد تمسكت الصهيونية بالوعود التوراتية لأرض الميعاد واتخذت منها أساسا وحجما لتنفيذ خططها التوسعية في المنطقة العربية معتمدة بذلك على مساعدة الاستعمارية التي جعلت من الصهيونية من أهم قواعدها في المنطقة كي تستطيع النفوذ من خلالها والسيطرة على الموارد الاقتصادية وموارد الطاقة التي تزخر بها المنطقة العربية . (١)

#### حدود أرض الميعاد :

وحدود أرض الميعاد كما يظهر من قراءة الكتب اليهودية المقدسة غير محدودة ، وهي قابلة للتوسع ، حيث أن الوعود الإلهية التي ذكرتها التوراة لأنبياء بني إسرائيل تخلف من واحد لآخر ، غير أن حدودها من النيل إلى الفرات هو أوضح أبعاد أرض الميعاد إضافة إلى أن هذا البعد مكتوب على باب الكنيسة اليوم وتشير كثير من النصوص التوراتية إلى أن حدودها تضم سوريا إضافة إلى الحدود السالفة لذلك فقد استغلت الصهيونية مبدأ التوسع لتنفيذ أطماعها ولم تعر أية أهمية للاعتبارات السياسية الدولية، إذ لم يرغب عن بال الصهيونية التوسع التدريجي واستخدام مختلف الطرق والأساليب لضم الأراضي العربية وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين من أجل توسيع حدود الكيان الصهيوني ... وقد فتحت التوراة الباب أمام التوسع الصهيوني وأصبح من أبرز الأسس في السياسة الإسرائيلية فكان التوسع والضم الزاحف باستمرار حتمية ملازمة للوجود الإسرائيلي في فلسطين . (٢)

وقد أشارت بعض النصوص التلمودية إلى أن بابل تدخل في الدولة اليهودية، إضافة إلى جميع الأماكن التي كان يسكنها اليهود في خريطتهم السرية جنوب العراق الذي فيه مدن ( عزرا أي العزيز والكفل ) والمدينة المنورة وما حولها من خيبر وبنو قريظة وبنو قينقاع .

١- د. مراد كامل ، إسرائيل في التوراة والإنجيل ، معهد الدراسات العربية العالمية ، دار المعرفة القاهرة - ط ٢ سنة ١٩٦٧ - ص ٤ - ٦٣ - ٦٤ .

٢- د . محمد كامل الدسوقي وعبد الوهاب عبد الرزاق سليمان - إسرائيل ، قيامها ، واقعها ، مصيرها - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ١٢٥ .

لقد تبارى الزعماء الصهاينة في تأكيد ضرورة الإسراع بالتوسع بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني في ١٥ مارس عام ١٩٤٨ فيصرح (بن غوريون) في الكتاب السنوي لعام ١٩٥١ ( الآن فقط وبعد سبعين سنة من كفاح الرواد استطعنا أن نصل إلى أول استقلالنا في جزء من وطننا العزيز) وبن غوريون يعد من اكبر دعاة التوسع الإسرائيلي ، إذ كان من منظري الحركة الصهيونية الداعية للتوسع عن طريق الاحتلال للأراضي العربية المجاورة بدعوى الحدود الآمنة تلك الحدود التي تتصف بقابليتها على التطور الاقتصادي وبالقدرة على الدفاع عنها .<sup>(١)</sup>

ويعتمد بن غوريون وغيره من الصهاينة على نصوص التوراتية التي تخبرهم بان ( كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم .. )

لقد استرشد رجال الفكر الصهيوني بنصوص التوراة التي تحث على التوسع وضم المناطق المجاورة فاقترح الحاخام صموئيل حدودا آمنة مسترشدا بالحدود التي أوردتها التوراة في سفر العدد ( ٢٤ : ١-١٢) وقد ورد ذلك في كتابه ( الحدود الحقيقية للأرض المقدسة ) الصادر في شيكاغو عام ١٩١٧ وحدوده غير حدود هيرتزل التي اقترحها عام ١٩٠٤ وجاء مؤتمر فرساي عام ١٩١٩ بحدود أخرى بلورها ( بيرنشتين ) وزير التجارة والصناعة الإسرائيلي السابق بقوله: (على الشعب الإسرائيلي أن يقلل من استهلاكه ويتكثل وراء زعمائه استعدادا للساعة الفاصلة التي يمحو فيها الدول العربية من الوجود ) .<sup>(١)</sup>

ويقول ليفي أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق ( لا يزال هناك عشرون ألف كيلو متر من فلسطين القديمة لم نضع أيدينا عليها حتى الآن).<sup>(٢)</sup> وقد فسر (ايريك رولو) المحرر السياسي لصحيفة اللوموند الفرنسية في عدد صدر قبيل عدوان حزيران ١٩٦٧ قول أشكول بأنه يقصد أن جزءا من العراق وجزءا من

١- د. محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق - ص ١٢٠ .

٢- عرفات حجازي ، العبور إلى القدس ط ١ سنة ١٩٧٤ (دون ذكر مكان الطبع ) .

سوريا وكافة الضفة الغربية وشرق الأردن هي أجزاء من فلسطين القديمة التي يحلم أشكول بأن يضع يده عليها . (١)

وبعد قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ بدأ العدو بسلسلة من أعمال التوسع واستغلال الفرص بإعلان حروب على الدول العربية المجاورة منها عدوان عام ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧ لإكمال المرحلة الثانية من المخطط الصهيوني في إقامة (الدولة اليهودية) في فلسطين فاستطاع بذلك ضم العديد من المناطق العربية منها الضفة الغربية لنهر الأردن وسيناء ومرتفعات الجولان ، كذلك كان العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢ مرحلة جديدة من مراحل المخطط الصهيوني التوسعي .

إن الدعم الذي لاقته الصهيونية من الغربيين في إقامة الكيان الصهيوني يستند هو الآخر إلى المسألة الدينية التي تضيفها إلى الأحلام الإستراتيجية والسياسة الغربية التي جعلت من الكيان الصهيوني قاعدة عسكرية وسياسية للغرب على أرض العرب .

### المفهوم الديني للشعب المختار :

أما الجانب الديني المذكور ، يمكن اختصاره بالقول بأن العهد القديم أو التوراة والتي تمثل نصوصا بالوعد (٢) بأرض فلسطين وحث اليهود بالحصول

١- د . محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق - ص ١٢١ .

٢- قبل ستين سنة وقف ممثل إسرائيل في الأمم المتحدة عقب الاعتراف بها مباشرة ليعلم رئيس وزرائها الأسبق ، الصهيوني بن غوريون على مسامع العالم عقيدته اليهودية في مشروعية احتلال وتملك فلسطين ، ومما قاله ( قد لا تكون فلسطين لنا من طريق الحق السياسي أو القانوني ، ولكنها حق لنا على أساس ديني ، فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل ، ولذلك يجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين وأن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها يعتبر مخالفا لتعاليم التوراة . بل إن هذا اليهودي يكفر يوميا بالدين اليهودي ) انظر العرب واليهود في التاريخ للدكتور أحمد سوسة - ص ٣٧١ .

عليها بأية طريقة أو وسيلة ، ذلك الكتاب هو جزء من كتابهم المقدس .... وإن كانت المسيحية ترى أن الشعب المختار لم يعد بني إسرائيل وإنما هم (المسيحيون) الذين يؤمنون بالمسيح ... وأن جميع الوعود المذكورة في التوراة قد أصبحت وعودا ملغاة بالنسبة لليهود لخروجهم على تعاليم آبائهم وأنبيائهم وإنكارهم رسالة المسيح فحول ميراث تلك العصور إلى المسيحيين الذين أصبح من حقهم بفعل ميراث تلك العهود إقامة مملكة روحية تضم جميع أفراد الجنس البشري . وانطلاقا من الرفض المسيحي لذرائع اليهود بأرض فلسطين ( أرض الميعاد ) أصدر المجمع المسكوني المنعقد في الفاتيكان وثيقة رسمية فيها تكذيب قاطع لدعوى الصهيونية باحتلال فلسطين باعتبارها (أرض الميعاد) الذي وعد بها شعب الله المختار ، واعتبر المجمع أن الأرض الموعودة قد تحققت تماما بمجيء المسيح وقيام الكنيسة وبذلك فقد اليهود أية الصفة في حق ميراث الوعود الإلهية المقطوعة لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده والتي أصبحت ميراثا للمسيحيين الذين حددهم الله بعهد جديد (١)

فالخلاف إذن بين المسيحيين واليهود ليس على قيام كيان غريب على أرض فلسطين ... وإنما فيمن يمثل هذا الكيان ، طالما أصحاب الديانتين يدينون بكتاب واحد .

ومن هذا نخرج أيضا بأن الصهيونية هي الواجهة السياسية للديانة اليهودية، وليس صحيحا أن يقال بأن الصهيونية حركة سياسية انفصلت عن الفكر الديني

وفي تصريح بيجال ألون - نائب رئيس وزراء إسرائيل السابق ( جاء اليهود إلى البلاد لكي يستردوا الأرض التي يعتقدون أنها كانت أرض آبائهم ، الأرض التي وعدها الله لهم ولنرايهم في العهد القديم قبل آلاف السنين ، بين الله وإبراهيم ( إسرائيل في الكتاب المقدس /٩) راجع عقيدة تملك الصهاينة لفلسطين من خلال كتابهم المقدس ، كراس أصدره الأستاذ عابد توفيق الهاشمي إلى وزراء التربية (١٩٧٨).

١- د. مراد كامل ، المصدر السابق - ص ٤٢ - ٤٤ .

اليهودي إذ تؤكد نصوص أدبياتها وبرتوكولات حكمائها على يهوديتها والتزامها المطلق بالدين اليهودي ونود أن نذكر بعضاً من أساليب عقيدة ترى أن اليهودية والصهيونية مسميان لشيء واحد لا مجال للتفريق بينهما وقد أشبعاً بحق اليهود على البشر ، وأمر اليهود بقتل وحرقت وتدمير كل ما للآخرين وسحق رؤوس الناس، وجعلت تلك الكتب من اليهودي سيد الكون . ومن بقية الشعوب خرافاً لا تستحق الحياة . وتكفي الإشارة إلى ما فعل أتباع يوشع بن نون عند دخولهم أرض كنعان إذ أمرهم على لسان يهوه في توراتهم المحرفة بحرق البيوت وقتل الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ وحتى الحيوانات وقلع الشجار بحيث لم يبق على حد زعم التوراة في أرض كنعان حي يرزق، كما يكفي أن نذكر ذلك الإرهاب الذي قاده اليهود ضد النصارى عند ظهور المسيح عليه السلام وبعده ، وحرقت المئات وهم أحياء وقتلهم وصلبهم ورميهم للأسود والحيوانات الضارية وتحريض الحكومات الوثنية على استئصال جذورهم .

ويكفي كذلك أن نذكر ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴾ <sup>(١)</sup> حيث رمى اليهود النصارى في أخدود حفروه لهم واحرقوهم أحياء وإذا ما نظرنا إلى جزيرة العرب ، نجد أن أبناء يهوذا قد عاشوا في الجزيرة العربية شر الفساد فكانوا يحرضون القبائل العربية بعضها على بعض ويغذون الفتنة بالأموال ، ويجعلون من أنفسهم سادة على الجزيرة وحاولوا أن يوقفوا زحف الإسلام ، فلما طردهم النبي ﷺ من الجزيرة وتابعه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في تخليّة الجزيرة من غير المسلمين دخل البعض من اليهود في الإسلام ليدس الكثير من الإسرائيليات إلى تاريخنا لتشويه معالمه ، وآثار كعب الأخبار كثيرة في تاريخنا <sup>(٢)</sup>

١- سورة البروج : الآية ٤ .

٢- أسرار الماسونية ، المصدر السابق ، المقدمة .

وقصة عبد الله بن سبأ أشهر من نار على علم<sup>(١)</sup> وأثارها باقية إلى اليوم ، فهو الذي أسس تأليه الأنساب في عالمنا، فجعل من أمير المؤمنين علي عليه السلام إلها ، لا حبا به وإنما لشق المسلمين وتدمير عقيدتهم وما زالت طوائف كثيرة تحيط بعالمنا الإسلامي اليوم تعيش في ظل هذا المعتقد المنكر.

وإذا ما التفتنا إلى الآخرين ، نجد أن بعض اليهود قد دخل المسيحية لنفس الغرض ، حين كانت المسيحية مقصورة على الكاثوليكية وتابعة لبابا روما الذي يتهم اليهود بقتل المسيح عليه السلام .

وعندما بدأت الثورة الصناعية كانت الفرصة سانحة لليهود أن يلعبوا دورهم في إلهاء الناس (بالمادة) والابتعاد عن (الدين) قدر الإمكان ، وكان قدر الإنسانية أن تشهد مولد (كارل ماركس) و (فرويد) وغيرهما من المفكرين . الذين أسسوا أفكارا جديدة للبشرية ، صرفتهم عن الدين ، وسلطت اليهود على إدارة شؤون الدول الكبرى والانتقال بعد ذلك وتحت ستار نفس الأفكار إلى دول العالم الثالث وتملأها بالأفكار الغربية التي تسلخها عن تراثها وعن جذورها فلا يبقى شعب نقي العرق ، كشعب بني إسرائيل - كما يدعون - .

وفي الأربعينيات من هذا القرن ، كان اليهود يعيشون حالة رعب واضطهاد في كل العالم ، دفعتهم إلى الهجرة إلى أرض فلسطين هربا من الاضطهاد ، وتبين للناس أن الحركة الصهيونية العالمية كانت وراء ذلك الاضطهاد ، وكانت تدفع الأموال بسخاء إلى بسطاء الناس كي يضطهدوا اليهود ويحرضوهم على الهرب

---

١- عبد الله بن سبأ - يمانى أسلم أبان الحكم الراشدي نفاقا فقاد فتنة ضد الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إلى الخلافة ، إلا أن ابن سبأ استمر بالكيد للإسلام فآله عليا وقاد فتنة عالية أخرى كان من نتائجها ظهور الحركات الغالية الكثيرة في الإسلام .

إلى فلسطين وكذلك شراء ذمم الحكومات الضعيفة الخاضعة للاستعمار الغربي لدفع أولئك اليهود إلى الهجرة بعد إصدار قوانين شرعية تسمح لهم بالهجرة تلك .<sup>(١)</sup> وعند البحث في داخل الحركات السياسية والاقتصادية العالمية يسارية ويمينية، نجد أثر اليهود واضحا فيها ، فالشيوعيون يعيشون تحت قيادة اليهود والرجعيون يتحركون بإمرتهم ، والصهيونية العالمية تقف موقف القائد الموجه لمعظم الحركات تلك . وويل لمن يقف في وجه تلك الحركات ، إذ إن معظم أفراد هذه المنظمات قد تدرب على استعمال السلاح وكيفية الاغتيالات وتنظيم التفجيرات سواء تفجير الأسلحة الفتاكة أو تفجيرات الخلافات التي تقضي إلى الفتن التي عاشت كثير من شعوبنا تحت تأثيرها وعانت من وطأتها .

وأود أن أشير هنا على أن الصهاينة الذين يتغلغلون داخل صفوف الدول القوية الأخرى ، يشدون أمر الصهيونية بشكل يثير الانتباه ، فبريجنسكي مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق للأمن القومي والصهيوني الشهير ، صاحب أكبر مدرسة أمنية في العالم تضم بين جوانحها عباقرة السياسة العالمية قد أصدر كتابه الشهير (أمريكا والعصر التكنونتروني ) قسم العالم فيه إلى صفيين ، عالم علوي وعالم سفلي ، والعلوي منه دعاة عالم الحضارة أدخل فيه أمريكا وأوروبا وروسيا والكيان الصهيوني وأدخل جميع دول العالم الأخرى ضمن العالم السفلي ، وطالب ألا تتاح أية فرصة لشعوب العالم السفلي لتصل بحضارتها إلى الأمم العلوية لأنها غير قادرة على استيعاب الحضارة وطالب الدول العلوية أن تدوس على شعوب العالم الثالث بأقدامها لتضغط عليها وتبقيها تابعة لها .

وحينما احتل الصهاينة فلسطين فإنهم قاموا بإبادة لشعب أعزل ، بطرق همجية، ولنا في مذبحه دير ياسين مثلا على ذلك ما فتئ أن تكرر أيام (بيغن) في

١- صادق حسن السوداني ، النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤ - ١٩٥٢ - ص ١٦ وما بعدها (بغداد ١٩٨٠) .

مذبحة صبرا وشاتيلا وذبحهم لعشرات المحتجزين في معسكرات الاعتقال التي أنشأت عقب احتلال لبنان .

وعند قيامهم بعدوان ١٩٦٧ ، فقد استخدموا ضد العرب العزل من المدنيين قنابل النابالم والمواد الكيماوية المحرقة وأخرج الناس من بيوتهم بأبشع الطرق وهدمت منازلهم وذبح أبناؤهم أمامهم ، وكم يعيد التاريخ نفسه ، إذ يكرر الصهاينة ما فعله يوشع بن نون عندما ذبح أبناء كنعان وأراد إبادتهم .<sup>(١)</sup>

وكان هدف المؤسسة الصهيونية من ذلك هو إضفاء شرعية دينية على النزعة القومية التي اختلقها كتبة التوراة وغذاها الاستعمار الحديث لجعل من أرض فلسطين قاعدة استعمارية دائمة في الشرق العربي .

إن المطالبة بالحقوق التاريخية لليهود في فلسطين تستند إلى تزيف الأحداث التاريخية ، فالبلاد التي يسميها الكتاب المقدس ( أرض كنعان ) والتي أطلق عليها (فلسطين) منذ الاحتلال الروماني ( أي أرض الفلسطينيين ) تقع في الهلال الخصيب الذي سكنه العرب القدماء في كل هجراتهم ، فحين جاء إبراهيم ﷺ في القرن الثامن عشر قبل الميلاد من أراضي ( أور ) فيعا بين النهرين ليستقر في أرض كنعان فإنه لم يكن أول من قطن هذه الأرض ، فقد وصل إليها قبله الأمويون ثم جاءها الآراميون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وبعدهم بقليل نزل (الفلسطينيون) المنطقة الساحلية ، ثم أصبحت البلاد فيما بعد إقليما آشوريا في القرن

---

١- إن يوشع بن نون هو المنفذ المباشر لوصايا الرب في التوراة ، ولكن نجد في سفره (سفر يوشع) وصف مروع لوصايا الله بحرق ( أريحا ) أول مدينة دخلها بنو إسرائيل في ( أرض الميعاد ) المزعومة ، حرقها أناسا وحيوانات بالنار ( ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار كقول الرب تفعلون ، انظروا قد أوصيتكم ، احرقوا المدينة بالنار واضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا وارد ولا منقلت ) تثنية ١٦/٢٠ - ١٧ ، ( وصعد الشعب إلى المدينة ، كل رجل مع وجهه ، وأخذوا المدينة ، وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها ) التوراة/ صفنيا / ١ - ٤ .



الثامن قبل الميلاد <sup>(١)</sup> واستعمرها الرومان والفرس بعد ذلك ثم عادت إلى العرب بعد الفتح الإسلامي وبقيت كذلك حتى عام ١٩٤٨ حين أعلن عن قيام إسرائيل ، هذا إذا ما تذكرنا أن إبراهيم ﷺ ليس يهوديا بالأصل .

ولعل المفهوم الديني للشعب المختار هو الأساس للشعارات الصهيونية الهزيلة المعادية للتاريخ مثل ( أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ) معتبرين أرض فلسطين لا شعب لها فلا بد من تجميع اليهود في كل أنحاء العالم والذين لا وطن لهم فيها وهو تجاهل كامل لشعب فلسطين العربي الذي يبلغ تعدادة ستة ملايين نسمة وشرذ معظمهم وقتل منهم كثير ، فهرتزل مؤسس الفكر الصهيوني لم يشر في كتابه (الدولة اليهودية) إشارة واحدة إلى وجود العرب في فلسطين ، وهو الذي أكد أن المشروع الصهيوني واضح للغاية وسهل التحقيق ( إعطاء أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ) <sup>(٢)</sup> في حين أنه كان في فلسطين عام ١٨٨٢ حين بدأت الهجرة الصهيونية ٢٥ ألف يهودي كان في فلسطين يعيش نصف مليون من السكان وقد نشأ ما يسمى ( لاهوت الأرض المقدسة ) أي تحول ارتباطهم بالأرض إلى فكرة لاهوتية بحتة وأصبحت تشغل الحيز الأكبر في الفكر الديني الصهيوني ومنها تتبع الروح العدوانية الاستيطانية للصهيونية التي تتسم بنفي حقوق الغير وثقافة الغير ووجود الغير . وهذه الروح العدوانية الاستيطانية هي التي تحدد مسار الدولة الصهيونية في نظرتها إلى العرب وفي ممارستها تجاههم وفي سياستها الداخلية والخارجية .

### المفهوم القومي اليهودي :

· وقد أخذ مفهوم ( القومي اليهودي ) يصبح التعبير المستخدم حالياً في الأرض المحتلة للإشارة إلى الصهاينة في كل أنحاء العالم ، وهو مفهوم يعني

١- راجع مفصل العرب واليهود في التاريخ - ص ٦٥١ - ٧١٢ بتصرف .

٢- الموسوعة الفلسطينية - الفصل الأول من القسم الثاني بتصرف .

الولاء المفترض من جانب اليهود حيثما كانوا للأرض المحتلة وقد صورها الزعيم الصهيوني وايزمان بقوله : بأنه يؤمن بأن كل يهودي يعتبر صهيونيا ولكن اليهود الذين يشوب وطنيتهم اليهودية أي ولاء قومي آخر يجب أن ينظر إليهم بعين الرثاء أو بعين الازدراء باعتبارهم خونة لوطنهم الأوحد .

لقد صورت الصهيونية المسألة اليهودية بأنها اضطهاد لليهود بغض النظر عن تكوينهم الاجتماعي أو الطبقي أو السياسي ولا مجال لمنع الاضطهاد وتعايش اليهود مع الآخرين ما دام اليهود مشنتين ويفتقدون الهوية القومية التي لا يمكن توفرها إلا بإقامة دولة لهم .<sup>(١)</sup>

وقد تبين أن الصلة التاريخية والدينية ليست هي الصلة الوحيدة التي تشد الصهانية إلى فلسطين بل إن الجشع الصهيوني للسيطرة على رؤوس الأموال والرغبة باستعمار العالم اقتصاديا كان عاملا آخر لذلك ، هذا إذا أضفنا رغبة الدول الاستعمارية في جعل فلسطين بعيدة عن العرب لتكوين قاعدة استعمارية دائمة لهم - كما ذكرنا - كما أن الصهيونية المستغلة لعداء بعض الأوروبيين للسامية جعلت من اليهود عنصرا فريدا مختارا مستغلة بذلك الخرافات التي دونها الحاخامات في العهد القديم والتلمود والزوهار .

إن مفهوم ( الشعب المختار ) يعتمد على ما جاء في التوراة ، وقد عملت الصهيونية على التركيز على أن الدين اليهودي ديننا قوميا<sup>(٢)</sup> فالدين اليهودي هو الصهيونية الحاضرة بحذافيرها .

فأصبح مفهوم الشعب المختار عندها ذا صيغة سياسية وقومية وغدا إيمان اليهودي الديني بفكرة الشعب المختار يعني بالنسبة للصهيونية إيمانا بوجود قومي يهودي خلقته فيهم الصهيونية العالمية .

١- راجع الموسوعة الفلسطينية - ص ١٠٥ وما بعدها بتصرف .

٢- تاريخ الصهيونية ج ١ ص ١٣ - ٩٩ بتصرف .

وترى الصهيونية العالمية أن الحياة في ظل المجتمعات المختلفة من شأنها أن يترتب عليها الفناء لهم ، لذلك كرست الصهيونية مبدأ الانقسام العنصري كمبدأ أساسي في الفكر الصهيوني كنتيجة منطقية وكان العرب هم الضحية أمام عنصرية الصهيونية وقد استغل اليهود أحداث النازية وطلبوا لها حتى يكسبوا من خلالها عطف الرأي العام العالمي ليعطيهم الحق في تملك فلسطين كوطن قومي لهم .

ولم يكن للعرب أو الفلسطينيين أي عداة لليهود قبل ذلك ولم يشتركوا في أية محاولة لإلغاء هويتهم كما أرادت النازية <sup>(١)</sup> لأن المسلمين ومنهم العرب كانوا ينظرون من خلال عقيدتهم الإسلامية إلى اليهود أنهم من أهل الكتاب وكانوا بممارستهم الدينية وشعائهم في كل العصور الإسلامية ، لكن الصهيونية التي انطلقت من الأفكار المنحرفة في التوراة والتلمود لتبرير استعمارها لفلسطين وما يتضمنه ذلك من النظر إلى اليهود باعتبارهم جنسا أسمى وأرقى من العرب ، وما ترتب على هذه النظرة العنصرية من تشريد لشعب فلسطين وتمهيد لاستيطان يهود العالم الاستعماري في فلسطين وما صاحب ذلك من اتجاه عدواني إزاء العرب الفلسطينيين أهل البلاد الأصليين وعدم الاكتراث بمصيرهم بل والدعوة للقضاء عليهم وطردهم خارج البلاد. <sup>(٢)</sup> وما أشبه فعلتهم اليوم بما فعله أجدادهم أيام يوشع بن نون حين قتلوا وشردوا أهل كنعان - حسبما تقول التوراة - .

## مَنَاقِبُ

١- راجع الموسوعة الفلسطينية - ص ١٤١، ١٤٢ .

٢- راجع الفصل الثامن من مفصل العرب واليهود في التاريخ - ص ٦٥١ - ٧١٣ ، وكذلك الفصل

الثامن والتسع والعاشر من كتاب اليهودي والصهيونية وإسرائيل - ص ١٢١ - ١٦٨

## المراجع

١. ابن منظور ، لسان العرب ، مطبعة دار صادر - بيروت - ١٩٥٥ م .
٢. ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية. المطبعة الكبرى الأميرية - مصر - ط ١  
١٣٢١ هـ .
٣. ابن تيمية ، السياسة الشرعية . دار الكتب العربية - بيروت - ١٣٨٦ هـ .
٤. ابن تيمية ، فتاوى ابن تيمية. مطبعة الكردي - القاهرة - ١٣٢٨ هـ .
٥. الإمام مسلم ، الجامع الصحيح. دار إحياء التراث العربي .
٦. الإمام النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم المطبعة الأزهرية-ط١-  
١٣٧٤هـ .
٧. الإمام الترمذي ، الجامع الصحيح - تحقيق أحمد محمد شاكر .
٨. حكام السلطنة ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م .
٩. ابن خلدون ، المقدمة .دار إحياء التراث العربي - بيروت (د.ت) - ط ٣ .
١٠. د. رشدي عليان ، الإسلام والخلافة .بغداد- ط١- ١٩٧٧م .
١١. ابن قدامة ، المغني . دار المعارف-مصر(د.ت) ط١ ،
١٢. محمد عمارة ، المعتزلة وأصول الحكم . بيروت-ط١ ، ١٩٧٧م .
١٣. د. عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة بغداد-ط١- ١٩٧٠م .
١٤. ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري . دار  
المعرفة- بيروت (د.ت) .
١٥. الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين . مكتب المطبوعات  
الإسلامية، بيروت (د.ت) .

١٦. الشهرستاني عبد الكريم أحمد ، الملل والنحل مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٦٨م، تحقيق د عبد العزيز محمد الوكيل.
١٧. د. عدنان السيد حسين - تطور الفكر السياسي ، من الاشتراكية إلى الليبرالية الجديدة . دار أمواج - بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
١٨. د. عصام حسن الدليمي - فلسفة المنهج الدراسي . دار المناهج - عمان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٩. ١. د. عزمي السيد طه - الفلسفة مدخل حديث . دار المناهج - عمان - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٠. د. مصطفى النشار - فلاسفة أيقظوا العالم . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط٣ ١٩٩٨م .
٢١. عدنان بن ذريل - ظواهرية الوجود الجدلي، دراسة وجودية في النقيض. دار الأجيال - دمشق - ١٩٧٢م .
٢٢. ١. د. سعدون محمود الساموك - الوجيز في النظم الإسلامية . دار المناهج - عمان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
٢٣. ١. د. سعدون محمود الساموك - الوجيز في علم الاستشراق. دار المناهج - عمان - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٤. ١. د. سعدون محمود الساموك ، ود . عبد القاهر العاني - مناهج المستشرقين. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، دار الحكمة - بغداد - ١٩٨٩م .
٢٥. د . عرفان عبد الحميد ، المستشرقون والإسلام . بغداد - ١٩٦٩م .
٢٦. د. عبد الجبار ناجي ، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي. بغداد - ١٩٨١م .

٢٧. إبراهيم خليل أحمد ، الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية.  
القاهرة

٢٨. محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة . دار الشروق - القاهرة /  
بيروت - ط ٨ ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٢٩. ا. د. شرف القضاة وآخرون - محاضرات في الثقافة الإسلامية . كلية  
الشريعة - الجامعة الأردنية ، ط ٢ - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٣٠. د. أحمد العوايشة - موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي  
للتاريخ. المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن ط ٢ ١٤٠٤ هـ -  
١٩٨٤ م.

٣١. ا. د. بدري محمد فهد - محاضرات في الفكر والحضارة . دار المناهج  
- عمان - ط ١ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٢. يعقوب فام - البراجماتزم أو مذهب الذرائع . مطبعة لجنة التأليف  
والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م .

٣٣. وليام جيمس - البراجماتية . ترجمة د. محمد علي العريان و د. زكي  
نجيب محمود دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٥ م .

٣٤. ديفيد د. مارسيل - فلسفة التقدم ( جيمس . ديوي . بيرد ) وفكرة التقدم  
الأمريكية . ترجمة د. خالد المنصوري - مكتبة الأنجلو المصرية -  
القاهرة ١٩٧٨ م.

٣٥. جاك مندلسن ، الرب والله وجوجو . ترجمة إبراهيم سعد القاهرة .

٣٦. ضياء الدين الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية - ط ٢ . دار  
المعارف - مصر ١٩٦٧ م .

٣٧. نبيل بيهم ، الاستشراق علم موضوعي أم سياسة مقنعة ؟ مجلة الطريق -  
العدد الخامس - تشرين أول - بيروت ١٩٨١ م .

٥٠. أحمد شلبي ، مقارنة الأديان - القسم الأول - الديانة اليهودية .  
القاهرة ١٩٧٣ م .
٥١. عبد الحميد رشوان ، الادعاءات الصهيونية والرد عليها . الهيئة المصرية  
العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٧ م .
٥٢. إريك موريس والان هو ، الإرهاب .. التهديد والرد عليه . محاضرات  
في الثقافة الإسلامية ط ٢ - عمان ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
٥٣. جان بول سارتر ، دفاعا عن المتقين - ترجمة دندشلي (غير منشور)  
(عن تطور الفكر السياسي - د. عدنان السيد حسين )
٥٤. د. أحمد العوايشة موقف الإسلام من نظرية ماركس المكتبة الإسلامية  
ط ٢ ١٩٨٢-١٩٨٤
٥٥. ف. كيلي م. كوخالزون ، المادية التاريخية - ترجمة احمد داود -  
مراجعة بدر الدين السباعي دار الجماهير - دمشق ١٩٧٠ م
٥٦. كاريوهنت ، الشيوعية نظريا وعمليا، دار الكتاب المصري - القاهرة
٥٧. جورج بولتيزر ورفيقاه، أصول الفلسفة الماركسية (نقلا عن دراسات  
فلسفية ) - تعريب شعبان بركات المكتبة العصرية - بيروت (د.ت)
٥٨. ستالين، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، دار دمشق للطباعة  
والنشر (د.ت).
٥٩. (مؤلفات ماركس وانجلز ولينين ) ، لينين في الأيدولوجية والثقافة  
الاشتراكية - ترجمة إلياس شاهين دار التقدم - موسكو .
٦٠. (مؤلفات ماركس وانجلز ولينين ) ، لينين في الأممية البرولتارية -  
ترجمة إلياس شاهين دار التقدم - موسكو .
٦١. لينين ، الدفاتر الفلسفية - ترجمة إلياس مرقص، دار الحقيقة  
بيروت ١٩٧٤ م

٣٨. د. أحمد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق. لندن - ١٤١١ هـ .
٣٩. د. علي جلايشة و محمد شريفق الزبيق ، أساليب الغزو الثقافي للعالم الإسلامي دار الاعتصام
٤٠. أنور الجندي ، التراث الإسلامي والمستشرقون . مجلة الهلال - العدد الأول - السنة الرابعة والثمانون - يناير - القاهرة ١٩٨١ م .
٤١. تطوير ماركس وانجلز للفهم المادي للتاريخ - تأليف جماعة من العلماء السوفيت - ترجمة حسان حيدر. دار الفارابي ( د.ت )
٤٢. عبد الرزاق محمد أسود - الموسوعة الفلسطينية . الدار العربية للموسوعات - بيروت ١٩٧٨ م .
٤٣. د. محمد فاروق النبهان ، الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الإسلامي .
٤٤. محمد باقر الصدر ، اقتصادنا . دار الفكر .
٤٥. د. مصطفى الرافعي، الإسلام ومشكلات العصر. دار الكتاب اللبناني، ط ١ .
٤٦. ليستر ثرو ، مستقبل الرأسمالية - ترجمة عبد القادر حلمي .
٤٧. الدكتور سعدون محمود الساموك ، موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية. محاضرات أُلقيت على طلبة الصف الرابع - كلية الشريعة - جامعة بغداد ١٩٨٥ م .
٤٨. د. احمد نوري نعمة ، أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية. مركز الدراسات الفلسطينية - بغداد - ١٩٨٢ .
٤٩. فرحان محمود التميمي ، الجذور الدينية للحركة الصهيونية . رسالة ماجستير - كلية الشريعة - جامعة بغداد - ١٩٨٦ .



٦٢. سبركين ويافوت ، أسس المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية - ترجمة محمد الجندي دار التقدم - موسكو
٦٣. كارل ماركس ، بؤس الفلسفة - ترجمة أندريه ياكوزي ط ٢ دار اليعقظة العربية ومكتبه الحياة سوريا - لبنان ١٩٦٧
٦٤. موريس كور نفورت ، مدخل إلى المادة الجدلية - ترجمة محمد مستجير مصطفى دار الفارابي - بيروت - ١٩٧٥م
٦٥. قيس القرطاس ، نظرية دارون بين مؤيدها و معارضيها بيروت، ١٣٩١ هـ.
٦٦. نشوء الفلسفة الماركسية - تأليف جماعة من العلماء السوفيت- ترجمة حسان حيدر دار الفارابي - بيروت ١٩٩٠م
٦٧. أحمد عبد الغفور عطار، الشيوعية وليدة الصهيونية المكتبة العصرية - بيروت ١٣٩٤ هـ.
٦٨. (مؤلفات ماركس وانجلز و لينين )، لينين في الأخلاق الاشتراكية - ترجمة الياس شاهين دار التقدم - موسكو . (د.ت)
٦٩. فريدريك انجلز ، أصل الأسرة والملكية الخاصة و الدولة- ترجمة أديب يوسف دار الفارابي والكتاب العربي
٧٠. كارل ماركس فريدريك انجلز، البيان الشيوعي. الشركة اللبنانية للكتاب - بيروت .
٧١. محمود مراد ، الظاهرة الإرهابية . محاضرات في الثقافة الإسلامية ط ٢ - عمان ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٧٢. د. احمد جامع ، الرأسمالية الناشئة . دار المعارف - مصر
٧٣. أبو الأعلى المودودي ، أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة .

٧٤. جون ستروك ، البنيوية وما بعدها .من ليفي شتراوس إلى دريدا -  
ترجمة محمد عصفور . عالم المعرفة - الكويت ١٩٩٦ م .
٧٥. الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب  
المعاصرة. السعودية - الرياض - ط ٢ ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
٧٦. د. محمد طلعت الغنيمي ، دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي  
مطبعة جامعة الإسكندرية - مصر - ١٩٧٠ .
٧٧. د . عبد الوهاب المسيري ، اليهودية والصهيونية وإسرائيل . الهيئة  
العربية للدراسات والنشر - بيروت - ١٩٧٥ .
٧٨. د . عبد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية  
الأيدلوجية الصهيونية- القسم الثاني مطبعة الأهرام - القاهرة .
٧٩. أمين الغفوري ، توازن القوى بين العرب وإسرائيل ، دراسة تحليلية  
إستراتيجية لعدوان حزيران ١٩٦٧ دار الاعتدال للطباعة والنشر - دمشق  
ط ١/ سنة ١٩٦٨ .
٨٠. إسماعيل الفاروقي ، قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي القاهرة -  
١٩٦٨
٨١. حسن الجلبى ، قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي معهد البحوث  
والدراسات العربية - بغداد ١٩٦٩ .
٨٢. د. مراد كامل ، إسرائيل في التوراة والإنجيل ، معهد الدراسات العربية  
العالمية . دار المعرفة القاهرة - ط ٢ - سنة ١٩٦٧ .
٨٣. د . محمد كامل الدسوقي وعبد الوهاب عبد الرزاق سليمان ، إسرائيل،  
قيامها ، واقعها ، مصيرها دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٦٨ .
٨٤. د. عمر الخطيب ، الجذور الأيدلوجية للمفاهيم الإسرائيلية حول الحدود.

٨٥. عابد توفيق الهاشمي ، عقيدة نمالك الصهاينة لفلسطين من خلال كتابهم المقدس تكراس أصدره الأستاذ الهاشمي إلى وزراء التربية ١٩٧٨ .
٨٦. صادق حسن السوداني ، النشاط الصهيوني في العراق . بغداد - ١٩٨٠ .
٨٧. عرفات حجازي ، العبور إلى القدس ط ١ سنة ١٩٧٤ (دون ذكر مكان الطبع) .
٨٨. د. أحمد سوسة ، مفصل العرب واليهود في التاريخ . بغداد - ١٩٨١ .